



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

شرح منج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(١)

دارالعلماء للكتاب العربي
بيبي الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٠	شرح نهج البلاغه المجلد ١
١٠	اشاره
١٢	مقدمه المحقق
١٢	اشاره
١٣	مقدمه [الطبعه الأولى]
١٣	اشاره
١٣	١- نهج البلاغه
٢٠	٢- شرح نهج البلاغه
٢٤	٣- ابن أبى الحديد
٣٤	٤- تحقيق الكتاب
٣٧	مقدمه الطبعه الثانيه
٤٧	اشاره
٤٩	مقدمه المؤلف
٤٩	اشاره
٥٣	القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزله في الإمامه و التفضيل و البغاه و الخوارج
٥٧	القول في نسب أمير المؤمنين على ع و ذكر لمع يسيره من فضائله
٨١	القول في نسب الرضى أبى الحسن رحمه الله و ذكر طرف من خصائصه و مناقبه
٩٢	القول في شرح خطبه نهج البلاغه
١٠٥	باب الخطب و الأوامر
١٠٥	اشاره
١٠٧	١: فمن خطبه له ع يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض و خلق آدم
١٠٧	اشاره
١٤١	القول في الملائكه و أقسامهم

- ١٤١ اشاره
- ١٥٣ اختلاف الأقوال في ابتداء خلق البشر
- ١٥٦ تصويب الزنادقه إبليس لامتناعه عن السجود لآدم
- ١٥٨ اختلاف الأقوال في خلق الجنة و النار
- ١٥٩ القول في آدم و الملائكه أيهما أفضل
- ١٦٧ القول في أديان العرب في الجاهليه
- ١٦٧ اشاره
- ١٧٤ فصل في فضل البيت و الكعبه
- ١٧٦ فصل في الكلام على السجع
- ١٨١ ٢ و من خطبه له ع بعد انصرافه من صفين
- ١٨١ اشاره
- ١٨٣ باب لزوم ما لا يلزم و إيراد أمثله منه
- ١٩٣ ما ورد في الوصايه من الشعر
- ٢٠١ ٣ و من خطبه له و هي المعروفه بالشقشقيه
- ٢٠١ اشاره
- ٢٠٥ نسب أبي بكر و نبذه من أخبار أبيه
- ٢٠٩ مرض رسول الله و إمره أسامه بن زيد على الجيش
- ٢١٣ عهد أبي بكر بالخلافه إلى عمر بن الخطاب
- ٢٢٣ طرف من أخبار عمر بن الخطاب
- ٢٣٥ قصه الشورى
- ٢٤٩ نتف من أخبار عثمان بن عفان
- ٢٥٨ ٤ و من خطبه له ع
- ٢٦٤ ٥ و من [كلام]
- ٢٦٤ اشاره
- ٢٦٦ استطراد بذكر طائفه من الاستعارات
- ٢٦٦ اشاره

- ٢٦٩ اختلاف الرأى فى الخلافه بعد وفاه رسول الله
- ٢٧٤ ٦: من كلام له ع لما أشير عليه بألا يتبع طلحه و الزبير و لا يرصد لهما القتال
- ٢٧٤ اشاره
- ٢٧٧ طلحه و الزبير و نسبهما
- ٢٧٨ خروج طارق بن شهاب لاستقبال على بن أبى طالب
- ٢٨٠ ٧ و من خطبه له ع
- ٢٨٢ ٨: من كلام له ع يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك
- ٢٨٢ اشاره
- ٢٨٢ أمر طلحه و الزبير مع على بن أبى طالب بعد بيعتهما له
- ٢٨٩ ٩ و من كلام له ع
- ٢٩١ ١٠ و من خطبه له ع
- ٢٩٣ ١١ و من كلام له ع لابنه محمّد بن الحنفية لما أعطاه الرايه يوم الجمل
- ٢٩٣ اشاره
- ٢٩٥ ذكر خبر مقتل حمزه بن عبد المطلب
- ٢٩٥ محمّد بن الحنفية و نسبه و بعض أخباره
- ٢٩٩ ١٢ و من كلام له ع لما أظفره الله بأصحاب الجمل
- ٢٩٩ اشاره
- ٢٩٩ من أخبار يوم الجمل
- ٣٠٣ ١٣ و من كلام له ع فى ذم أهل البصره بعد وقعه الجمل
- ٣٠٣ اشاره
- ٣٠٥ من أخبار يوم الجمل أيضا
- ٣١٩ ١٤ و من كلام له ع فى مثل ذلك
- ٣٢١ ١٥ و من كلام له ع فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضى الله عنه
- ٣٢٤ ١٦ و من خطبه له ع لما بويج بالمدينه
- ٣٢٤ اشاره
- ٣٣١ من كلام للحجاج و زياد نسجا فيه على منوال كلام على

- ١٧ و من كلام له ع في صفه من يتصدى للحكم بين الأمه و ليس لذلك بأهل ٣٣٦
- ١٨ و من كلام له ع في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ٣٤٢
- ١٩ و من كلام له ع قاله للأشعث بن قيس ٣٤٥
- اشاره ٣٤٥
- الأشعث بن قيس و نسبه و بعض أخباره ٣٤٦
- ٢٠ و من خطبه له ع ٣٥٢
- ٢١ و من خطبه له ع ٣٥٥
- ٢٢ و من خطبه له ع ٣٥٧
- اشاره ٣٥٧
- خطبه على بالمدينه في أول إمارته ٣٦١
- خطبته عند مسيره للبصره ٣٦٢
- خطبته بنى قار ٣٦٣
- ٢٣ و من خطبه له ع ٣٦٦
- اشاره ٣٦٦
- فصل في ذم الحاسد و الحسد ٣٦٩
- فصل في مدح الصبر و انتظار الفرج ٣٧٣
- فصل في الرياء و النهي عنه ٣٨٢
- فصل في الاعتضاد بالعشيره و التكثير بالقبيله ٣٨٣
- فصل في حسن الثناء و طيب الأحداثه ٣٨٥
- فصل في مواساه الأهل و صلته الرحم ٣٨٦
- ٢٤ و من خطبه له ع ٣٨٨
- ٢٥ و من خطبه له ع و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاويه على البلاد ٣٨٩
- اشاره ٣٨٩
- نسب معاويه بن أبي سفيان و ذكر بعض أخباره ٣٩١
- بسر بن أرطاه و نسبه ٣٩٧
- عبيد الله بن العباس و بعض أخباره ٣٩٨

٤٠٠ أهل العراق و خطب الحجاج فيهم

٤٠٦ فهرس الخطب و ما يجرى مجراها

٤٠٨ فهرس الموضوعات

٤١٢ تعريف مركز

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله

گرداورنده: شريف الرضى، محمد بن حسين

نويسنده: على بن ابى طالب (عليه السلام)، امام اول

شماره بازيابى : ۵-۷۶۹۲

پديد آور : ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادى : نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پديد آور : شرح نهج البلاغه [نسخه خطى] / ابن ابى الحديد

وضيعت كتابت : محمد طاهر ابن شيخ حسن على ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاهرى : ۳۴۵ گك [عكس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازه سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ راده گذارى؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز ، انجام ، انجامه : آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابى الحديد على نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفيق التتميم.

باب المختار من كتب امير المومنين على عليه السلم و رسائله الى ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التى بنى هذا الشرح على قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله على

زيادات تخلو عنها اكثر النسخ... و يكف عنى عاديه الظالمين انه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد

النبي و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فى ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدى الاول سنه اربع و ثمانين و الف كتبه الفقير الحقيير ... ابن شيخ

حسن على محمد طاهر غفرالله تعالى له و لوالديه تمت.

يادداشت كلى : زبان: عربى

تاريخ تاليف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص: ۱

مقدمه المحقق

اشاره

↔

ص: ۲

بسم الله الرحمن الرحيم

١- نهج البلاغه

اجتمع للإمام عليّ بن أبي طالب من صفات الكمال، و محمود الشمائل و الخلال، و سناء الحسب و باذخ الشرف؛ مع الفطره النقيه، و النفس المرضيه، ما لم يتهياً لغيره من أفاذ الرجال.

ص: ٣

١- (*) مصادر البحث و ترجمه: ١- البدايه و النهايه، لابن كثير-١٩٨:١٣-١٩٩، (مطبعه السعاده). ٢- تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطى- الجزء الرابع الورقه ٩، (مصوره معهد المخطوطات بجامعه الدول العربيه). ٣- الحوادث الجامعه و التجارب النافعه فى المائه السابعه، لابن الفوطى ص ٣٣٦، (طبعه المكتبه العربيه ببغداد) ٤- دره الأسلاك فى دوله الأتراک؛ لابن حبيب الحلبيّ-وفيات سنه ٦٥٥، (مصوره دار الكتب المصريه رقم ٦١٧٠ ح). ٥- روضات الجنّات لمحمّد باقر الخوانسارى ٤٠٦-٤٠٩، (طبع العجم ١٣٠٤ هـ). ٦- عقد الجمان للعينيّ-وفيات سنه ٦٥٥، (مخطوطه دار الكتب المصريه ١٥٨٤ تاريخ). ٧- عيون التواريخ لابن شاکر-وفيات سنه ٦٥٥، (مخطوطه دار الكتب المصريه رقم ١٤٩٧ تاريخ). ٨- فوات الوفيات ٥١٩:١-٥٢٢ (مطبعه السعاده). ٩- كشف الظنون ١٩٩١، ١٦١٥، ١٥٧٦، ١٢٩١، ١٢٧٣، (طبع إستانبول ١٩٤٣). ١٠- ما هو نهج البلاغه، للسيد هبه الله الشهرستاني، (مطبعه العرفان بصيدا). ١١- مجمع الآداب لابن الفوطى، (فى ذيل الجزء الرابع من شرح نهج البلاغه-طبعه الحلبيّ).. ١٢- نسمة السحر فى ذكر من تشيع و شعر، ليوسف بن يحيى الصنعاني، الورقه ٢٦٠-٢٦٢ (مصوره دار الكتب المصريه ١٣٨٤٩ ح).

تحدّر من أكرم المناسب، وانتمى إلى أطيب الأعراق؛ فأبوه أبو طالب عظيم المشيخه من قريش. و جدّه عبد المطلب أمير مكّه و سيّد البطحاء؛ ثم هو قبل ذلك من هامات بنى هاشم و أعيانهم؛ و بنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ: «ملح الأرض، و زينه الدنيا، و حلى العالم، و السّينام الأضخم، و الكاهل الأعظم؛ و لباب كلّ جوهر كريم، و سرّ كلّ عنصر شريف، و الطينه البيضاء، و المغرس المبارك، و النّصاب الوثيق، و معدن الفهم، و ينبوع العلم...» (1).

و اختصّ بقرابته القريبه من الرّسول عليه السلام؛ فكان ابن عمّه، و زوج ابنته، و أحبّ عترته إليه، كما كان كاتب و حيه، و أقرب الناس إلى فصاحته و بلاغته، و أحفظهم لقوله و جوامع كلمه؛ أسلم على يديه صبياً قبل أن يمسّ قلبه عقيدته سابقه، أو يخالط عقله شوب من شرك موروث؛ و لازمه فتياً يافعا؛ فى غدوّه و رواحه، و سلمه و حربته؛ حتى تخلّق بأخلاقه، و اتّسم بصفاته، و فقه عنه الدين، و ثقّف ما نزل به الرّوح الأمين؛ فكان من أفقه أصحابه و أقضاهم، و أحفظهم و أوعاهم؛ و أدقهم فى الفتيا؛ و أقربهم إلى الصّواب؛ و حتّى قال فيه عمر: لا- بقيت لمعضله ليس لها أبو الحسن. و كانت حياته كلّها مفعمه بالأحداث، مليئه بجلائل الأمور؛ فعلى عهد الرسول عليه السلام ناضل المشركين و اليهود؛ فكان فارس الحلبة و مسعر الميدان، صليب التّبّع جميع الفؤاد؛ و فى أيّام خلافته كانت له أحداث أخرى؛ لقي فيها ما لقي من تفرّق الكلمه و اختلاف الجماعه، و انفصام العروه؛ ما طوى أضالعه على الهمّ و الأسى، و لاع قلبه بالحزن و الشّجن؛ و فى كل ما لقي من أحداث و أمور، و ما صادف من محن و خطوب، بلا الناس و خبرهم، و تفتّن لمطاوى نفوسهم، و استشفّ ما وراء مظاهرهم؛ فكان العالم المجرب الحكيم، و الناقد الصيرفى الخبير.

و كان لطيف الحسّ، نقى الجوهر، و ضاء النّفس؛ سليم الدّوق، مستقيم الرأى،

ص: ٤

حسن الطريفة، سريع البديهة، حاضر الخاطر؛ حولا- قلبا؛ عارفا بمهميات الأمور إصدارا و إيرادا؛ بل كان كما وصفه الحسن البصرى: سهما صائبا من مرامى الله على عدوه، و ربانى هذه الأمة و ذا فضلها و سابقتها، و ذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ لم يكن بالنثومه عن أمر الله، و لا- بالملومه فى دين الله، و لا- بالسروقه لمال لله؛ أعطى القرآن عزائم، ففاز منه برياض موفقه، و أعلام مشرقه، ذاك على بن أبى طالب.

*** كل هذه المزايا مجتمعه، و تلك الصفات متآزره متناصره؛ و ما صاحبها من نفع إلهى، و إلهام قدسى، مكنت للإمام على من وجوه البيان، و ملكته أعنه الكلام، و أهتمه أسمى المعانى و أكرمها، و هيات له أشرف المواقف و أعزها، فجرت على لسانه الخطب الرائعه، و الرسائل الجامعه، و الوصايا النافعه، و الكلمه يرسلها عفو الخاطر فتغدو حكمه، و الحديث يلقيه بلا تعمل و لا إعنات فيصبح مثالا؛ فى أداء محكم، و معنى واضح، و لفظ عذب سائغ؛ و إذا هذا الكلام يملأ السهل و الجبل، و يتنقل فى البدو و الحضرة؛ يرويه على كثرته الرواه، و يحفظه العلماء و المدارسون؛ قال المسعودى: و الذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته أربعمائته خطبه و تيف و ثمانون خطبه؛ يوردها على البديهة؛ تداول عنه الناس ذلك قولاً و عملاً (1).

ثم ظل هكذا محفوظا فى الصدور مرويا على الألسنه، حتى كان عصر التدوين و التأليف؛ فانتشرت خطبه و رسائله فى كتب التاريخ و السير و المغازى و المحاضرات و الأدب

ص: ٥

على الخصوص، كما انتخبت كلماته و ماأثور حكمه فيما و ضعوه من أبواب المواعظ و الدعاء؛ و فى كتابى الغريب لأبى عبيد القاسم بن سلام و ابن قتيبه منه الشىء الكثير

و إذ كان لكلام الإمام علىّ طابع خاصّ يميزه عن غيره من الخطباء، و نهج واضح يخالف غيره من البلغاء و المترسلين؛ فقد حاول كثير من العلماء و الأدباء على مرّ العصور أن يفرّدوا لكلامه كتباً خاصّه و دواوين مستقلّه؛ بقى بعضها و ذهب الكثير منها على الأيّام؛ منهم نصر بن مزاحم صاحب صفّين، و أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ، و أبو مخنف لوط بن يحيى الأزديّ، و محمّد بن عمر الواقديّ، و أبو الحسن علىّ بن محمّد، المدائنيّ، و أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، و أبو الحسن علىّ بن الحسين المسعوديّ، و أبو عبد الله محمّد بن سلامه القضاعيّ، و عبد الواحد بن محمّد بن عبد الواحد التميميّ، و رشيد الدين محمّد بن محمّد المعروف بالوطواط، و عزّ الدين عبد الحميد بن أبى الحديد؛ و غيرهم كثيرين.

إلا أنّ أعظم هذه المحاولات خطراً، و أعلاها شأنًا، و أحسنها أبواباً؛ و أبعدها صيتاً و شأواً؛ هو مجموع ما اختاره الشريف الرضىّ أبو الحسن محمّد بن الحسين الموسويّ؛ فى كتابه «نهج البلاغه».

بناه على ما أفرده فى كتاب «خصائص الأئمة» من «فصل يتضمّن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير فى الحكم و الأمثال و الآداب، دون الخطب الطويله و الكتب المبسوطة (١)»؛ ثم جعله كتاباً «يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى جميع فنونه و متشعبات غصونه، من خطب و كتب و مواعظ و آداب؛ علماً أن ذلك يتضمّن من عجائب البلاغه و غرائب الفصاحه و جواهر العريبه و ثواقب الكلم الدينيه و الدنيويه ما لا يوجد مجتمعاً فى كلام، و لا مجموع الأطراف فى كتاب» (٢).

ص: ٦

١-١) مقدّمه الرضىّ للنهج.

١-٢) مقدّمه الرضىّ للنهج.

و أدار اختياره على ثلاثة أقطاب: أولها الخطب و الأوامر، و ثانيها الكتب و الرسائل، و ثالثها الحكم و المواعظ؛ و أسماه كتاب «نهج البلاغه» إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، و يقرب عليه طلابها، و فيه حاجه العالم و المتعلم، و بغيه البليغ و الزاهد» (١).

و منذ أن صدر هذا الكتاب عن جامعه سار في الناس ذكره، و تألق نجمه؛ أشام و أعرق، و أنجد و أنهم، و أعجب به الناس حيث كان، و تدارسوه في كل مكان.

لما اشتمل عليه من اللفظ المنتقى، و المعنى المشرق؛ و ما احتواه من جوامع الكلم، و نوابغ الحكم في أسلوب متساق الأعراض، محكم السبك، يعد في الذروه العليا من النثر العربي الرائع.

*** و لم يذكر الشريف الرضي في صدر كتابه المصادر التي رجع إليها؛ أو الشيوخ الذين نقل عنهم؛ إلا أنه - كما يبدو من تضاعيف الكتاب - نقل في بعض ما نقل عن كتاب البيان و التبيين للجاحظ، و المقتضب للمبرد، و كتاب المغازي لسعيد بن يحيى الأموي، و كتاب الجمل للواقدي، و المقامات في مناقب أمير المؤمنين لأبي جعفر الإسكافي، و تاريخ ابن جرير الطبري، و حكاية أبي جعفر محمد بن علي الباقر، و روايه اليماني عن أحمد ابن قتيبه؛ و ما وجد بخط هشام بن الكلبي و خبر ضرار بن حمزه الصدائي، و روايه أبي جحيفه، و حكاية ثعلب عن أبي الأعرابي (٢)؛ و لعله في غير ما نقل عن هؤلاء، نقل من مصادر أخرى لم يصرح بها.

*** و على مرّ العصور و الأزمان كانت نسبه ما في كتاب نهج البلاغه إلى الإمام عليّ مشارا للشكّ عند العلماء و الباحثين؛ المتقدمين و المتأخرين.

ص: ٧

١-١) مقدّمه الرضي للنهج.

٢-٢) انظر نهج البلاغه ٣٩١، ٣٠٣، ٣٠٠، ٢٦٦، ٥٩: ١٩/٢، ٦٢، ٣٦: ١.

و قد تناول ابن أبي الحديد هذه القضية بالبحث، فقال:

كثير من أرباب الهوى يقولون: إن كثيرا من نهج البلاغه كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضى أبي الحسن أو غيره؛ وهؤلاء أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بتيات (١) الطريق، ضاللا وقله معرفه بأساليب الكلام.

و أنا أوضح لك بكلام مختصر ما فى هذا الخاطر من الغلط فأقول: لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغه مصنوعا منحولا، أو بعضه.

و الأول باطل بالضرورة؛ لأننا نعلم بالتواتر صحه إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و قد نقل المحدثون - كلهم أو جلهم - و المؤرخون كثيرا منه، و ليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض فى ذلك.

و الثانى: يدل على ما قلناه؛ لأن من قد أنس بالكلام و الخطابه، و شدا طرفا من علم البيان، و صار له ذوق فى هذا الباب؛ لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك و الفصيح، و بين الفصيح و الأوضح، و بين الأصيل و المولّد. و إذا وقف على كراس واحد يتضمّن كلاما لجماعه من الخطباء أو لاثنين منهم فقط، فلا بد أن يفرق بين الكلامين، و يميز بين الطريقتين؛ ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر و نقده؛ لو تصفّحنا ديوان أبى تمام فوجدناه قد كتب فى أثنايه قصائد أو قصيده واحده لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبى تمام نفسه و طريقتة و مذهبه فى القريض؛ ألا ترى أنّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيره منحوله إليه، لمباينتها لمذهبه فى الشعر! و كذلك حذفوا من شعر أبى نواس كثيرا

ص: ٨

(١ - ١) بنيات الطريق: هى الطرق الصغار تتشعب من الجاده؛ و هى الترهات.

لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء؛ ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصه.

و أنت إذا تأملت نهج البلاغه وجدته كله ماء واحدا، ونفسا واحدا، وأسلوبا واحدا؛ كالجسم البسيط الذى ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض فى الماهيه؛ كالقرآن العزيز، وأوله كوسطه، وأوسطه كآخره؛ وكلّ سورة منه، وكل آيه مماثله فى المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقي الآيات والسور.

ولو كان بعض نهج البلاغه منحولا، وبعضه صحيحا، لم يكن ذلك كذلك؛ فقد ظهر لك بالبرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا- قبل له به؛ لأننا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على أنفسنا فى هذا النحو، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبدا، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول؛ وهذا الكلام مصنوع؛ وكذا ما نقل عن أبى بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والآداب وغير ذلك، وكلّ أمر جعله هذا الطاعن مستندا له فيما يرويه عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله والأئمة الراشدين والصحابه والتابعين والشعراء والمترسلين والخطباء؛ فلناصرى أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغه وغيره؛ وهذا واضح» (١).

ص: ٩

وقد تصدّر لشرح كتاب «نهج البلاغه» كثيرون من العلماء و الفضلاء؛ ذكر السيد هبه الله الشهرستاني (١) أنها تنوف على الخمسين شرحاً؛ ما بين مبسوط و مختصر؛ منهم أبو الحسين البيهقي، و الإمام فخر الدين الرازي، و القطب الراوندي، و كمال الدين محمد ميثم البحراني؛ من المتقدمين، و حبيب بن محمد بن هاشم الهاشمي و الشيخ محمد عبده و محمد نائل المرصفي من المتأخرين.

و لكن أعظم هذه الشروح و أطولها، و أشملها بالعلوم و الآداب و المعارف و أملؤها؛ هو شرح عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني؛ صنّفه برسم خزانة مؤيد الدين أبي طالب محمّد بن أحمد العلقمي، وزير المستعصم بالله، آخر ملوك العباسيين. «كان من فضلاء الشيعة و أعيانهم ببغداد، مائلاً للآداب مقرّباً للأدباء، و كانت له خزانة كتب فيها عشره آلاف مجلد من نفائس الكتب» (٢).

شرح في تأليفه في عزّه شهر رجب من سنه أربع و أربعين و ستمائه، و أتمّه في سلخ صفر من سنه تسع و أربعين و ستمائه؛ ففضي أربع سنين و ثمانيه أشهر، و كانت كما يقول:

«مقدار مدّه خلافه أمير المؤمنين عليه السلام»؛ و كسره على عشرين جزءاً.

و لما فرغ من تصنيفه أنفذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي إلى ابن العلقمي، فبعث إليه بمائه دينار و خلعه ستيه و فرس؛ فكتب إلى الوزير:

أيا ربّ العباد رفعت ضبعي

و طلت بمنكبي و بللت ربقي

و زيغ الأشعريّ كشفت عنيّ

فلم أسلك بتيّات الطّريق

ص: ١٠

١- ١) في كتابه ما هو نهج البلاغه ٨-١٠.

٢- ٢) الفخري ٢٩٥.

أحبّ الاعتزال و ناصريه

ذوى الألباب و النظر الدقيق

فأهل العدل و التوحيد أهلى

و نعم فريقهم أبداً فريقى

و شرح النهج لم أدركه إلاّ

بعونك بعد مجهده و ضيق

تمتّل إذ بدأت به لعينى

هناك كذروه الطود السّحيق

فتمّ بحسن عونك و هو أنأى

من العيوق أو بيض الأنوق

بآل العلقمى ورت زنادى

و قامت بين أهل الفضل سوقى

فكم ثوب أنيق نلت منهم

و نلت بهم و كم طرف عتيق

أدام الله دولتهم و أنحى

على أعدائهم بالخنفقيق (١)

*** و قد ذكر فى صدر كتابه أنّه لم يسبقه أحد بشرح النهج سوى سعيد بن هبه الله بن الحسن الفقيه، المعروف بالراوندى؛ و أنّه قد تعرّض لهذا الشرح فيما ناقضه فيه، فى مواضع يسيره، و أعرّض عن كثير ممّا قاله. و قد التزم فى شرحه أن يقسم الكلام فصولاً، فيشرح كلمات كلّ فصل شرحاً دقيقاً مشتملاً على «الغريب و المعانى و علم البيان، و ما عساه يشتهبه و يشكل من الإعراب و التصريف» (٢)، ثمّ يورد «ما يطابقه من النظائر و الأشباه نثراً و نظماً (٣)»، ثمّ يستطرد إلى ذكر «ما يتضمّنه من السّير و الوقائع و الأحداث..» (٤)، و يشير إلى ما ينطوى عليه هذا الفصل «من دقائق علم التوحيد و العدل إشاره خفيه (٥)»، و يلوّح «إلى ما يستدعى الشرح ذكره من الأنساب و الأمثال و النكت تلويحات لطيفه» (٦)، و يرصّعه بما يشاء «من المواعظ الزّهدية، و الزواجر

الدينيه و الحكم النفيسه، و الآداب الخلقيه، المناسبه للفقره، و المشاكله لدرره (٧)».

ثم ينتقل إلى الفصل الذي يليه؛ و هكذا.

ص: ١١

١-١) الخنفيق: الداهيه.

٢-٢) شرح نهج البلاغه ١:٤.

٢-٣) شرح نهج البلاغه ١:٤.

٢-٤) شرح نهج البلاغه ١:٤.

٢-٥) شرح نهج البلاغه ١:٤.

٢-٦) شرح نهج البلاغه ١:٤.

٢-٧) شرح نهج البلاغه ١:٤.

و هو بهذا المنهج الذى التزمه؛ و الطريق الذى سلكه، قد نقل إلى هذا الكتاب عصاره ما فى كتب الأدب و النقد و التاريخ و النسب و المغازى و السير و الفقه و الجدل و المناظره و علوم الكلام، و خلاصه ما اشتملت عليه الرسائل و المتون و الشروح و الحواشى و التعاليق؛ و طرّزه بما اختاره من روائع الخطب و نوايغ الحكم و مصطفىى الرسائل؛ ممّا نطق به مصاقع الخطباء و بلغاء الكتاب و زعماء القول فى الجاهليه و الإسلام؛ ثم وشّاه بما انتخله من دواوين الشعراء الجاهليين و المخضرمين و الإسلاميين و المولدين؛ من فاخر القول و حرّ الكلام؛ فى متنوّع فنون الشعر و مذاهبه، و مختلف أغراضه و مراميه.

و قد ارتفع أسلوبه فى جميع مراحل الكتاب عن الخلل و التعقيد، و تجافى عن الركاكه و التعسف و الإبهام، و التزم الأسلوب الرّصين، و التعبير الفصيح، و اللفظ العربى الأصيل؛ سوى بعض الألفاظ التى تدسّت فيما نقله عن المتكلّمين و أصحاب المقولات؛ من نحو قولهم:

«المحسوسات»، و «الكلّ و البعض»، و قولهم: «الصفات الذاتيه و الجسمانيات»، و قولهم: «أما أوّلا فالحال كذا»؛ و نحو ذلك ممّا ياباه الفصيح من الألفاظ و السليم من الأساليب؛ و قد اعتذر عن ذلك المؤلّف بقوله: «استهجنّا تبديل ألفاظهم و تغيير عباراتهم؛ فمن كلّ قوما كلمهم باصطلاحهم، و من دخل ظفار حمر» (١).

و ما أحسن ما اعتذر به!

و بتلك المزايا المتنوعه للكتاب، خرج «كتابا كاملا» فى فئه، و احدا بين أبناء جنسه، ممتعا بمحاسنه، جليله فوائده، شريفه مقاصده، عظيما شأنه، عاليه منزلته و مكانه» (٢)؛ يرد شرعته العلماء، و ينهل من مورده الباحثون و الأدباء.

ص: ١٢

١-١) شرح نهج البلاغه ٢٠:٣٥٠.

٢-٢) شرح نهج البلاغه ١:٤.

و مؤلف هذا الشرح هو عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين ابن أبي الحديد المدائني؛ أحد جهابذة العلماء، و أثبات المؤرخين؛ ممن نجم في العصر العباسي الثاني؛ أزهى العصور الإسلامية إنتاجا و تأليفا؛ و أحفلها بالشعراء و الكتاب و الأدباء و المؤرخين و اللغويين و أصحاب المعاجم و الموسوعات.

كان فقيها أصوليا؛ و له في ذلك مصنفات معروفة مشهورة؛ و كان متكلمًا جدليًا نظارًا؛ اصطنع مذهب الاعتزال؛ و على أساسه جادل و ناظر، و حاجّ و ناقش؛ و في شرح النهج و كثير من كتبه آراء منثوره ممّا ذهب إليه، و له مع الأشعريّ و الغزاليّ و الرازيّ كتب و مواقف.

و كان أديبا ناقدًا، ثاقب النظر، خبيرًا بمحاسن الكلام و مساوئه، و كتابه «الفلك الدائر على المثل السائر»؛ دليل على بعد غوره، و رسوخ قدمه في نقد الشعر و فنون البيان.

ثمّ كان أديبا متضلّعًا في فنون الأدب، متقنًا لعلوم اللسان، عارفا بأخبار العرب، مطلعًا على لغاتها، جامعًا لخطبها و منافراتها، راويًا لأشعارها و أمثالها، حافظًا لملحها و طرفها، قارئًا مستوعبًا لكلّ ما حوته الكتب و الأسفار في زمانه.

و كان وراء هذا شاعرا عذب المورد، مشرق المعنى، متصرّفًا مجيدًا؛ كما كان كاتبًا بديع الإنشاء، حسن الترسّل، ناصع البيان.

*** ولد بالمدائن في غرّه ذي الحجه سنه ست و ثمانين و خمسمائه؛ و نشأ بها، و تلقى عن

شيوخها، و درس المذاهب الكلامية فيها، ثم مال إلى مذهب الاعتزال منها؛ و كان الغالب على أهل المدائن الشيع و التطرف و المغالاة؛ فسار في دربهم، و تقبل مذهبهم، و نظم القصائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم، و فيها غالى و تشيع؛ و ذهب به الإسراف في كثير من أبياتها كل مذهب؛ يقول في إحداها (1) :

علم الغيوب إليه غير مدافع
و الصبح أبيض مسفر لا يدفع
و إليه في يوم المعاد حسابنا
و هو الملاذ لنا غدا و المفرع
هذا اعتقادي قد كشفت غطاءه
سيضّر معتقدا له أو ينفع
يا من له في أرض قلبي منزل
نعم المراد الرّحّب و المستربع
و تكاد نفسي أن تذوب صبابه
خلقا و طبعا لا كمن يتطبع
و رأيت دين الاعتزال و إننى
أهوى لأجلك كل من يتشيع
و لقد علمت بأنه لا بدّ من
مهدّيكم و ليومه أتوقع
تحميه من جند الإله كتائب
كاليمّ أقبل زاخرا يتدفع
فيها لآل أبى الحديد صوارم
مشهوره و رماح خطّ شرع

و رجال موت مقدمون كأنهم
أسد العرين الرّيد لا تتكعكع
تلك المنى إِمّا أغب عنها فلى
نفس تنازعنى و شوق ينزع
تالله لا أنسى الحسين و شلوه
تحت السنابك بالعراء موزّع
متلفعا حمر الثياب و فى غد
بالخضر من فردوسه يتلفّع
نطأ السنابك صدره و جبينه
و الأرض ترجف خيفه و تضعضع
و الشمس ناشره الذوائب ثاكل
و الدهر مشقوق الرّداء مقنّع

ص: ١٤

لهفى على تلك الدماء تراق في

أيدى أميه عنوه و تضيع

يأبى أبو العباس أحمد إنه

خير الورى من أن يطلّ و يمنع (١)

فهو الولي لتأرها و هو الحمو

ل لعبها إذ كلّ عود يضلّع (٢)

و الدهر طوع و الشيبه غصّه

و السيف غضب و الفؤاد مشيع (٣)

و حينما انقضت أيام صباه، و طوى رداء شبابه، خفّ إلى بغداد؛ حاضره الخلافة، و كعبه القصاد، و عشّ العلماء، و كانت خزائنها بالكتب معموره، و مجالسها بالعلم و الأدب مأهوله، فقرأ الكتب و استزاد من العلم، و أوغل في البحث، و وعى المسائل، و مخص الحقائق، و اختلط بالعلماء من أصحاب المذاهب، ثمّ جنح إلى الاعتزال؛ و أصبح كما يقول صاحب «نسمه السحر»: معتزليا جاحظيا، في أكثر شرحه للنهج؛ بعد أن كان شيعيا غالبا.

و في بغداد أيضا نال الحظوه عند الخلفاء من العباسيين و مدحهم، و أخذ جوائزهم، و نال عندهم سنّي المراتب و رفيع المناصب، فكان كاتباً في دار التشريفات؛ ثمّ في الديوان، ثمّ ناظراً للبيمارستان؛ و أخيراً فوّض إليه أمر خزائن الكتب في بغداد؛ و في كلّ هذا كان مرموق الجانب، عزيز المحلّ؛ كريم المنزله، إلى أن مات.

*** و كان مع اشتغاله بالمناصب، و معاناته للتأليف شاعرا مجيدا؛ ذكره صاحب «نسمه السحر في ذكر من تشيع و شعر»؛ و له ديوان، ذكر ابن شاکر أنّه كان معروفا مشهورا.

و قد جال بشعره في شتى المعانى و مختلف الأغراض، فقال في المدح و الرثاء؛ و الحكم و الوصف

ص: ١٥

١ - ١) هو الخليفة أبو العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله المعروف بالناصر، بويح بالخلافه سنه ٥٧٥، و مات سنه ٦٢٩، و كان يرى رأى الإماميه. الفخرى ٢٨٠.

٢ - ٢) يقال: دابه مضع، أى لا تقوى أضلاعها على الحمل.

٣ - ٣) المشيع: الشجاع.

و الغزل، إلا- أن الغرض الذى غلب عليه و اشتهر به هو المناجاه و المخاطبه على مسلك أرباب الطريقه، أورد فى النهج كثيرا منه، فمن ذلك قوله:

فلا و الله ما وصل ابن سينا

و لا أغنى ذكاء أبى الحسين (1)

و لا رجعا بشيء بعد بحث

و تدقيق سوى خفى حنين

لقد طوّفت أطلبكم و لكن

يحول الوقت بينكم و بينى

فهل بعد انقضاء الوقت أحظى

بوصلكم غدا و تقرّ عيني!

منى عشنا بها زما و كانت

تسوّفنا بصدق أو بيمين

فإن أكذب فذاك ضياع دينى

و إن أجذب فذاك حلول دينى

و قوله:

و حقّك إن أدخلتنى النار قلت

للذين بها قد كنت ممن يحبّه

و أفنيت عمرى فى علوم دقيقه

و ما بغيتى إلا رضاه و قربه

هبونى مسيئا أوتغ الجهل قلبه

و أوبقه بين البريه ذنبه (٢)

أ ما يقتضى شرع التكرم عتقه

أ يحسن أن ينسى هواه و حبه!

أما كان ينوى الحق فيما يقوله

أ لم تنصر التوحيد و العدل كتبه!

أما ردّ زيف ابن الخطيب و شكّه

و إلحاده إذ حلّ فى الدين خطبه

أ ما قلتم: من كان فينا مجاهدا

سيكرم مثواه و يعذب شربه

فأى اجتهاد فوق ما كان صانعا

و قد أحرقت زرق الشياطين شبهه

فإن تصفحوا نغم و إن تتجرّوا

فتعذبيكم حلو المذاقه عذبه

و آيه صدق الصّب أن يعذب الأذى

إذا كان من يهوى عليه يصبه

ص: ١٦

١-١ شرح نهج البلاغه ٧٩:١٦-٨٢.

٢-٢ أوتغ: أهلك.

و نحو هذا من الشعر في شرح النهج كثير.

و من طريف ما أورد له صاحب نسمة السحر قوله:

لو لا ثلاث ا أخفّ صرعتى

ليست كما قال فتى العبد (١)

أن أنصر التوحيد و العدل في

كلّ مكان باذلا جهدى

و أن أناجى الله مستمتعا

بخلوه أحلى من الشهد

و أن أتبه الدهر كبرا على

كلّ لئيم أصعر الخدّ

كذاك لا أهوى فتاه و لا

خمرا و لا ذا ميعه نهد

*** و قد اضطرب المؤرخون في تاريخ وفاته؛ فذكر بعضهم أنه توفي في سنة ٦٥٥؛ ذهب إلى ذلك ابن شاکر في كتابيه: فوات الوفيات و عيون التواريخ؛ و كذلك ابن كثير في التاريخ، و العينى في عقد الجمان، و ابن حبيب الحلبي في كتابه دره الأسلاك.

و نقل صاحب كتاب «نسمة السحر» عن الديار بكرى أنه توفي قبل دخول التتار بغداد بنحو سبعة عشر يوما. و كان دخولهم إليها في العشرين من المحرم سنة ٦٥٦؛ على ما ذكره المؤرخون. و قال الذهبى في سير النبلاء (٢): «إنه توفي في الخامس من جمادى الآخرة سنة ست و خمسين و ستمائة».

ص: ١٧

١- ١) يشير بهذا البيت إلى قول طرفه بن العبد في معلقته: و لو لا- ثلاث هنّ من عيشه الفتى و حقّك لم أحفل متى قام عودى فمنهنّ سبق العاذلات بشره كميت متى ما تعل بالماء تزد و كرى إذ ناد المضاف محنبا كسيد الغضا تبته المتورد و تقصير يوم الدّجن و الدّجن معجب بهكنه تحت الخباء المعمد.

٢- ٢) المجلد الثالث عشر، الورقة ٣١٦ (مصوره دار الكتب المصريه رقم ١٢١٩٥ ح).

و ذكر ابن الفوطى فى كتاب مجمع الألقاب أنه أدرك سقوط بغداد، و أنه كان ممن خلص من القتل فى دار الوزير مؤيد الدين العلقمى مع أخيه موفق الدين؛ كما ذكر أيضا فى كتابه الحوادث الجامعة؛ فى وفيات سنة ٦٥٦:

«توفى فيها الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى فى جمادى الآخرة ببغداد...

و القاضى موفق الدين أبو المعالى القاسم بن أبى الحديد المدائنى فى جمادى الآخرة، فرثاه أخوه عزّ الدين عبد الحميد بقوله:

أبا المعالى هل سمعت تأوّهى

فلقد عهدتكم فى الحياه سميعا

عيني بكتك و لو تطيق جوانحي

و جوارحي أجرت عليك نجيعا

أنفا غضبت على الزمان فلم تطع

حبلا لأسباب الوفاء قطوعا

و وفيت للمولى الوزير فلم تعش

من بعده شهرا و لا أسبوعا

و بقيت بعد كما فلو كان الردى

بيدى لفارقنا الحياه جميعا

فعاش عزّ الدين بعد أخيه أربعة عشر يوما».

*** و له من المصنّفات:

١- الاعتبار؛ على كتاب الذريعة فى أصول الشريعة، ذكره ابن الفوطى و صاحب روضات الجنّات.

٢- انتقاد المستصطفى للغزالي، ذكره ابن الفوطى.

٣- الحواشى على كتاب المفصل فى النحو، ذكره ابن الفوطى.

٤- شرح المحصل للإمام فخر الدين الرازى، و هو يجرى مجرى النقض له؛ ذكره ابن الفوطى.

٥- شرح مشكلات الغرر لأبي الحسين البصرى فى أصول الكلام؛ ذكره ابن الفوطى و صاحب روضات الجنّات.

٦- ديوان شعره، ذكره ابن شاکر الکتبى.

٧- زيادات النقصين، ذكر المؤلف فى الجزء الأول ص ٦١.

٨- شرح نهج البلاغه، و هو هذا الكتاب.

٩- شرح الياقوت لابن نوبخت فى الكلام، ذكره ابن الفوطى و صاحب روضات الجنّات.

١٠- العبقرى الحسان، ذكره صاحب روضات الجنّات، و قال: و هو كتاب غريب الوضع قد اختار فيه قطعه و افره من الكلام و التواريخ و الأشعار، و أودعه شيئاً من إنشائه و ترسلاته و منظوماته.

١١- الفلك الدائر على الملك السائر (١)؛ ألفه برسم الخليفه المستنصر؛ بدأ فى تأليفه فى أول ذى الحجه سنه ٦٣٣، و فرغ منه فى خمسه عشر يوماً.

١٢- القوائد السبع العلويات (٢)، ذكر ابن الفوطى أنه نظمها فى صباه و هو بالمدائن سنه ٦١١.

١٣- المستنصرىات؛ كتبها برسم الخليفه المستنصر؛ و منه نسخه بمكتبه السماوى بالنجف.

١٤- نظم فصيح ثعلب؛ ذكره ابن شاکر و صاحب كشف الظنون.

١٥- نقض المحصول فى علم الأصول للإمام فخر الدين الرازى؛ ذكره ابن الفوطى و صاحب روضات الجنّات و صاحب كشف الظنون.

١٦- الوشاح الذهبى فى العلم الأدبى، ذكره ابن الفوطى.

ص: ١٩

١- (١) طبع بالهند سنه ١٣٠٩ هـ.

٢- (٢) طبع العجم سنه ١٣١٧.

و حينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب بذلت الجهد الممكن فى الحصول على النسخ التى تعين على تحقيقه، و قد وقع لى من ذلك ما يأتى:

١-نسخه كامله تقع فى عشرين جزءا بخطوط معتاده مختلفه، مصوره عن الأصل المحفوظ بمكتبه المتحف البريطانى برقم ١٢٦؛ و يبدو أنها كتبت جميعها فى القرن الحادى عشر و الثانى عشر؛ و قد رمزت لها بالحرف (ا).

٢-نسخه كامله مطبوعه على الحجر فى طهران سنه ١٢٧١ هـ، و رمزت لها بالحرف (ب).

٣-نسخه مصوره عن أصلها المخطوطه بالمكتبه الظاهريه، محفوظ برقم (٧٩٠٤ عام)، تشتمل على عشره أجزاء من الكتاب، مكتوبه بخط دقيق، مضبوطه بالشكل الكامل، و على حواشيه شروح و تعليقات؛ جاء فى آخرها: «و قد فرغ من تسويد هذا الكتاب بعون الملك الوهاب، أقل العباد؛ محمد حسن الأبهري الأصفهانيّ يوم الخميس، ثالث صفر، ختم بالخير و الظفر، سنه اثنتين و ثمانين بعد الألف، من الهجره النبويّه المصطفويه»، و قد رمزت لها بالحرف (ج) (١).

٤-نسخه مخطوطه محفوظه بدار الكتب برقم ١٨٦٨-أدب، تشتمل على عشره أجزاء فى ثلاثه مجلدات، المجلد الأول يشتمل على عشره أجزاء فى ثلاثه مجلدات؛ المجلد الأوّل يشتمل على الأجزاء: السادس و السابع و الثامن. و المجلد الثانى يشتمل

ص: ٢٠

١-١) ذكرت فى مقدّمه الجزء الثانى (من الطبعة الأولى)، أنى رجعت إلى هذه النسخه من ص ٦٥؛ و فى هذه الطبعة رجعت إليها من أوّل الكتاب.

على الجزأين: التاسع و العاشر؛ و هذان المجلدان مكتوبان بخط فارسيّ، بخط محمّد مؤمن، سنة إحدى و أربعين و ألف؛ أما المجلد الثالث فيشتمل على الأجزاء الخمسة الأخيره؛ من الجزء السادس عشر إلى الجزء العشرين؛ تمت كتابتها سنة تسع و تسعين و ألف، بخط محمّد مزيد. و قد رمزت لها بالحرف (د) (1).

كما أنى رجعت فى تحقيق متن نهج البلاغه-فوق النسخ التى اعتمدت عليها فى شرحه- إلى نسخه منه مخطوطه محفوظه بمكتبه طلعت بدار الكتب برقم ٤٨٤٠- أدب، و هى نسخه خزائنيه كتبت بالقلم النسخ الجميل، مضبوطه بالشكل الكامل؛ و محلاه بالذهب و اللازورد، كتبت برسم «خزانه غياث الحق و الدين»، سنة اثنتين و ثمانين و ستمائه، بخط الحسين بن محمّد الحسنى.

*** و قد اقتضانى أيضا تحقيق هذا الكتاب الجامع أن أرجع إلى ما أمكننى الاطلاع عليه من الكتب التى رجع إليها المؤلف، كتاريخ الطبرى، و الأغانى و مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهانى، و الحيوان و البيان و التبيين و العثمانيه للجاحظ، و الشافى للشريف المرتضى، و المغنى للقاضى عبد الجبار، و حليه الأولياء لأبى نعيم، و كتاب صفين للمنقرى، و الكامل للمبرد، و الأوائل لأبى هلال العسكري، و نسب قريش للزبير بن بكار، و المنتظم لابن الجوزى

ص: ٢١

١ - ١) ذكرت فى مقدّمه الطبعه الأولى أنى حصلت على مصورات لأجزاء مختلفه من مكتبه المتحف البريطانى و مكتبه الفاتيكان؛ و بالرجوع إليها تبين أنها مضطربه يشيع فيها الخطأ و التحريف، فلم أر ما يدعو إلى الرجوع إليها؛ كما أن بدار الكتب المصريه نسخه مخطوطه محفوظه برقم ٥٧٦- أدب، تمت كتابتها فى صبيحه يوم الخميس التاسع من شهر شعبان سنة ١٢٩٢، لم أرجع إليها، إذ ترجح عندى أنها منسوخه عن مطبوعه طهران؛ أما النسخه المطبوعه فى مصر سنة ١٣٢٩، فيبدو أنها طبعت عن مطبوعه طهران أيضا فلم أرجع إليها.

و الصحاح للجوهري، و غيرها من كتب الأدب و اللغه و التاريخ؛ كما أنى رجعت فيما أورده من الشعر إلى دواوين الشعراء و المجموعات المختاره منها. و حاولت أن أضبط الأعلام و النصوص اللغويّه و الشعريه ضبطا صحيحا؛ و علفت فى الحواشى ما اقتضاه إيضاح النصّ تعليقا وسطا فى غير إسراف و لا تقصير.

كما أنى فضلت موضوعاته بعناوين وضعتها بين علامتى الزيادة لتتضح معالم الكتاب، و تسهل الإحاطه بما فيه.

و سيخرج الكتاب- بما أرجو من الله المعونه و التأيد- فى عشرين جزءا كما وضعه مؤلفه؛ أما الفهارس العامّه المتنوعه فسأفرد لها جزءا خاصا فى آخر الكتاب، و الله الموفق للصواب رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَ إِلَيْكَ أُنْبِئْنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ (١).

القاهره فى ١٠ جمادى الآخره سنه ١٣٧٨ هـ ٢١ ديسمبر سنه ١٩٥٨ م محمّد أبو الفضل إبراهيم

ص: ٢٢

١- (*) هذه مقدّمه الطبعة الأولى مع تعديل فى وصف النسخ.

لم تكند تظهر هذه الطبعه من هذا الكتاب لجميع أجزاءه؛حتى أقبليت الجمهوره من العلماء و المتأدين على اقتنائته،و مدارسه فصوله و أبوابه،و استيعاب ما حواه من صنوف الآداب و ضروب الفنون و المعارف؛حتى نفذت أجزاءه الأولى في زمن يسير.

و حينما شرعت في إعداد الطبعه الثانيه،و جدتها فرصه طيبه لأن أعيد النظر في تحقيقه، و أجيل الفكر لزياده شرحه و تصحيحه،و أن أستدرك ما فاتني من التعليق،أو جانبي فيه وجه الصواب؛و قد أعانني على ذلك أمور..

منها أنه تسنى لي بعد الفراغ من تحقيقه الاطلاع على كثير من كتب الأدب و التاريخ و دواوين الشعر ممّا لم يتيسر لي الاطلاع عليه في الطبعه الأولى؛و قد كان عملي في تحقيق تاريخ الطبري و ظهور معظم أجزاءه؛مما حقق كثيرا من نصوصه؛إذ كان هذا التاريخ الكبير من أهم مراجع المؤلف و مصادره؛كما أن ما قمت به من تحقيق متن نهج البلاغه،مراجعا على نسخ خطيه أصيله و شرحه شرحا موجزا؛مما قوم الكثير من ألفاظه،و حقق بعض رواياته.

و منها أن فريقا من العلماء حين وقع إليهم هذا الكتاب قابلوه بالاهتمام الشديد، و تناولوه بالنقد النافع التزيه؛و قدروا ما بذل فيه من جهد و عناء؛و كانت لهم ملاحظات قيمه كتبوا إلي بها؛أذكر منهم الأستاذ مكى السيد جاسم؛أحد علماء العراق و فضلائها؛ فقد قرأ الكتاب جميعه،و أرسل إلي ملاحظاته على كثير من أجزاءه؛و قد انتفعت بهذا النقد الكريم؛و أثبت ملاحظاته في هذه الطبعه.

و أمر آخر؛ هو أنى حينما أتممت تحقيق جميع أجزاء الكتاب، و أخذت فى عمل فهرسه و معاوده قراءته، انضحت لى معالمه و طرائقه، و أنست إلى مراجعه و مظانته، و عرفت مواطن الاستدراك و التعقيب، و فطنت إلى مجالات أخرى للتصحيح و التعليق، و تبينت لى الأخطاء المطبعيه؛ و أمكن لى أن أعمل الجديد و الهام فى هذه الطبعه.

هذا، و قد كان عملى فى إنجاز الكتاب على هذا النحو؛ ثم اشتغالى مره أخرى بإعاده تحقيقه-بعد أن خلت المكتبه العربيه من أجزاءه الأولى- معوّقا عن إنجاز الفهارس العامه فى حينها؛ و لكننى دائم العمل فيها، مهتم بإتمامها و إخراجها على الوجه الكامل؛ و ستظهر إن شاء الله فى الجزء الحادى و العشرين للطبعتين الأولى و الثانيه.

و من الله أطلب هدايه و تيسيرا، و عوننا و توفيقا

القاهره فى ١٢ جمادى الأولى سنه ١٣٨٥ هـ ٨ سبتمبر سنه ١٩٦٥

محمّد أبو الفضل إبراهيم

ص: ٢٤

اشاره

ص: ۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [الواحد العدل]

(١) الحمد لله الذى تفرد بالكمال فكل سواه منقوص و استوعب عموم المحامد و الممادح فكل ذى عموم عداه مخصوص الذى وزع منفسات نعمه بين من يشاء من خلقه و اقتضت حكمته أن نافس الحاذق فى حذقه فاحتسب به عليه من رزقه و زوى (٢) الدنيا عن الفضلاء فلم يأخذها الشريف بشرفه و لا السابق بسبقه و قدم المفضول على الأفضل لمصلحه اقتضاها التكليف و اختص الأفضل من جلائل المآثر و نفائس المفاخر بما يعظم عن التشبيه و يجعل عن التكليف و صلى الله على رسوله محمد الذى (٣) المكنى عنه شعاع من شمس و غصن من غرسه و قوه من قوى نفسه و منسوب إليه نسبه الغد إلى يومه و اليوم إلى أمسه فما هما إلا سابق و لاحق و قائد و سائق و ساكت و ناطق و مجل و مصل سبعا لمحبه البارق و أنارا سدفة الغاسق صلى الله عليهما ما استخلب (٤) خبير و تناوح حراء و ثبير (٥) .

و بعد فإن مراسم المولى الوزير الأعظم صاحب (٦) الصدر الكبير المعظم العالم العادل المظفر المنصور المجاهد المرابط (٧) مؤيد الدين عضد الإسلام سيد وزراء الشرق و الغرب أبى طالب (٨)

ص: ٣

-
- ١-١ (١) تكمله من ب.
 ٢-٢ (٢) زوى الدنيا: نحاها و صرفها.
 ٣-٣ (٣) فى ا: «و الذى».
 ٤-٤ (٤) استخلب، بالبناء للمجهول: قطع. و الخبير: النبات، و ورد فى حديث طهفه: «و نستخلب الخبير»، قال ابن الأثير: الخبير: النبات و العشب، شبه بخبير الإبل؛ و هو وبرها. النهاية ٢٨٠: ١.
 ٥-٥ (٥) يقال: هما جبلان يتناوحان؛ إذا كانا متقابلين؛ و ثبير: جبل شامخ بمكة يقابل حراء؛ و هو أرفع من ثبير. ياقوت ٢٤٠: ٣.
 ٦-٦ (٦) ب: «صاحب».
 ٧-٧ (٧) ا: «و المرابط».
 ٨-٨ (٨) فى الطبعة الأولى: «أبى محمّد بن أحمد»، و هو خطأ.

نصير أمير المؤمنين أسبغ الله عليه من ملابس النعم أضفاها و أحله من مراقب السعاده و مراتب السيادة أشرفها و أعلاها لما شرفت عبد دولته و ربيب نعمته بالاهتمام بشرح نهج البلاغه على صاحبه أفضل الصلوات و لذكره أطيب التحيات بادر إلى ذلك مبادره من بعثه من قبل عزم ثم حملهُ (٢) أمر جزم و شرع فيه بادی الرأى شروع مختصر و على ذكر الغريب و المعنى مقتصر ثم تعقب الفكر فرأى أن هذه النغبه (٣) لا تشفى أواما و لا تزيد الحائم إلا خياما فتنكب ذلك المسلك و رفض ذلك المنهج و بسط القول فى شرحه بسطا اشتمل على الغريب و المعانى و علم البيان و ما عساه يشته و يشكل من الإعراب و التصريف و أورد فى كل موضع ما يطابقه من النظائر و الأشباه نثرا و نظما و ذكر ما يتضمنه من السير و الوقائع و الأحداث فصلا فصلا و أشار إلى ما ينطوى عليه من دقائق علم التوحيد و العدل إشاره خفيفه و لوح إلى ما يستدعى الشرح ذكره من الأنساب و الأمثال و النكت تلويحات لطيفه و رصعه من المواعظ الزهديه و الزواجر الدينيه و الحكم النفسيه و الآداب الخلقيه المناسبه لفقره و المشاكلة لدرره و المنتظمه مع معانيه فى سمط و المتسقه مع جواهره فى لط (٤) بما يهزأ بشنوف النضار و يخجل قطع الروض غب القطار و أوضح ما يومئ إليه من المسائل الفقهيته و برهن على أن كثيرا من فصوله داخل فى باب المعجزات المحمديه لاشتمالها على

ص: ٤

١-١) هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي البغدادي، وزير المستعصم بالله، الخليفة العباسي. اشتغل فى صباه بالأدب، ففاق فيه، و كتب خطا مليحا، و ترسل ترسلا فصيحا، و كان ليبيبا كريما، رئيسا متمسكا بقوانين الرئاسه، خبيراً بأدوات السياسه، محبا للأدب، مقربا لأهل العلم، اقتنى كتبا كثيره نفيسه، و صنف الناس له؛ منهم الصغانى، صنف له العباب، و هذا المصنّف الذى ألف برسمه، و كان ممدحا، مدحه الشعراء، و انتجعه الفضلاء، و أخباره الطيبه كثيره و جليه. توفى سنه ٦٥٦. الفخرى، ٢٩٥، ٢٩٦.

٢-٢) ب، ج: «حركه».

٣-٣) النغبه فى الأصل: الجرعه من الماء. و فى ا: «البغيه»، و الأجود ما أثبتته من ب.

٤-٤) اللط، بالفتح: القلاده.

الأخبار الغيبية و خروجها عن وسع الطبيعه البشريه و بين من مقامات العارفين التي يرمز إليها في كلامه ما لا يعقله إلاّ العالمون و لا يدركه إلاّ الروحانيون المقربون و كشف عن مقاصده ع في لفظه يرسلها و معضله (١) يكنى عنها و غامضه يعرض بها و خفايا يجمع (٢) بذكرها و هنات تجيش في صدره فينفث بها نفثه المصدور و مرمضات مؤلمات يشكوها فيستريح بشكواها استراحه المكروب.

فخرج هذا الكتاب كتابا كاملا في فنه واحدا بين أبناء جنسه ممتعا بمحاسنه جليله فوائده شريفه مقاصده عظيما شأنه عاليه منزلته و مكانه و لا- عجب أن يتقرب بسيد الكتب إلى سيد الملوك و بجامع الفضائل إلى جامع المناقب و بواحد العصر إلى أوحد الدهر فالأشياء بأمثالها أليق و إلى أشكالها أقرب و شبه الشيء إليه منجذب و نحوه دان و مقرب.

و لم يشرح هذا الكتاب قبلي فيما أعلمه إلاّ واحد و هو سعيد بن هبه الله بن الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراوندي (٣) و كان من فقهاء الإماميه و لم يكن من رجال هذا الكتاب لاقتصاره مده عمره على الاشتغال بعلم الفقه وحده و أنى للفقيه أن يشرح هذه الفنون المتنوعه و يخوض في هذه العلوم المتشعبه لا- جرم أن شرحه لا- يخفى حاله عن الذكي و جرى الوادي فطم على القرى (٤) و قد تعرضت في هذا الشرح لمناقضته

ص: ٥

١-١) كذا في ج، و جمجم بالكلام: لم يبينه، و في ا، ب: «يجم».

٢-٢) ا: «معضله»، بدون الواو.

٣-٣) هو سعيد بن هبه الله بن الحسن الراوندي، أحد فقهاء الشيعة؛ و تصانيفه كثيره متنوعه؛ أسمى كتابه في شرح النهج «منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه»، و توفى سنه ٥٧٣. لسان الميزان ٣: ٤٨، وروضات الجنّات ٣٠٢.

٤-٤) جرى الوادي فطم على القرى، مثل؛ قال الميداني في شرحه: أي جرى سيل الوادي فطم، أي دفن؛ يقال: طم السيل الركيه؛ أي دفنها. و القرى: مجرى الماء في الروضه، و الجمع أقربه و قريان، و «على» من صله المعنى؛ أي أتى على القرى؛ يعني أهلكه بأن دفنه؛ يضرّب عند تجاوز الشيء حده. مجمع الأمثال ١: ١٥٩.

فى مواضع يسيره اقتضت الحال ذكرها و أعرضت عن كثير مما قاله إذ لم أر فى ذكره و نقضه كبير فائده.

و أنا قبل أن أشرع فى الشرح أذكر أقوال أصحابنا رحمهم الله فى الإمامه و التفضيل و البغاه و الخوارج و متبع ذلك بذكر نسب أمير المؤمنين ع و لمع يسيره من فضائله ثم أثلت بذكر نسب الرضى أبى الحسن محمّد بن الحسين الموسوى رحمه الله و بعض خصائصه و مناقبه ثم أشرع فى شرح خطبه نهج البلاغه التى هى من كلام الرضى أبى الحسن رحمه الله (١) فإذا انتهيت من ذلك كله ابتدأت بعون الله و توفيقه فى شرح كلام أمير المؤمنين ع شيئاً فشيئاً.

و من الله سبحانه أستمد المعونه و أستدر أسباب العصمه و أستميح غمائم الرحمه و أمتري أخلاف البركه و أشيم بارق النماء و الزيادة فما المرجو إلا فضله و لا المأمول إلا طوله و لا الوثوق إلا برحمته و لا السكون إلا إلى رأفته رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)

ص: ٦

١-١) ب: «رضى الله عنه».

٢-٢) سورة الممتحنه ٤، ٥.

القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزلة في الإمامه و التفضيل و البغاه و الخوارج

اتفق شيوخنا كافة رحمهم الله المتقدمون منهم و المتأخرون و البصريون و البغداديون على أن يبعه أبي بكر الصديق يبعه صحيحه شرعيه و أنها لم تكن عن نص و إنما كانت بالاختيار الذي ثبت بالإجماع و بغير الإجماع كونه طريقا إلى الإمامه.

و اختلفوا في التفضيل فقال قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عبيد و أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام و أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ و أبي معن ثمامه بن أشرس و أبي محمّد هشام بن عمرو الفوطي و أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام و جماعه غيرهم إن أبا بكر أفضل من علي ع و هؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

و قال البغداديون قاطبه قدماءهم و متأخروهم كأبي سهل بشر بن المعتمر و أبي موسى عيسى بن صبيح و أبي عبد الله جعفر بن مبشر و أبي جعفر الإسكافي و أبي الحسين الخياط و أبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي و تلامذته إن عليا ع أفضل من أبي بكر. و إلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمّد بن عبد الوهاب الجبائي أخيرا و كان من قبل من المتوقفين كان يميل إلى التفضيل و لا يصرح به و إذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته و قال في كثير من تصانيفه إن صح خبر الطائر فعلى أفضل (١)

ص: ٧

١-١) يشير إلى ما رواه الترمذي في باب المناقب ١٧٠:١٣، بسنده عن أنس بن مالك، و لفظه: كان عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ طير، فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء علي فأكل معه. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا يعرف من حديث السدي إلا من هذا الوجه.

ثم إن قاضى القضاة رحمه الله ذكر فى شرح المقالات لأبى القاسم البلخى أن أبا على رحمه الله ما مات حتى قال بتفضيل على ع وقال إنه نقل ذلك عنه سماعا ولم يوجد فى شىء من مصنفاته وقال أيضا إن أبا على رحمه الله يوم مات استدنى ابنه أبا هاشم إليه وكان قد ضعف عن رفع الصوت فألقى إليه أشياء من جملتها القول بتفضيل على ع. و ممن ذهب من البصريين إلى تفضيله ع الشيخ أبو عبد الله الحسين بن على البصرى رضى الله عنه كان متحققا بتفضيله و مبالغا فى ذلك و صنف فيه كتابا مفردا.

و ممن ذهب إلى تفضيله ع من البصريين قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمه الله ذكر ابن متويه عنه فى كتاب الكفايه فى علم الكلام أنه كان من المتوقفين بين على ع و أبى بكر ثم قطع على تفضيل على ع بكامل المنزله.

و من البصريين الداهيين إلى تفضيله ع أبو محمّد الحسن بن متويه صاحب التذكرة نص فى كتاب الكفايه على تفضيله ع على أبى بكر احتج لذلك و أطال فى الاحتجاج.

فهذان المذهبان كما عرفت.

و ذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما و هو قول أبى حذيفه واصل بن عطاء و أبى الهذيل محمّد بن الهذيل العلاف من المتقدمين و هما و إن ذهبا إلى التوقف (1) بينه ع و بين أبى بكر و عمر قاطعان على تفضيله على عثمان .

ص: ٨

و من الذاهبين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي رحمهما الله و الشيخ أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصرى رحمه الله.

و أمّا نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله ع و قد ذكرنا فى كتبنا الكلاميه ما معنى الأفضل و هل المراد به الأ-كثر ثوابا أو (١) الأ-جمع لمزايا الفضل و الخلال الحميده و بينا أنه ع أفضل على التفسيرين معا و ليس هذا الكتاب موضوعا لذكر الحجاج فى ذلك أو فى غيره من المباحث الكلاميه لندكره و لهذا موضع هو أملكك به.

و أما (٢) القول فى البغاه عليه (٣) و الخوارج فهو على (٤) ما أذكره لك.

أما أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عائشه و طلحه و الزبير (٥) رحمهم الله (٦) فإنهم تابوا و لو لا التوبه لحكم لهم بالنار لإصرارهم على البغى.

و أمّا عسكر الشام بصفين فإنهم هالكون كلهم عند أصحابنا لا يحكم لأحد منهم إلا بالنار لإصرارهم على البغى و موتهم عليه رؤسائهم و الأتباع جميعا.

و أما الخوارج فإنهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوى المجمع عليه و لا يختلف أصحابنا فى أنهم من أهل النار .

و جملة الأمر أن أصحابنا يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه و لا ريب فى أن الباغى على الإمام الحق و الخارج عليه شبيهه أو بغير شبيهه فاسق و ليس هذا ممّا يخصون به عليا ع فلو خرج قوم من المسلمين على غيره من أئمه الإسلام العدول (٧) لكان حكمهم حكم من خرج على على ص . و قد برئ (٨) كثير (٩) من أصحابنا من قوم من الصحابه أحبوا ثوابهم كالمغيره بن شعبه

ص: ٩

١- ١) ب: «أم».

٢- ٢) ب، ج: «فأما».

٣- ٣) ساقطه من ا.

٤- ٤) ا: «فعلى ما أذكره».

٥- ٥) ساقط من ب.

٦- ٥) ساقط من ب.

٧- ٧) ب: «يرى»، تصحيف.

٨- ٨) كذا فى ب، ج، و فى ا: «قوم».

و كان شيخنا أبو القاسم البلخيّ إذا ذكر عنده عبد الله بن الزبير يقول لا خير فيه و قال مره لا يعجبني صلاته و صومه و ليسا
بنافعين له مع

١

قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُغْنِيكَ إِلَّا مُنَافِقٌ.

و قال أبو عبد الله البصري رحمه الله لما سئل عنه ما صح عندي أنه تاب من يوم الجمل و لكنه استكثر مما كان عليه.

فهذه هي المذاهب و الأقوال أما الاستدلال عليها فهو مذكور في الكتب الموضوعه لهذا الفن

ص: ١٠

القول فى نسب أمير المؤمنين على ع و ذكر لمع يسيره من فضائله

هو أبو الحسن عليّ بن أبى طالب و اسمه عبد مناف بن عبد المطلب و اسمه شيبه بن هاشم و اسمه عمرو بن عبد مناف بن قصى
الغالب عليه من الكنيه ع أبو الحسن

٢

١٤،٢،٣،١ و كَانَ ابْنُهُ الْحَسَنُ ع يَدْعُوهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَبَا الْحُسَيْنِ وَ يَدْعُوهُ الْحُسَيْنُ ع أَبَا الْحَسَنِ وَ يَدْعُوَانِ رَسُولَ اللَّهِ
ص أَبَاهُمَا فَلَمَّا تُوفِّيَ النَّبِيُّ ص (١) دَعَاَهُ بِأَبِيهِمَا .

٣

١٤،١- وَ كَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص أَبَا تُرَابٍ وَ حَيْدَهُ نَائِمًا فِي تُرَابٍ قَدْ سَقَطَ عَنْهُ رِدَاؤُهُ وَ أَصَابَ التُّرَابُ جَسَدَهُ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ عِنْدَ
رَأْسِهِ وَ أَيْقَظَهُ وَ جَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَ يَقُولُ لَهُ اجْلِسْ إِنَّمَا أَنْتَ أَبُو تُرَابٍ

(٢)

فكانت من أحب كناه إليه ص و كان يفرح إذا دعى بها و كانت ترغّب بنو أمية خطباءها (٣)

ص: ١١

(١-١) ساقطه من ا.

(٢-٢) روايه الخبر كما فى صحيح البخارى، فى كتاب فضائل الصحابه ٢:٣٠٠؛ بسنده عن عبد الله ابن مسلمه: «أن رجلا جاء إلى
سهل بن سعد، فقال: هذا فلان-لأمير المدينة- يدعو عليا عند المنبر، قال: فيقول ما ذا؟ قال: يقول له: أبو تراب. فضحك، قال: والله ما
سماه إلا النبي صلى الله عليه و سلم، و ما كان له اسم أحب إليه. فاستطعمت الحديد سهلا، و قلت: يا أبا عباس، كيف؟ قال: دخل
عليّ على فاطمه، ثم خرج فاضطجع فى المسجد، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: أين ابن عمك؟ قالت: فى المسجد، فخرج إليه
فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، و خلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب، مرتين». و لهذا
الخبر روايه أخرى ذكرها صاحب الرياض النضره فى ٢:١٥٤.

(٣-٣) ب، ج: «فدعت بنو أمية»، و ما أثبتته من ا.

أن يسبوه بها على المنابر و جعلوها نقيصه له و وصمه عليه فكأنما كسوه بها الحلى و الحلل كما قال الحسن البصرى رحمه الله.
و كان اسمه الأول الذى سمته به أمه حيدرته باسم أبيها أسد بن هاشم و الحيدرته الأسد فغير أبوه اسمه و سماه عليا. و قيل إن
حيدرته اسم كانت قريش تسميه به و القول الأوّل أصح يدلّ عليه

٤

١- خَبْرُهُ (١) يَوْمَ بَرَزَ إِلَيْهِ مَرْحَبٌ وَ ارْتَجَزَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي مَرْحَبًا (٢).

فَأَجَابَهُ عَ رَجْزًا أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ

(٣)

و رجزهما معا مشهور منقول لا حاجة لنا الآن إلى ذكره.

و تزعم الشيعة أنه خوطب في حيايه رسول الله ص بأمر المؤمنين خاطبه بذلك جله المهاجرين و الأنصار و لم يثبت ذلك في
أخبار المحدثين إلا أنهم قد رووا ما يعطى هذا المعنى و إن لم يكن اللفظ بعينه و هو

٥

قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص لَهُ أَنْتَ يَعْسُوبُ الدِّينِ وَ الْمَالُ يَعْسُوبُ الظَّلْمَةَ.

٦

وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى هَذَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ

ص: ١٢

١- (١) الخبر رواه مسلم مفصلا بسنده عن إياس بن سلمة عن أبيه، في كتاب الجهاد و السير ص ١٤٣٣-١٤٤١، في غزوه خيبر.

٢- (٢) رواه مسلم: قد علمت خيبر أنّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب * إذا الحروب أقبلت تلهب *.

٣- (٣) بقيته، كما رواه مسلم: كليث غابات كربه المنظره أو فيهم بالصّاع كيل السندره و السندره: مكيال واسع.

و اليعسوب ذكر النحل و أميرها روى هاتين الروايتين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني في المسند في كتابه فضائل الصحابه و رواهما أبو نعيم الحافظ في حليه الأولياء (٢). و دعى بعد وفاه رسول الله ص بوصى رسول الله لوصايته إليه بما أراده و أصحابنا لا ينكرون ذلك و لكن يقولون إنها لم تكن وصيه بالخلافه بل بكثير من المتجددات بعده أفضى بها إليه ع و سنذكر طرفا من هذا المعنى فيما بعد.

و أمه فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى أول هاشميه ولدت لهاشمى كان على ع أصغر بنيتها و جعفر أسن منه بعشر سنين و عقيل أسن منه بعشر سنين و طالب أسن من عقيل بعشر سنين و فاطمه بنت أسد أمهم جميعا.

و أم فاطمه بنت أسد فاطمه بنت (٣) هرم بن رواحه بن حجر بن عبد بن معيص [بن عامر بن لؤى و أمها حديه بنت]

(٤) وهب بن ثعلبه بن وائله بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر [و أمها فاطمه بنت عبيد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى و أمها سلمى بنت عامر بن ربيعه بن هلال بن أهيب بن ضبه بن الحارث بن فهر]

(٥) و أمها عاتكه بنت أبى همهمه و اسمه عمرو بن عبد العزى بن عامر بن عميره بن وديعه (٦) بن الحارث بن فهر و أمها تماضر بنت عمرو بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى و أمها حبيبه و هى أمه الله بنت عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسى و هو ثقيف و أمها فلانه بنت مخزوم بن أسامه بن ضبع (٧) بن وائله بن نصر بن صعصعه بن ثعلبه بن كنانه بن عمرو بن قين بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان

ص: ١٣

١- ١) و رواه أيضا الطبرانى فى الكبير، و نقله صاحب الرياض النضره ٢: ١٥٥؛ مع اختلاف فى اللفظ.

٢- ٢) حليه الأولياء ١: ٦٣، بسنده عن أنس، و لفظه: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا أنس، أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين، و سيد المسلمين، و قائد الغر المحجلين، و خاتم الوصيين».

٣- ٣) فى مقاتل الطالبين: «و تعرف بحبى بنت هرم».

٤- ٤) تكمله من مقاتل الطالبين.

٤- ٥) تكمله من مقاتل الطالبين.

٦- ٦) كذا فى ب، و فى ا: «ضبيح»، و فى مقاتل الطالبين «صبح».

بن مضر و أمها ريطه بنت يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف و أمها (١) كله بنت حصين بن سعد بن بكر بن هوازن و أمها حبي بنت الحارث بن النابغه بن عميره بن عوف بن نصر بن بكر بن هوازن ذكر هذا النسب أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين (٢).

٧

١٤- أُسْلِمَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ بَعْدَ عَشْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ كَانَتْ الْخَادِيَةَ عَشْرَةَ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يُكْرِمُهَا وَ يُعْظِمُهَا وَ يَدْعُوهَا أُمِّي وَ أَوْصَتْ إِلَيْهِ حِينَ حَضَرَ رَتْهَا الْوَفَاءُ فَقَبِلَ وَ صَبَّ يَتَّهَا وَ صَدَّقَ عَلَيَّهَا وَ نَزَلَ فِي لَحْدِهَا وَ اضْطَجَعَ مَعَهَا فِيهِ بَعْدَ أَنْ أَلْبَسَهَا قَمِيصَهُ فَقَالَ لَهُ أَضِيحَابُهُ إِنَّا مَا رَأَيْنَاكَ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَحَدٍ مَا صَدَقْتَ بِهَا فَقَالَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ أَبْرَبِي مِنْهَا إِنَّمَا أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتُكْسِي مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ وَ اضْطَجَعْتُ مَعَهَا لِيَهْوَنَ عَلَيْهَا وَ غَطَّ الْقَبْرَ وَ فَاطِمَةُ أَوَّلُ امْرَأَةٍ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنَ النِّسَاءِ

و أم أبي طالب بن عبد المطلب فاطمه بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم و هي أم عبد الله والد سيدنا رسول الله ص و أم الزبير بن عبد المطلب و سائر ولد عبد المطلب بعد لأمهات شتى.

و اختلف في مولد علي ع أين كان فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة و المحدثون لا يعترفون بذلك و يزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. و اختلف في سنة حين أظهر النبي ص الدعوه إذ تكامل له ص أربعون سنة فالأشهر من الروايات أنه كان ابن عشر و كثير من أصحابنا المتكلمين يقولون إنه كان ابن ثلاث عشره سنة ذكر ذلك شيخنا أبو القاسم البلخي و غيره من شيوخنا.

ص: ١٤

(١-١) مقاتل الطالبين: «كليه بنت قصيه».

(٢-٢) في ترجمه جعفر بن أبي طالب ص ٧.

و الأولون يقولون إنه قتل و هو ابن ثلاث و ستين سنه و هؤلاء يقولون ابن ست و ستين و الروايات فى ذلك مختلفه و من الناس من يزعم أن سنه كانت دون العشر و الأكثر الأظهر خلاف ذلك.

٨

١٤,١- وَ ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلَاذُرِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْبَهَانِيُّ أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهَا أَرْزَمَةٌ وَ فَحَطُّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِعَمِّيهِ حَمْزَةَ وَ الْعَبَّاسِ أَلَا نَحْمِلُ نِقْلَ أَبِي طَالِبٍ فِي هَذَا الْمَحَلِّ فَجَاءُوا إِلَيْهِ وَ سَأَلُوهُ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمْ وَ لِدَهُ لِيَكْفُوهُ أَمْرَهُمْ فَقَالَ دَعُوا لِي عَقِيلًا وَ خُذُوا مَنْ شِئْتُمْ وَ كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِعَقِيلٍ فَأَخَذَ الْعَبَّاسُ طَالِبًا وَ أَخَذَ حَمْزَةَ جَعْفَرًا وَ أَخَذَ مُحَمَّدٌ ص عَلِيًّا وَ قَالَ لَهُمْ قَدْ اخْتَرْتُ مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ عَلِيًّا قَالُوا فَكَانَ عَلِيُّ ع فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ص مُنْذُ كَانَ عُمُرُهُ سِتِّ سِنِينَ

و كان ما يسدى إليه ص من إحسانه و شفقتة و بره و حسن تربيته كالمكافأه و المعاوضه لصنيع أبى طالب به حيث مات عبد المطلب و جعله فى حجره و هذا يطابق

٩

قَوْلُهُ ع

لَقَدْ عَبَدْتُ اللَّهَ قَبْلَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ .

١٠

١٤,١- وَ قَوْلُهُ كُنْتُ أَسْمَعُ الصَّوْتِ وَ أَبْصُرُ الضُّوْءَ سَبْعًا وَ رَسُولُ اللَّهِ ص حِينَئِذٍ صَامِتٌ مَا أَدْنَى لَهُ فِي الْإِنْدَارِ وَ التَّيْلِغِ .

و ذلك لأنه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوه ثلاث عشره سنه و تسليمه إلى رسول الله ص من أبيه و هو ابن ست فقد صح أنه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين و ابن ست تصح منه العباده إذا كان ذا تمييز على أن عباده مثله هى التعظيم و الإجلال و خشوع القلب و استخذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه و آياته الباهره و مثل هذا موجود فى الصبيان.

١١

١- وَ قُتِلَ ع لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ فِي

ص: ١٥

رَوَايَهُ أَبِي عَزِيدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ (١) وَهِيَ الرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ وَفِي رَوَايَةِ أَبِي مِخْنَفٍ أَنَّهَا كَانَتْ لِإِخْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَ عَلَيْهِ الشَّيْعَةُ فِي زَمَانِنَا .

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَثْبَتَ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَ اللَّيْلَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هِيَ لَيْلَةُ بَدْرٍ وَ قَدْ كَانَتْ الرُّوَايَاتُ وَرَدَتْ أَنَّهُ يُقْتَلُ فِي لَيْلَةِ بَدْرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَبْرُهُ بِالْغُرَى . وَ مَا يَدْعِيهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي قَبْرِهِ وَ أَنَّهُ حُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَوْ أَنَّهُ دُفِنَ فِي رَحْبَةِ الْجَامِعِ أَوْ عِنْدَ بَابِ قَصْرِ الْإِمَارَةِ أَوْ نَدِ الْبَعِيرِ الَّذِي حُمِلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَتْهُ الْأَعْرَابُ بِاطْلِ كَلِّهِ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَ أَوْلَادُهُ أَعْرَفُ بِقَبْرِهِ وَ أَوْلَادُ كُلِّ النَّاسِ أَعْرَفُ بِقُبُورِ آبَائِهِمْ مِنَ الْأَجَانِبِ وَ هَذَا الْقَبْرُ الَّذِي زَارَهُ بَنُوهُ لَمَّا قَدِمُوا الْعِرَاقَ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ع وَ غَيْرُهُ مِنْ أَكْبَرِهِمْ وَ أَعْيَانِهِمْ

١٢

٣١- وَ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ فِي مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ بِإِسْنَادٍ (٢) ذَكَرَهُ هُنَاكَ أَنَّ الْحَسِيْنَ ع لَمَّا سُئِلَ أَيْنَ دَفِنْتُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ خَرَجْنَا بِهِ لَيْلًا مِنْ مَنَزِلِهِ بِالْكُوفَةِ حَتَّى مَرَرْنَا (٣) بِهِ عَلَى مَسْجِدِ الْأَشْعَثِ حَتَّى انْتَهَيْنَا بِهِ إِلَى الظَّهْرِ بِجَنْبِ الْغُرَى

وَسَنَذَكُرُ خَبَرَ مَقْتَلِهِ فِي مَا بَعْدَ .

فَأَمَّا فِضَائِلُهُ ع فَإِنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْعِظَمِ وَ الْجَلَالَةِ وَ الْاِنْتِشَارِ وَ الْاِشْتِهَارِ مَبْلَغًا يَسْمُجُ مَعَهُ التَّعْرُضُ لَذِكْرِهَا وَ التَّصَدُّقُ لِتَفْصِيلِهَا فَصَارَتْ كَمَا قَالَ أَبُو الْعِينَاءِ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ وَ زَيْرِ الْمُتَوَكِّلِ وَ الْمُعْتَمِدِ رَأَيْتَنِي فِي مَا أُتْعَاطَى مِنْ وَصْفِ فَضْلِكَ كَمَا خَبِرْتُ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الْبَاهِرِ وَ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى النَّاضِرِ فَأَيَّقْتُ أَنِّي حَيْثُ انْتَهَى بِي الْقَوْلُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعِجْزِ مُقْصَرٌ عَنِ الْغَايَةِ فَانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك و وكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

وَ مَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ أَقْرَ لَهُ أَعْدَاؤُهُ وَ خُصُومُهُ بِالْفَضْلِ وَ لَمْ يُمْكِنْهُمْ جَحْدَ مَنَاقِبِهِ

ص: ١٦

١- ١) نقلها أبو الفرج في مقاتل الطالبين ٤٠.

٢- ٢) مقاتل الطالبين ص ٤٢: «الحسن».

٣- ٣) كذا في الأصول و مقاتل الطالبين و الأجود: «فمررنا».

و لا كتمان فضائله فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام فى شرق الأرض و غربها و اجتهدوا بكل حيله فى إطفاء نوره و التحريض عليه و وضع المعايير و المشالب له و لعنوه على جميع المنابر و توعدوا مادحيه بل حبسوهم و قتلوهم و منعوا من روايه حديث يتضمن له فضيله أو يرفع له ذكرا حتى حطروا أن يسمى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعه و سموا و كان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه و كلما كتم تزوع نشره و كالشمس لا تستر بالراح و كضوء النهار إن حجبت عنه عين واحده أدركته عيون كثيره.

و ما أقول فى رجل تعزى إليه كل فضيله و تنتهى إليه كل فرقه و تتجاذبه كل طائفه فهو رئيس الفضائل و ينبوعها و أبو عذرها و سابق مضمارها و مجلى حلبتها كل من بزغ فيها بعده فمته أخذ و له اقتفى و على مثاله احتذى.

و قد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهى لأن شرف العلم بشرف المعلوم و معلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم و من كلامه ع اقتبس و عنه نقل و إليه انتهى و منه ابتداء فإن المعتزله (١) الذين هم أهل التوحيد و العدل و أرباب النظر و منهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته و أصحابه لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (٢) و أبو هاشم تلميذ أبيه و أبوه تلميذ ع و أما الأشعريه فإنهم ينتمون إلى أبى الحسن على [بن إسماعيل]

(٣) بن أبى بشر الأشعري و هو تلميذ أبى على الجبائى و أبو على أحد مشايخ المعتزله فالأشعريه ينتهون بآخره إلى أستاذ المعتزله و معلمهم و هو على بن أبى طالب ع. و أما الإماميه و الزيديه فانتماؤهم إليه ظاهر.

ص: ١٧

١-١) انظر أمالى المرتضى ١:١٤٨ و ما بعدها؛ فى كلام للمؤلف عن سند المعتزله إلى على عليه السلام.

٢-٢) هو إمام الكيسانية؛ و عنه انتقلت البيعه إلى بنى العباس. تنقيح المقال ٢:٢١٢.

٣-٣) من ابن خلكان ١:٣٢٦.

و من العلوم علم الفقه و هو ع أصله و أساسه و كل فقيه فى الإسلام فهو عيال عليه و مستفيد من فقهه أما أصحاب أبى حنيفة كأبى يوسف و محمد و غيرهما فأخذوا عن أبى حنيفة و أما الشافعى فقرأ على محمّد بن الحسن فيرجع فقهه أيضا إلى أبى حنيفة و أما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعى فيرجع فقهه أيضا إلى أبى حنيفة و أبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد ع و قرأ جعفر على أبيه ع و ينتهى الأمر إلى على ع و أما مالك بن أنس فقرأ على ربيعه الرأى و قرأ ربيعه على عكرمه و قرأ عكرمه على عبد الله بن عباس و قرأ عبد الله بن عباس على على بن أبى طالب (١).

و إن شئت فرددت (٢) إليه فقه الشافعى بقراءته على مالك كان لك ذلك فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

و أمّا فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر و أيضا فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب و عبد الله بن عباس و كلاهما أخذ عن على ع أما ابن عباس فظاهر و أما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه فى كثير من المسائل التى أشكلت عليه و على غيره من الصحابة

١٣

وَ قَوْلُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ .

١٤

وَ قَوْلُهُ لَا بَقِيَتْ لِمُعْضَلِهِ لَيْسَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ .

١٥

وَ قَوْلُهُ لَا يُفْتَيْنَنَّ أَحَدٌ فِي الْمَسْجِدِ وَ عَلِيٌّ حَاضِرٌ .

فقد عرف بهذا الوجه أيضا انتهاء الفقه إليه.

١٦

وَ قَدْ رَوَتْ الْعَامَّةُ وَ الْخَاصَّةُ قَوْلَهُ صَ أَفْضَاكُمْ عَلِيٌّ (٣) .

و القضاء هو الفقه فهو إذا أفقههم

١٧

١٤,١- وَ رَوَى الْكُلُّ أَيْضًا أَنَّهُ ع قَالَ لَهُ وَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا يَا اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَ تَبَّتْ لِسَانُهُ قَالَ فَمَا شَكَكْتُ بِعِيدِهَا فِي قَضَاءِ بَيْنِ اثْنَيْنِ

(٤)

١-١) ب: «عن علي».

٢-٢) في الأصول: «رددت».

٣-٣) نقله السيوطي في الجامع الصغير ١:٥٨ عن مسند أبي يعلى بلفظ: «أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، و أشدهم في دين الله عمر، و أصدقهم حياء عثمان، و أفضاهم علي...» و ضعفه.

٤-٤) رواه أبو داود في كتاب الأنصبيه ٣:٤٠٩ بسنده عن علي، و لفظه: بعثني رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليمن قاضيا فقلت: يا رسول الله، ترسلني و أنا حديث السن، و لا علم لي بالقضاء! فقال: «إن الله سيهدي قلبك و يثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»، قال: فما زلت قاضيا- أو ما شككت في قضاء بعد.

و هو ع الذى أفتى فى المرأه التى وضعت لسته أشهر و هو الذى أفتى فى الحامل الزانيه (١) و هو الذى قال فى المنبريه (٢) صار ثمنها تسعا و هذه المسأله لو فكر الفرضى فيها فكرا طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب فما ظنك بمن قاله بديعه و اقتضيه ارتجالا.

و من العلوم علم تفسير القرآن و عنه أخذ و منه فرع و إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحه ذلك لأن أكثره عنه و عن عبد الله بن عباس و قد علم الناس حال ابن عباس فى ملازمته له و انقطاعه إليه و أنه تلميذه و خريجه و قيل له أين علمك من علم ابن عمك فقال كنسبه قطره من المطر إلى البحر المحيط .

و من العلوم علم الطريقه و الحقيقه و أحوال التصوف و قد عرفت أن أرباب هذا الفن فى جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون و عنده يقفون و قد صرح بذلك الشبلى و الجنيد و سرى (٣) و أبو يزيد البسطامى و أبو محفوظ معروف الكرخى و غيرهم و يكفيك دلاله على ذلك الخرقه (٤) التى هى شعارهم إلى اليوم و كونهم يسندونها بإسناد متصل إليه ع.

ص: ١٩

١- ١) ذكر القرطبيّ فى تفسيره ١٩٣:١٦؛ عند الكلام على تفسير قوله تعالى: وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا أن عثمان قد أتى بامرأه قد ولدت لسته أشهر، فأراد أن يقضى عليها بالحد، فقال له على رضى الله عنه: ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا.

٢- ٢) سميت المنبريه؛ لأنّه سئل عنها و هو على المنبر؛ فأفتى من غير رويه؛ و بيّنها أنّه سئل فى ابنتين و أبوين و امرأه؛ فقال: صار ثمنها تسعا، قال أبو عبيد: أراد أن السهام عالت حتّى صار للمرأه التسع، و لها فى الأصل الثمن؛ و ذلك أن الفريضة لو لم تعل كانت من أربعة و عشرين، فلما عالت صارت من سبعة و عشرين، فللابنتين الثلثان: ستة عشر سهما، و للأبوين السدسان: ثمانيه أسهم، و للمرأه ثلاثه من سبعة و عشرين؛ و هو التسع، و كان لها قبل العول ثلاثه من أربعة و عشرين؛ و هو الثمن. و انظر النهايه لابن الأثير ٣:١٣٩، و اللسان ١٣:٥١٢، و حاشيه البقرى على متن الرحيه ٣٤.

٣- ٣) هو سرى بن المغلس السقطى؛ خال الجنيد و أستاذه، و صاحب معروف الكرخى؛ و أول من تكلم ببغداد فى لسان التوحيد و حقائق الأحوال. مات سنه ٢٥١. (طبقات الصوفيه للسلمى ص ٤٨).

٤- ٤) فصل السهروردي فى الباب الثانى عشر من كتابه عوارف المعارف (٤:١٩١) و ما بعدها- على هامش الإحياء) الكلام فى شرح خرقه المشايخ الصوفيه و لبسها.

و من العلوم علم النحو و العربيه و قد علم الناس كافه أنه هو الذى ابتدعه و أنشأه و أملى على أبى الأسود الدؤلى جوامعه و أصوله من جملتها

١٨

الْكَلَامُ كُلُّهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ اسْمٌ وَ فِعْلٌ وَ حَرْفٌ . و من جملتها تقسيم الكلمه إلى معرفه و نكره و تقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع و النصب و الجر و الجزم (١) و هذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوه البشرىه لا تفى بهذا الحصر و لا تنهض بهذا الاستنباط .

و إن رجعت إلى الخصائص الخلقية و الفضائل النفسانيه و الدينيه وجدته ابن جلاها و طلاع ثناياها (٢) .

و أما الشجاعه فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله و محا اسم من يأتى بعده و مقاماته فى الحرب مشهوره يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامه و هو الشجاع الذى ما فر قط و لا ارتاع من كتيبه و لا بارز أحدا إلا قتله و لا ضرب ضربه قط فاحتاجت الأولى إلى ثانيه

١٩

١- وَ فِي الْحَدِيثِ كَانَتْ ضَرْبَاتُهُ وَتُرّاً وَ لَمَّا دَعَا مُعَاوِيَةَ إِلَى الْمُبَارَزَةِ لِيُسْتَرِيحَ النَّاسَ مِنَ الْحَرْبِ بِقَتْلِ أَحَدِهِمَا قَالَ لَهُ عَمْرُو لَقَدْ أَنْصَيْتَ فِكَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَا غَشَشْتَنِي مُنْذُ نَصَيْتَنِي إِلَّا الْيَوْمَ أَتَأْمُرُنِي بِمُبَارَزَةِ أَبِي الْحَسَنِ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الشُّجَاعَ الْمُطْرِقُ أَرَاكَ طَمِعْتَ فِي إِمَارَةِ الشَّامِ بَعْدِي

و كانت العرب تفتخر بوقوفها فى الحرب فى مقابلته فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه ع قتلهم أظهر و أكثر قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد (٣)

ص : ٢٠

١-١ (١) معجم الأدياء ٤٢:١٤-٥٠.

٢-٢ (٢) اقتباس من قول سحيم بين و ثيل الرياحى: أنا ابن جلا- و طلاع الثنايا متى أضع العمامه تعرفونى و ابن جلا، أى الواضح الأمر؛ و طلاع الثنايا: كناية عن السمو إلى معالى الأمور، و الثنايا فى الأصل: جمع ثنيه، و هى الطريق فى الجبل. و انظر اللسان ١٦٥:١٨.

٣-٣ (٣) من أبيات ذكرها صاحب اللسان ٣٩٥:٨، و روايته: لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الرّوح فى جسدى لكن قاتله من لا يعاب به و كان يدعى قديما بيضه البلد .

لكن قاتله من لا نظير له

و كان يدعى أبوه بيضه البلد (١).

٢٠

١- وَ اتَّبَعَهُ يَوْمًا مُعَاوِيَةَ فَرَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ جَالِسًا تَحْتَ رِجْلَيْهِ عَلَى سِرِيرِهِ فَقَعِدَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ يُدَاعِبُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَفْتِكَ بِكَ لَفَعَلْتُ فَقَالَ لَقَدْ شَجَعْتَ بَعْدَنَا يَا أَبَا بَكْرٍ قَالَ وَ مَا الَّذِي تُنْكِرُهُ مِنْ شَجَاعَتِي وَ قَدْ وَقَفْتُ فِي الصَّفِّ إِزَاءَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لَا جَرَمَ أَنَّهُ قَتَلَكَ وَ أَبَاكَ بِسُرَى يَدَيْهِ وَ بَقِيَتِ الْيَمَنِي فَارِعَهُ يَطْلُبُ مَنْ يَقْتُلُهُ بِهَا

و جملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي و باسمه ينادى في مشارق الأرض و مغاربها.

و أما القوّه و الأيد فبه يضرب المثل فيهما

٢١

١- قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ مَا صَارَعَ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا صَرَعهُ

(٢)

٢٢

١- وَ هُوَ الَّذِي قَلَعَ بَابَ حَيْبَرَ وَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ عَضْبُهُ مِنَ النَّاسِ لِيَقْلِبُوهُ فَلَمْ يَقْلِبُوهُ وَ هُوَ الَّذِي ائْتَلَعَ هُبْلَ مِنْ أَعْلَى الْكَعْبَةِ وَ كَانَ عَظِيمًا جَدًّا وَ أَلْفَاهُ (٣) إِلَى الْأَرْضِ وَ هُوَ الَّذِي ائْتَلَعَ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ عَ بِيَدِهِ بَعْدَ عَجْزِ الْجَيْشِ كُلِّهِ عَنْهَا وَ ائْتَلَعَ (٤) الْمَاءَ مِنْ تَحْتِهَا .

و أما السخاء و الجود فحالته فيه ظاهره و كان يصوم و يطوى و يؤثر بزاده و فيه أنزل و يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ مَسْكِينًا وَ تَيْمًا وَ أَسِيرًا إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكْرًا (٥)

٢٣

١- وَ رَوَى الْمُفَسِّرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ إِلَّا أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ فَتَصَدَّقَ بِدَرَاهِمٍ لَيْلًا وَ بِدَرَاهِمٍ نَهَارًا وَ بِدَرَاهِمٍ سِتْرًا وَ بِدَرَاهِمٍ عَلَانِيَةً فَأُنزِلَ فِيهِ الَّذِينَ

-
- ١ - ١) بيضه البلد، يريد علي بن أبي طالب، أي أنه فرد ليس مثله في الشرف كالبيضه التي هي تريكه وحدها، ليس معها غيرها، كذا فسر في اللسان.
- ٢ - ٢) المعارف ٢١٠، وبعدها: «شديد الوثب قوى الضرب».
- ٣ - ٣) ب: «فألقاه».
- ٤ - ٤) ب ج: «فأنبط».
- ٥ - ٥) سورة الإنسان ٩، ١٠.

١- وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَسْقِي بِيَدِهِ لِنَخْلِ قَوْمٍ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ حَتَّى مَجَلَّتْ (٢) يَدُهُ وَتَيَصَّدَّقُ بِالْأَجْرِهِ وَيَشُدُّ عَلَى بَطْنِهِ حَجْرًا .

وقال الشعبي وقد ذكره ع كان أسخى الناس كان على الخلق الذى يحبه الله السخاء و الجود ما قال لا لسانل قط

١- وَقَالَ عِيدُوهُ وَ مَبْغُضُهُ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِي وَصِيحِهِ وَ عَيْبِهِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ لِمُخَفِّنِ (٣) . بَيْنَ أَبِي مُحَفِّنِ الضَّبِّيِّ لَمَّا قَالَ لَهُ جِئْتِكَ مِنْ عِنْدِ أَنْخَلِ النَّاسِ فَقَالَ وَيَحْكُ كَيْفَ تَقُولُ إِنَّهُ أَنْخَلِ النَّاسِ لَوْ مَلَكَ بَيْتًا مِنْ تَبَرٍ وَ بَيْتًا مِنْ تَبْنٍ لَأَنْفَدَ تَبْرَهُ قَبْلَ تَبْنِهِ

١- قَالَ وَ هُوَ الَّذِي كَانَ يَكْنُسُ بِيُوتِ الْأَمْوَالِ وَ يُصَلِّي فِيهَا وَ هُوَ الَّذِي قَالَ: يَا صَفْرَاءُ وَ يَا بَيْضَاءُ غُرِّي غَيْرِي .

و هو الذى لم يخلف ميراثا و كانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام . و أما اللحم و الصفح فكان أحلم الناس عن ذنب و أصفحهم عن مسيء و قد ظهر صحه ما قلناه يوم الجمل حيث

١- ظَفِرَ بَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَ كَانَ أَعْدَى النَّاسِ لَهُ وَ أَشَدَّهُمْ بُغْضًا فَصَفَحَ عَنْهُ .

١- وَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَسْتَمُّهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ وَ حَطَبَ يَوْمَ الْبَصْرَةِ فَقَالَ قَدْ أَتَاكُمْ الْوَعْدُ (٤) اللَّيْثِمُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ كَانَ عَلِيُّ ع يَقُولُ مَا زَالَ الزُّبَيْرُ

١- ١) سورة البقره ٢٧٤، و للمفسرين فى هذه الآيه أسباب أخرى للنزول، ذكرها القرطبي فى التفسير ١٩: ١٢٨، و انظر أيضا أسباب النزول للواحدى ٢٣١.

٢- ٢) مجلت يده، أى ثخن جلده و تعجر و ظهر فيه ما يشبه البشر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنه، و منه حديث فاطمه: أنها

شكت إلى على مجل يديها من الطحن.النهايه لابين الأثير ٨٠:٤.
٣-٣) أوردته الذهبى فى المشتبه ص ٥٧٣، وقال:«وفد على معاويه».
٤-٤) فى ب:«الوغب»، وهما بمعنى.

رَجُلًا مِّنَ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى شَبَّ عَبْدُ اللَّهِ فَظَفِرَ بِهِ يَوْمَ الْجَمَلِ فَأَخَذَهُ أُسِيرًا فَصَفَحَ عَنْهُ وَقَالَ إِذْهَبْ فَلَا أَرَيْتَكَ لَمْ يَزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ

٢٩

١- وَظَفِرَ بِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بَعْدَ وَقْعِهِ الْجَمَلِ بِمَكَّةَ وَكَانَ لَهُ عَدُوًّا فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا .

٣٠

١- وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنْ عِيَائِشَتِهِ فِي أَمْرِهِ فَلَمَّا ظَفِرَ بِهَا أَكْرَمَهَا وَبَعَثَ مَعَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ عَشْرِينَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ عِبْدِ الْقَيْسِ عَمَّمَهُنَّ بِالْعَمَائِمِ وَقَلَدَهُنَّ بِالسُّيُوفِ فَلَمَّا كَانَتْ بِبَغْضِ الطَّرِيقِ ذَكَرَتْهُ بِمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُذَكَرَ بِهِ وَتَأَفَّفَتْ وَقَالَتْ هَتَيْكَ سِتْرِي بِرِجَالِهِ وَجُنْدِهِ الَّذِينَ وَكَلَّهُمْ بِي فَلَمَّا وَصَلَتِ الْمَدِينَةَ أَلْقَى النِّسَاءَ عَمَائِمَهُنَّ وَقُلْنَ لَهَا إِنَّمَا نَحْنُ نِسْوَةٌ .

٣١

١- وَحَارَبَهُ أَهْلُ الْبُضَيْرَةِ وَضَرَبُوا وَجْهَهُ وَوُجُوهُ أَوْلَادِهِ بِالسُّيُوفِ وَشَتَمُوهُ وَلَعَنُوهُ فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِمْ رَفَعَ السَّيْفَ عَنْهُمْ وَنَادَى مُنَادِيَهُ فِي أَفْطَارِ الْعَسْكَرِ أَلَا لَا يُتَّبَعُ (١) مَوْلٌ وَلَا يُجْهَرُ عَلَى جَرِيحٍ وَلَا يُقْتَلُ مُسْتَأْسِرٌ وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ تَحَيَّرَ إِلَى عَسْكَرِ الْإِمَامِ فَهُوَ آمِنٌ وَلَمْ يَأْخُذْ أَثْقَالَهُمْ وَلَا سَبَى ذَرَارِيَهُمْ وَلَا غَنِمَ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ .

و لو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل و لكنه أبى إلا الصفح و العفو و تقبّل سيئته رسول الله ص يوم فتح مكة فإنه عفا و الأحقاد لم تبرد و الإساءة لم تنس .

٣٢

١- وَ لَمَّا مَلَكَكَ عَسَاكِرُ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِ الْمَاءُ وَ أَحَاطُوا بِشَرِيحَةِ الْفُرَاتِ وَقَالَتْ رُؤَسَاءُ الشَّامِ لَهُ اقْتُلْهُمْ بِالْعَطَشِ كَمَا قَتَلُوا عُثْمَانَ عَطَشًا سَأَلْتُمْ عَلِيًّا عَ وَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَشْرَعُوا (٢) لَهُمْ شَرِبَ الْمَاءَ فَقَالُوا لَا وَاللَّهِ وَلَا قَطْرَةٌ حَتَّى تَمُوتَ ظَمًا كَمَا مَاتَ ابْنُ عَفَّانٍ فَلَمَّا رَأَى عَ أَنَّهُ الْمَوْتُ لَا مَحَالَةَ تَقَدَّمَ بِأَصْحَابِهِ وَ حَمَلَ عَلَى عَسَاكِرِ مُعَاوِيَةَ حَمَلَاتٍ كَثِيفَةٍ حَتَّى أزالَهُمْ عَنْ مَرَاكِبِهِمْ بَعْدَ قَتْلِ ذَرِيحِ سَقَطَتْ مِنْهُ الرُّؤُوسُ وَ الْأَيْدِي وَ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ

ص: ٢٣

(١-١) ا: «لا يتبع مول».

(٢-٢) كذا في ا، و في ب: «يسوغوا».

الْمَاءِ وَ صَارَ أَضِحَابٌ مُعَاوِيَةَ فِي الْفَلَاهِ لَا مَاءَ لَهُمْ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ وَ شِيعَتُهُ امْنَعُهُمُ الْمَاءَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا مَنَعُوكَ وَ لَا تَسْقِيهِمْ مِنْهُ قَطْرَةً وَ اقْتُلُهُمْ بِسُيُوفِ الْعَطَشِ وَ خُذْهُمْ قَبْضًا بِالْأَيْدِي فَلَا حَاجَةَ لَكَ إِلَى الْحَرْبِ فَقَالَ لَا وَ اللَّهُ لَا أَكْفِيْتُهُمْ بِمِثْلِ فِعْلِهِمْ أَفْسَحُوا لَهُمْ عَنِ بَعْضِ الشَّرِيعَةِ فَفِي حَدِّ السَّيْفِ مَا يُغْنِي عَنْ ذَلِكَ

فهذه إن نسبتها إلى الحلم و الصفح فناهيك بها جمالا و حسنا و إن نسبتها إلى الدين و الورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله ع.
و أما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه و عدوه أنه سيد المجاهدين و هل الجهاد لأحد من الناس إلا له و قد عرفت

٣٣

١٤,١- أَنْ أَعْظَمَ عَزَاهُ عَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَشَدَّهَا نِكَايَةً فِي الْمُشْرِكِينَ يَدْرُ الْكُبْرَى قُتِلَ فِيهَا سَبْعُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ عَلِيٌّ نَصِيْفَهُمْ وَ قَتَلَ الْمُسْلِمُونَ وَ الْمَلَائِكَةُ النَّصْفَ الْآخَرَ . وَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَى مَغَازِي مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ الْوَاقِدِي وَ تَارِيخِ الْأَشْرَافِ لِأَحْمَدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ جَابِرِ الْبَلَاذَرِيِّ وَ غَيْرِهِمَا عَلِمْتَ صَحْحَ ذَلِكَ دَعَى مِنْ قَتَلَهُ فِي غَيْرِهَا كَأَحَدٍ وَ الْخَنْدَقِ وَ غَيْرِهِمَا وَ هَذَا الْفَصْلُ لَا مَعْنَى لِلْإِطْنَابِ فِيهِ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الضَّرُورِيَةِ كَالْعِلْمِ بِوُجُودِ مَكَّةِ وَ مِصْرَ وَ نَحْوِهِمَا.

و أمّا الفصاحة فهو ع إمام الفصحاء و سيد البلغاء و في كلامه (١) قيل دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين و منه تعلم الناس الخطابه و الكتابه قال عبد الحميد بن يحيى حفظت سبعين خطبه من خطب الأصلح ففاضت ثم فاضت و قال ابن نباته (٢) حفظت من الخطابه كنزا لا يزيد الإنفاق إلا سعه و كثره حفظت مائه فصل من مواظ علي بن أبي طالب .

٣٤

١- وَ لَمَّا قَالَ مِخْفَنُ بْنُ أَبِي مِخْفَنِ لِمُعَاوِيَةَ جِئْتِكَ مِنْ عِنْدِ أَعْيَانِ النَّاسِ قَالَ لَهُ وَيْحَكَ

ص: ٢٤

١- ١) ب: «و عن كلامه».

٢- ٢) هو عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن إسماعيل الفارقي الجذامي.

كَيْفَ يَكُونُ أَعْيَا النَّاسِ فَوَ اللَّهُ مَا سَنَّ الْفَصَاحَةَ لِقُرَيْشٍ غَيْرُهُ

و يكفى هذا الكتاب الذى نحن شارحوه دلاله على أنه لا يجارى فى الفصاحه و لا يبارى فى البلاغه و حسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابه العشر و لا نصف العشر ممّا دون له و كفاك فى هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ فى مدحه فى كتاب البيان و التبيين و فى غيره من كتبه.

و أما سجاحه الأخلاق و بشر الوجه و طلاقه المحيا و التبسم فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه

٣٥

١- قَالِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ لِأَهْلِ الشَّامِ إِنَّهُ ذُو دُعَابِهِ شَدِيدِهِ وَقَالَ عَلِيٌّ ع فِي ذَاكَ عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَهُ وَ أَنِّي امْرُؤٌ تَلْعَابُهُ أَعَافِسُ وَ أُمَارِسُ

(١)

و عمرو بن العاص إنما أخذها

٣٦

١- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِقَوْلِهِ لَهُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى اسْتِخْلَافِهِ لِلَّهِ أَبُوكَ لَوْ لَا دُعَابُهُ فِيكَ

إلا أن عمر اقتصر عليها و عمرو زاد فيها و سمجها.

٣٧

١- قَالِ صَعَصَيْعَةُ بْنُ صُوحَانَ وَ غَيْرُهُ مِنْ شَيْعَتِهِ وَ أَصْحَابِهِ كَانَ فِينَا كَأَخِي دَنَا لَيْنَ جَانِبٍ وَ شِدَّةَ تَوَاضُعٍ وَ سُهُولَةَ قِيَادٍ وَ كُنَّا نَهَابُهُ مَهَابَةَ الْأَسِيرِ الْمَرْبُوطِ لِلسَّيَافِ الْوَاقِفِ عَلَى رَأْسِهِ .

٣٨

١,١٤- وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَسَنِ فَلَقَدْ كَانَ هَشًا بَشًّا ذَا فُكَاهِهِ قَالَ قَيْسٌ نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَمْزُحُ وَ يَبْتَسِمُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَ أَرَاكَ تُسِرُّ حَسْوًا فِي ارْتِغَاءِ (٢) وَ تَعْيِيهِ بِذَلِكَ أَمَا وَ اللَّهُ لَقَدْ كَانَ مَعَ تِلْكَ الْفُكَاهَةِ وَ الطَّلَاقِ أَهْيَبَ مِنْ ذِي

لِبَدْتَيْنِ قَدْ مَسَّهُ الطَّوَى تِلْكَ هَيْبَةُ التَّقْوَى وَ لَيْسَ كَمَا يَهَابُكَ طَعَامُ أَهْلِ الشَّامِ

ص: ٢٥

١ - ١) التلعابه، بفتح التاء و كسرهما: الكثير اللعب و المرح. و المعافسه: الملاعبه أيضا. و الممارسه: ملاعبه النساء. و الخبر أوردته ابن الأثير في النهايه ١: ١١٧، و ٣: ٥٩، ١١٠، و ٤: ٥٩، ٨٩.

٢ - ٢) في المثل: «هو يُسِرُّ حسوا في ارتغاء»، يضرب لمن يظهر أمرا و هو يريد غيره. اللسان ١٩: ٤٦.

وقد بقي هذا الخلق متوارثا متناظرا في محبيه و أوليائه إلى الآن كما بقي الجفاء و الخشونه و الوعوره في الجانب الآخر و من له أدنى معرفه بأخلاق الناس و عوائدهم يعرف ذلك.

و أمّا الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد و بدل الأبدال و إليه تشد الرحال و عنده تنفض الأحلاس ما شبع من طعام قط و كان أخشن الناس مأكلا و ملبسا

٣٩

١- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ دَخَلْتُ إِلَيْهِ يَوْمَ عِيدِ فَقَدِمَ جِرَابًا مَخْتُومًا فَوَحَيْدَنَا فِيهِ خُبْرٌ شَجِيرٌ يَابِسًا مَرْضُوضًا فَقَدِمَ فَأَكَلَ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَيْفَ تَخْتِمُهُ قَالَ خِفْتُ هَذَيْنِ الْوَلَدَيْنِ أَنْ يَلْتَأَهُ بِسَمْنٍ أَوْ زَيْتٍ

٤٠

١- وَ كَانَ ثَوْبُهُ مَرْقُوعًا بِجِلْدِ تَارَةٍ وَ لَيْفٍ أُخْرَى وَ نَعْلَاهُ مِنْ لَيْفٍ وَ كَانَ يَلْبَسُ الْكِرْبَاسَ (١) الْعَلِيظَ فَإِذَا وَجِدَ كُمَّهُ طَوِيلًا قَطَعَهُ بِشَفْرِهِ وَ لَمْ يَخِطْهُ فَكَانَ لَا يَزَالُ مُتَسَاقِطًا عَلَى ذِرَاعَيْهِ حَتَّى يَبْقَى سِدِّي لَا لَحْمَهُ لَهُ وَ كَانَ يَأْتِدُمُ إِذَا اتَّيَدَمَ بِخَلٍّ أَوْ بِمِلْحٍ فَإِنْ تَرَقَّى عَنْ ذَلِكَ فَبَعْضُ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَإِنْ ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَبَقِيلٍ مِنْ أَلْبَانِ الْإِبِلِ وَ لَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ إِلَّا قَلِيلًا وَ يَقُولُ لَا تَجْعَلُوا بُطُونَكُمْ مَقَابِرَ الْحَيَوَانِ وَ كَانَ مَعَ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّاسِ قُوَّةً وَ أَعْظَمَهُمْ أَيْدِيًا لَا يَنْقُصُ (٢) الْجُوعُ قُوَّتَهُ وَ لَا يَخُونُ (٣) الْإِقْلَالُ مُنْتَهُهُ وَ هُوَ الَّذِي طَلَّقَ الدُّنْيَا وَ كَانَتْ الْأَمْوَالُ تُجْبَى إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ إِلَّا مِنَ الشَّامِ فَكَانَ يُفَرِّقُهَا وَ يَمَزَّقُهَا ثُمَّ يَقُولُ هَذَا جَنَائِي وَ خِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَيَّ فِيهِ

(٤)

ص: ٢٦

١-١) الكرباس بالكسر: ثوب من القطن الأبيض، معرب.

٢-٢) ب، ج: «ينقص».

٣-٣) يخون: ينقص، و في ب: «يخور»، و ما أثبتته عن أ، ج.

٤-٤) البيت أنشده عمرو بن عدى حينما كان غلاما، و كان يخرج مع الخدم يجتنون للملك (جذيمه الأبرش) الكمأه، فكانوا إذا وجدوا كمأه خيارا أكلوها و أتوا بالباقي إلى الملك، و كان عمرو لا يأكل منه، و يأتي به كما هو، و ينشد البيت. و انظر القاموس

٢٥٩:٣-٢٦٠، و حديث على ورد مفصلا في حليه الأولياء ١:٨١.

و أمّا العباده فكان أعبد الناس و أكثرهم صلاه و صوما و منه تعلم الناس صلاه الليل و ملازمه الأوراد و قيام النافله و ما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفيين ليله الهرير فيصلى عليه ورده و السهام تقع بين يديه و تمر على صماخيه يمينا و شمالا فلا- يرتاع لذلك و لا- يقوم حتى يفرغ من وظيفته و ما ظنك برجل كانت جبهته كثفنه البعير لطول سجوده.

و أنت إذا تأملت دعواته و مناجاته و وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله و ما يتضمنه من الخضوع لهيبته و الخشوع لعزته و الاستخاء له عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص و فهمت من أى قلب خرجت و على أى لسان جرت.

و

٤١

٤- قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع وَ كَانَ الْعَايَةَ فِي الْعِبَادَةِ أَيْنَ عِبَادَتِكَ مِنْ عِبَادَةِ حَيْدِكَ قَالَ عِبَادَتِي عِنْدَ عِبَادَةِ حَيْدِي كَعِبَادَةِ حَيْدِي عِنْدَ عِبَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص .

و أمّا قراءته القرآن و اشتغاله به فهو المنظور إليه في هذا الباب اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ص و لم يكن غيره يحفظه ثم هو أول من جمعه نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعه أبي بكر فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفه للبيعة بل يقولون تشاغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن لأنه لو كان مجموعا في حياه رسول الله ص لما احتاج إلى أن يتشاغل (١) بجمعه بعد وفاته ص و إذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن العلاء و عاصم بن أبي النجود و غيرهما لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمى القارئ

ص: ٢٧

(١ - ١) ب: «تشاغل».

و أبو عبد الرحمن كان تلميذه و عنه أخذ القرآن فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهى إليه أيضا مثل كثير ممّا سبق.

و أمّا الرأى و التدبير فكان من أسد الناس رأيا و أصحابهم تدبيرا و هو الذى أشار على عمر بن الخطّاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم و الفرس بما أشار و هو الذى أشار على عثمان بأمر كان صلاحه فيها و لو قبلها لم يحدث عليه ما حدث و إنّما قال أعداؤه لا رأى له لأنّه كان متقيدا بالشريعة لا يرى خلافها و لا يعمل بما يقتضى الدين تحريمه

٤٢

وَ قَدْ قَالَ ع

لَوْ لَا الدِّينُ وَ التَّقَى لَكُنْتُ أَذْهَى الْعَرَبِ .

و غيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه و يستوفقه سواء أ كان مطابقا للشرع أم لم يكن و لا ريب أن من يعمل بما يؤدى إليه اجتهاده و لا يقف مع ضوابط و قيود يمتنع لأجلها ممّا يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب و من كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب.

و أمّا السياسة فإنّه كان شديد السياسة خشنا فى ذات الله لم يراقب ابن عمه فى عمل كان ولاه إياه و لا راقب أخاه عقيلًا فى كلام جبهه به و أحرق قوما بالنار و نقض دار مصقله بن هبيرة و دار جرير بن عبد الله البجلي و قطع جماعه و صلب آخرين.

و من جملة سياسته فى حروبه أيام خلافته بالجمل و صفين و النهروان و فى أقلّ القليل منها مقنع فإن كل سائس فى الدنيا لم يبلغ فتكه و بطشه و انتقامه مبلغ العشر ممّا فعل ع فى هذه الحروب بيده و أعوانه.

فهذه هى خصائص البشر و مزاياهم قد أوضحنا أنّه فيها الإمام المتبع فعله و الرئيس المقتفى أثره.

و ما أقول فى رجل تحبه أهل الذمّه على تكذيبهم بالنبوه و تعظمه الفلاسفه على معاندتهم لأهل الملّه و تصور ملوك الفرنج و الروم صورته فى بيوت عباداتها

ص: ٢٨

حاملًا سيفه مشمرا لحربه و تصور ملوك الترك و الديلم صورته على أسيافها كان على سيف عضد الدوله بن بويه و سيف أبيه ركن الدوله صورته و كان على سيف ألب أرسلان و ابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفاءلون به النصر و الظفر.

و ما أقول فى رجل أحب كل واحد أن يتكثر به و ود كل أحد أن يتجمل و يتحسن بالانتساب إليه حتى الفتوه التى أحسن ما قيل فى حدها ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه و صنفوا فى ذلك كتبًا و جعلوا لذلك إسنادا أنهوه إليه و قصره عليه و سموه سيد الفتیان و عضدوا مذهبهم إليه بالبیت المشهور المروى أنه سمع من السماء يوم أحد لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على .

و ما أقول فى رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء و شيخ قريش و رئيس مكة قالوا قل أن يسود فقير و ساد أبو طالب و هو فقير لا مال له و كانت قريش تسميه الشيخ.

٤٣

١٤,١- وَ فِي حَدِيثِ عَفِيْفِ الْكِنْدِيِّ لَمَّا رَأَى (١) النَّبِيَّ ص يُصَلِّي فِي مَبْدَأِ الدَّعْوَةِ وَ مَعَهُ غُلَامٌ وَ امْرَأَةٌ قَالَ فَقُلْتُ لِلْعَبَّاسِ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا قَالَ هَذَا ابْنُ أَخِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ وَ لَمْ يَتَّبِعْهُ عَلَى قَوْلِهِ إِلَّا هَذَا الْغُلَامُ وَ هُوَ ابْنُ أَخِي أَيْضًا وَ هَذِهِ الْامْرَأَةُ وَ هِيَ زَوْجَتُهُ قَالَ فَقُلْتُ مَا الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ قَالَ نَنْتَظِرُ مَا يَفْعَلُ الشَّيْخُ يَعْنِي أَبَا طَالِبٍ

و أبو طالب هو الذى كفل رسول الله ص صغيرا و حماه و حاطه كبيرا و منعه من مشركى قريش و لقي لأجله عنتا عظيما و قاسى بلاء شديدا و صبر على نصره و القيام بأمره

٤٤

١٤- وَ جَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّهُ لَمَّا تُوفِّي أَبُو طَالِبٍ أُوحِيَ إِلَيْهِ عَ وَ قِيلَ لَهُ اخْرُجْ مِنْهَا فَقَدْ مَاتَ نَاصِرُكَ .

و له مع شرف هذه الأبوه أن ابن عمه محمد سيد الأولين و الآخرين و أخاه جعفر ذو الجناحين الذى

٤٥

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص أَشَبَّهْتَ خَلْقِي وَ خُلِقِي فَمَرَّ يَحْجُلُ

ص: ٢٩

فَرَحًا. و زوجته سيده نساء العالمين و ٣٠٠٠ ابنه سيدًا شباب أهل الجنة فأبؤه آباء رسول الله و أمهاته أمهات رسول الله و هو مسوط بلحمه و دمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله و أبي طالب و أمهما واحده فكان منهما سيد الناس هذا الأول و هذا التالي و هذا المنذر و هذا الهادي.

و ما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى و آمن بالله و عبده و كل من في الأرض يعبد الحجر و يجحد الخالق لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير محمد رسول الله ص.

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه ع أول الناس اتبعا لرسول الله ص إيماناً به و لم يخالف في ذلك إلا الأقلون

٤٤

وَ قَدْ قَالَ هُوَ ع

أَنَا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ وَ أَنَا الْفَارُوقُ الْأَوَّلُ أَسْلَمْتُ قَبْلَ إِسْلَامِ النَّاسِ وَ صَلَّى قَبْلَ صَلَاتِهِمْ .

و من وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق ذلك و علمه واضحاً و إليه ذهب الواقدي و ابن جرير الطبري و هو القول الذي رجحه و نصره صاحب كتاب الاستيعاب (١). و لأننا إنما نذكر في مقدمه هذا الكتاب جملة من فضائله عنت بالعرض لا بالقصد و جب أن نختصر و نفتصر فلو أردنا شرح مناقبه و خصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجم هذا بل يزيد عليه و بالله التوفيق (٢)

ص : ٣٠

١- ١) الاستيعاب لابن عبد البر النمرى القرطبي ٢: ٤٥٧.

٢- ٢) و انظر ترجمته و أخباره أيضا في أسد الغابة ٤: ١٦-٤٠، و الاستيعاب ٣: ١٠٨٩-١١٣٣ و الإصابه ٤: ٢٦٩-٢٧١، و إنباه الرواه ١٠: ١-١٢، و تاريخ الإسلام للذهبي ٢: ١٩١-٢٠٧، و تاريخ بغداد ١: ١٣٣-١٣٨، و تاريخ أبي الفداء ١: ١٨١-١٨٢، و تاريخ الطبري ٦: ٨٨-٩١، و تاريخ ابن كثير ٧: ٣٣٢-٣٦١، و ٨: ١-١٣، و تذكره الحفاظ ١: ١٠-١٣، و تهذيب الأسماء و اللغات ١: ٣٤٤-٣٤٩، و تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٤-٣٣٩، و حليه الأولياء ١: ٦١-٨٧، و الرياض النضرة ٢: ١٥٣-٢٤٩، و شذرات الذهب ١: ٤٩-٥١، و صفوه الصفوه ٣: ١١٩-١٤٤، و طبقات ابن سعد ٣: ٣٣٧/٢: ١٩/١٢: ٦، و طبقات القراء لابن الجزري ١: ٥٤٦-٥٤٧، و مروج الذهب ٢: ٤٥-٥٠، و المعارف ٢: ٢٠٣-٢١٨، و معجم الأدباء ١٤: ٤١-٥٠، و معجم الشعراء ٢٧٩-٢٨٠، و مقاتل الطالبين ٢٤-٤٥، و النجوم الزاهرة ١: ١١٩-١٢٠.

القول فى نسب الرضى أبى الحسن رحمه الله و ذكر طرف من خصائصه و مناقبه

هو أبو الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ع مولده سنه تسع و خمسين و ثلاثمائه .

و كان أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر عظيم المنزله فى دوله بنى العباس و دوله بنى بويه و لقب بالطاهر ذى المناقب و خاطبه بهاء الدوله أبو نصر بن بويه بالطاهر الأوحده و ولى نقابه الطالبين خمس دفعات و مات و هو متقلدها بعد أن حالفته الأمراض و ذهب بصره و توفى عن سبع و تسعين سنه فإن مولده كان فى سنه أربع و ثلاثمائه و توفى سنه أربعمائه و قد ذكر ابنه الرضى أبو الحسن كميّه عمره فى قصيدته التى رثاه بها و أولها و سمتك حالیه الربيع المرهم

و دفن النقيب أبو أحمد أولاً فى داره ثم نقل منها إلى مشهد الحسين ع . و هو الذى كان السفير بين الخلفاء و بين الملوك من بنى بويه و الأمراء من بنى حمدان و غيرهم و كان مبارك الغره ميمون النقيه مهيباً نبيلاً ما شرع فى إصلاح أمر فاسد

إلا و صلح على يديه و انتظم بحسن سفارته و برکه همته و حسن تدبيره و وساطته و لاستعظام عضد الدوله أمره و امتلاء صدره و عينه به حين قدم العراق ما (١) قبض عليه و حمله إلى القلعه بفارس فلم يزل بها إلى أن مات عضد الدوله فأطلقه شرف الدوله أبو الفوارس شير ذيل بن عضد الدوله و استصحبه في جملته حيث قدم إلى بغداد و ملك الحضرة و لما توفي عضد الدوله ببغداد كان عمر الرضى أبي الحسن أربع عشره سنه فكتب إلى أبيه و هو معتقل بالقلعه بشيراز أبلغا عنى الحسين ألوکا

و أم الرضى أبي الحسن فاطمه بنت الحسين [بن أحمد]

(٢) بن الحسن الناصر الأصمّ صاحب الديلم و هو أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ع شيخ الطالبين و عالمهم و زاهدهم و أدبيهم و شاعرهم

ص: ٣٢

(١-١) ما هنا مصدرية.

(٢-٢) لوحه ١٨٢، و الألوک: الرساله.

ملك بلاد الديلم و الجبل و يلقب بالناصر للحق جرت له حروب عظيمه مع السامانيه و توفي بطبرستان سنه و ثلاثمائه و سنه تسع و سبعون سنه و انتصب فى منصبه الحسن بن القاسم بن الحسين الحسنى و يلقب بالداعى إلى الحق. و هى أم أخيه أبى القاسم على المرتضى أيضا.

و حفظ الرضى رحمه الله القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنه فى مده سيره و عرف من الفقه و الفرائض طرفا قويا و كان رحمه الله عالما أديبا و شاعرا مفلقا فصيح النظم ضخم الألفاظ قادرا على القريض متصرفا فى فنونه إن قصد الرقه فى النسب أتى بالعجب العجاب و إن أراد الفخامه و جزاله الألفاظ فى المدح و غيره (١) أتى بما لا يشق فيه غباره و إن قصد فى المراثى جاء سابقا و الشعراء منقطع أنفاسها على أثره و كان مع هذا مترسلا ذا كتابه قويه و كان عفيفا شريف النفس عالى الهمه ملتزما (٢) بالدين و قوانينه و لم يقبل من أحد صله و لا جائزه حتى أنه ردّ صلوات أبيه و ناهيك بذلك شرف نفس و شده ظلف (٣) فأما بنو بويه فإنهم اجتهدوا على قبوله صلواتهم فلم يقبل.

و كان يرضى بالإكرام و صيانه الجانب و إعزاز الأتباع و الأصحاب و كان الطائع أكثر ميلا إليه من القادر و كان هو أشدّ حبا و أكثر ولاء للطائع (٤) منه للقادر و هو القائل للقادر (٥) فى قصيدته التى مدحه بها منها

ص: ٣٣

١-١) ساقطه من ا.

٢-٢) ب،ج: «مستلزما» و ما أثبتته عن ا.

٣-٣) الظلف، من ظلف نفسه عن الشىء يظلفها ظلفا: منعها ممّا إليه تميل.

٤-٤) هو أبو بكر عبد الكريم الطائع لأمر الله؛ بويغ الخلافه له سنه ٣٦٣؛ ثم خلع، و قبض عليه الديلم سنه ٣٨١، و بويغ لأخيه القادر؛ فحمل إليه الطائع، و بقى عنده إلى أن توفى سنه ٣٩٣. الفخرى: ٢٥٤، و ابن الأثير حوادث ٣٨١.

٥-٥) هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، المعروف بالقادر؛ بويغ له بالخلافه بعد خلع أخيه؛ و توفى سنه ٤٢٢. الفخرى ٢٥٤.

فيقال إن القادر قال له على رغم أنف الشريف .

و ذكر الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى التاريخ فى وفاه الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى الفقيه المالكى قال كان شيخ الشهود المعدلين ببغداد و متقدمهم و سمع الحديث الكثير و كان كريما مفضلا على أهل العلم قال و عليه قرأ الشريف الرضى رحمه الله القرآن و هو شاب حدث [السن]

(١) فقال له يوما أيها الشريف أين مقامك قال فى دار أبى بيباب محول (٢) فقال مثلك لا يقيم بدار أبيه قد نحتك دارى بالكرخ المعروفه بدار البركه فامتنع الرضى من قبولها و قال له لم أقبل من أبى قط شيئا فقال إن حقى عليك أعظم من حقّ أيبك عليك لأنى حفظتك كتاب الله تعالى فقبلها (٣) .

و كان الرضى لعلو همته تنازعه نفسه (٤) إلى أمور عظيمه يجيش بها خاطره و ينظمها فى شعره و لا يجد من الدهر (٥) عليها مساعده فيذوب كمدا و يفنى وجدا حتى توفى و لم يبلغ غرضا.

فمن ذلك قوله ما أنا للعلياء إن لم يكن

ص: ٣٤

١-١) ديوانه، لوجه ٤٠.

٢-٢) الديوان: «ميزتك و إننى».

٣-٣) تكمله من ا.

٤-٤) باب محول، بضم الميم و فتح الحاء و تشديد الواو و لام: محله كبيره من محال بغداد؛ كانت متصله بالكرخ.

٥-٥) المنتظم (حوادث سنه ٣٩٣).

و منه قوله متى ترانى مشيحا فى أوائلهم

و منه قوله يعنى نفسه فوا عجا بما يظن محمد

و منه قوله (١) لا هم قلبى بر كوب العلا يوما و لا بلى يدي بالسماح (٢).

ص: ٣٥

١-١) ديوانه ص ٥٢٢-(مطبعة نخبة الأختيار)، من قصيده يذكر فيها القبض على الطائع لله، و يصف خروجه من الدار سليما، و أنه حين أحس بالأمر بادر و نزل دجله، و تلوم من تلوم من القضاء و الأشراف و الشهود، فامتهنوا و أخذت ثيابهم. و مطلعها: لواعج الشوق تخطيهم و تصمينى و اللوم فى الحبّ ينهاهم و يغرينى و لو لقوا بعض ما ألقى نعمت بهم لكنهم سلموا ممّا يعنينى.
٢-٢) هذا البيت لم يذكر فى الأصول؛ و هو فى المطبوعه المصريه و الديوان.

إن لم أنلها باشتراط كما

و فى هذه القصيده ما هو أحسن مسا و أعظم نكايه و لكننا عدلنا عنه و تخطينا كراهيه لذكروه و فى شعره الكثير الواسع من هذا النمط.

و كان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى (١) الكاتب له صديقا و بينهما لحمه الأدب و وشائجه و مراسلات (٢) و مكاتبات بالشعر فكتب الصابى إلى الرضى فى هذا النمط أبا حسن لى فى الرجال فراسه

ص: ٣٦

١-١) الظبى: جمع ظبه؛ و هو حدّ السيف.

٢-٢) هو أبو إسحاق الصابى، صاحب الرسائل المشهوره، كان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفه، و عن عز الدوله بختيار بن معز الدوله بن بويه الديلمى؛ و كان صابئا متشددا فى دينه، و جهد عليه عزّ الدوله أن يسلم فلم يفعل؛ و لكنه كان يصوم شهر رمضان مع المسلمين، و يحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ، و يستعمله فى رسائله؛ و لما مات رثاه الشريف بقصيدته الداليه المشهوره: رأيت من حملوا على الأعواد رأيت كيف خبا ضياء النّادى و عاتبه الناس فى ذلك لكونه شريفا يرثى صابئا؛ فقال: إنّما رثيت فضله. توفى سنه ٣٨٤. (ابن خلكان ١: ١٢).

و أضمرت منه لفظه لم أبح بها

فكتب إليه الرضى جوابا عن ذلك قصيده أولها سنت لهذا الرمح غربا مذلقا و هى قصيده طويله ثابتة فى ديوانه يعد فيها نفسه و يعد الصابى أيضا بلوغ آماله إن ساعد الدهر و تم المرام و هذه الأبيات أنكرها الصابى لما شاعت و قال إننى عملتها فى أبى الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان كاتب الطائع و ما كان الأمر كما ادعاه و لكنه خاف على نفسه.

و ذكر أبو الحسن الصابى (١) و ابنه غرس النعمه محمد فى تاريخهما أن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوى و ابنه أبا القاسم المرتضى و جماعه من القضاة و الشهود و الفقهاء و أبرز إليهم أبيات الرضى أبى الحسن التى أولها ما مقامى على الهوان و عندى

ص: ٣٧

١-١) ديوانه، لوجه ١٩٤.

وقال القادر للنقيب أبى أحمد قل لولدك محمد أى هوان قد أقام عليه عندنا و أى ضيم لقى من جهتنا و أى ذل أصابه فى مملكتنا (٢) و ما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه أ كان يصنع إليه أكثر من صنيعنا (٣) أ لم نوله النقابه أ لم نوله المظالم أ لم نستخلفه على الحرمين و الحجاز و جعلناه أمير الحجيج فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ما نظنه كان يكون لو حصل عنده إلا واحدا من أبناء الطالبين بمصر فقال النقيب أبو أحمد أما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه و لا رأيناه بخطه و لا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه و عزاه إليه فقال القادر إن كان كذلك فلتكتب الآن محضرا يتضمن القدر فى أنساب و لاه مصر و يكتب محمد خطه فيه فكتب (٤) محضرا بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب أبو أحمد و ابنه المرتضى و حمل المحضر إلى الرضى ليكتب خطه فيه حمله أبوه و أخوه فامتنع من سطر (٥) خطه و قال لا أكتب و أخاف دعاه صاحب مصر و أنكر الشعر و كتب خطه و أقسم فيه أنه ليس بشعره و أنه لا يعرفه فأجبره أبوه على أن يكتب (٦) خطه فى المحضر فلم يفعل و قال أخاف دعاه المصريين و غيلتهم لى فإنهم معروفون بذلك فقال أبوه يا عجباه أ تخاف من بينك و بينه ستمائه فرسخ و لا تخاف من بينك و بينه مائة ذراع و حلف ألا يكلمه و كذلك المرتضى فعلا ذلك تقيه و خوفا من القادر

ص: ٣٨

١- ١) الديوان: «ألبس الذل فى ديار الأعدى».

٢- ٢) ب: «فى ملكنا».

٣- ٣) ب: «ضيعتنا».

٤- ٤) ب: «فكتب محضر»، بالبناء للمجهول.

٥- ٥) ب: «تسطير».

٦- ٦) ب: «يسطر».

و تسكيناً له و لما انتهى الأمر إلى القادر سكت على سوء أضره و بعد ذلك بأيام صرفه عن النقابه و ولاها محمد بن عمر النهري سابس (١). و قرأت بخط محمد بن إدريس الحلي الفقيه الإمامي قال حكى أبو حامد أحمد بن محمد الإسفرائيني الفقيه الشافعي قال كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة و ابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضى أبو الحسن فأعظمه و أجله و رفع من منزلته و خلى ما كان بيده من الرقاع و القصص و أقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم رحمه الله فلم يعظمه ذلك التعظيم و لا أكرمه ذلك الإكرام و تشاغل عنه برقاع يقرأها و توقيعات يوقع بها فجلس قليلاً و سأله أمراً فقضاه ثم انصرف.

قال أبو حامد فتقدمت إليه و قلت له أصلح الله الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون و هو الأمثل و الأفضل منهما و إنما أبو الحسن شاعر قال فقال لي إذا انصرف الناس و خلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة.

قال و كنت مجمعا على الانصراف فجاءني أمر لم يكن في الحساب فدعت الضروره إلى ملازمه المجلس إلى أن تقوض الناس واحداً فواحداً فلما لم يبق إلا غلماناه و حجابيه دعا بالطعام فلما أكلنا و غسل يديه و انصرف عنه أكثر غلماناه و لم يبق عنده غيري قال لخادم هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام و أمرتك أن تجعلهما في السفط (٢) الفلاني فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضى اتصل بي أنه قد ولد له ولد فأنفذت إليه ألف دينار و قلت له هذه للقابله فقد جرت العاده أن يحمل الأصدقاء

ص: ٣٩

١-١) النهري سابس منسوب إلى نهر سابس، فوق واسط بيوم (ياقوت).

٢-٢) السفط بالتحريك، كالجوالق.

إلى أخلائهم و ذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال فردها و كتب إلى هذا الكتاب فقرأه قال فقرأته و هو اعتذار عن الرد و فى جملة إننا أهل بيت لا نطلع على أحوالنا قابله غريبه و إنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساتنا و لسن ممن يأخذن أجره و لا يقبلن صله قال فهذا هذا.

و أما المرتضى فإننا كنا قد وزعنا و قسطنا على الأملاك ببادوريا تقسيطا نصرفه فى حفر فوهه النهر المعروف بنهر عيسى فأصاب ملكا للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهريه من التقسيط عشرون درهما ثمنها دينار واحد قد كتب إلى منذ أيام فى هذا المعنى هذا الكتاب فقرأه فقرأته و هو أكثر من مائه سطر يتضمن من الخضوع و الخشوع و الاستماله و الهز و الطلب و السؤال فى إسقاط هذه الدراهم المذكوره عن أملاكه المشار إليها ما يطول شرحه.

قال فخر الملك فأيهما ترى أولى بالتعظيم و التبجيل هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد و نفسه هذه النفس أم ذلك الذى لم يشهر إلا بالشعر خاصه و نفسه تلك النفس فقلت وفق الله تعالى سيدنا الوزير فما زال موفقا و الله ما وضع سيدنا الوزير الأمر إلا فى موضعه و لا أحله إلا فى محله و قمت فانصرفت.

و توفى الرضى رحمه الله فى المحرم من سنه أربع و أربعمائه و حضر الوزير فخر الملك و جميع الأعيان و الأشراف و القضاء جنازته و الصلاة عليه و دفن فى داره بمسجد الأنباريين بالكرخ و مضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر ع لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته و دفنه و صلى عليه فخر الملك أبو غالب و مضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمى فألزمه بالعود إلى داره.

و ممّا رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهوره التي من جملتها (١) يا للرجال لفجعه جذمت يدي

و حدّثني فخار بن معد العلوي الموسوي رحمه الله قال رأى المفيد أبو عبد الله محمّد بن النعمان الفقيه الإمام في منامه كأنّ فاطمه بنت رسول الله ص دخلت عليه و هو في مسجده بالكرخ و معها ولداها الحسن و الحسين ع صغيرين فسلمتهما إليه و قالت له علمهما الفقه فاتتبه متعجبا من ذلك فلما تعالى النهار في صبيحه تلك الليله التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمه بنت الناصر و حولها جواريتها و بين يديها ابناها محمد الرضى و على المرتضى صغيرين فقام إليها و سلم عليها فقالت له أيها الشيخ هذان ولدای قد أحضرتهما لتعلمهما الفقه فبكى أبو عبد الله و قص عليها المنام و تولى تعليمهما الفقه (٢) و أنعم الله عليهما و فتح لهما من أبواب العلوم و الفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا و هو باق ما بقى الدهر (٣)

ص: ٤١

١-١) ب: «التي من جملة مرثيته»؛ و ما أثبتته عن ا.

٢-٢) ديوانه ١٣١:٢.

٣-٣) الديوان: «يا زلت أحذر وردها».

قال الرضى رحمه الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أما بعد حمد (١) الله الذى جعل الحمد ثمنا لنعمائنا و معاذا من بلائنا و وسيلا إلى جنائنا و سببا لزيادنا إحساننا و الصلاه على رسوله نبى الرحمه و إمام الأئمه و سراج الأمه المنتجب من طينه الكرم و سلالة المجد الأقدم و مغرس الفخار المعرق و فرع العلاء المثمر المورق و على أهل بيته مصاييح الظلم و عصم الأمم و منار الدين الواضحه و مثاقيل الفضل الراجحه فصلى الله عليهم أجمعين صلاه تكون إزاء لفضلهم و مكافأه لعملهم و كفاء لطيب أصلهم و فرعهم ما أنار فجر طالع و خوى نجم ساطع (٢) اعلم أنى لا أتعرض فى هذا الشرح للكلام فيما قد فرغ منه أئمه العريبه و لا لتفسير ما هو ظاهر مكشوف كما فعل القطب الراوندى فإنه شرع أولا فى تفسير قوله أما بعد ثم قال هذا هو فصل الخطاب ثم ذكر ما معنى الفصل و أطال فيه و قسمه أقساما يشرح ما قد فرغ له منه ثم شرح الشرح و كذلك أخذ يفسر قوله من بلائنا و قوله إلى جنائنا و قوله و سببا و قوله المعجده و قوله

ص: ٤٢

١-١ (١): «حمدا».

٢-٢-٢ (٢): «ما أنار فجر ساطع، و خوى نجم طالع». و كذا فى مخطوطه النهج.

الأقدم و هذا كله إطاله و تضييع للزمان من غير فائده و لو أخذنا بشرح (١) مثل ذلك لوجب أن نشرح لفظه أما المفتوحه و أن نذكر الفصل بينها و بين إمّا المكسوره و نذكر هل المكسوره من حروف العطف أو لا ففيه خلاف و نذكر هل المفتوحه مركبه أو مفرده و مهمله أو عامله و نفسر معنى قول الشاعر أبا خراشه أما كنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع (٢).

بافتح و نذكر بعد لم ضمت إذا قطعت عن الإضافه و لم فتحت هاهنا حيث أضيفت و نخرج عن المعنى الذى قصدناه من موضوع الكتاب إلى فنون أخرى قد أحكمها أربابها .

و نبتدئ الآن فنقول قال لى إمام من أئمه اللغه فى زماننا هو الفخار بكسر الفاء قال و هذا ممّا يغلط فيه الخاصه فيفتحنها و هو غير جائز لأنّه مصدر فاخر و فاعل يجيء مصدره على فعال بالكسر لا غير نحو قاتلت قتالا و نازلت نزالا و خاصمت خصاما و كافتحت كفاحا و صارعت صراعا و عندى أنّه لا يبعد أن تكون الكلمه مفتوحه الفاء و تكون مصدر فخر لا مصدر فاخر فقد جاء مصدر الثلاثى إذا كان عينه أو لامه حرف حلق على فعال بالفتح نحو سمح سماحا و ذهب ذهابا اللهم إلا أن ينقل ذلك عن شيخ أو كتاب موثوق به نقلا صريحا فتزول الشبهه و العصم جمع عصمه و هو ما يعتصم به و المنار الأعلام واحدها مناره بفتح الميم و المثاقيل جمع مثقال و هو مقدار وزن الشىء تقول مثقال حبه و مثقال قيراط و مثقال دينار و ليس كما تظنه العامه أنّه اسم للدينار خاصه فقوله مثاقيل الفضل أى زنات الفضل و هذا من باب الاستعاره و قوله تكون إزاء لفضلهم أى مقابله له و مكافأه بالهمز من كافأته أى جازيته و كفاء بالهمز و المد أى نظيرا

ص: ٤٣

١-١) كذا فى ج، و هو الصوب، و فى باقى الأصول: «لشرح».

٢-٢) البيت لعباس بن مرداس السلمى، و أبو خراشه كنيه خفاف بن نديه- (اللسان ١٨٣:٨).

و خوى النجم أى سقط و طينه الكرم أصله و سلالة المجد فرعه و الوصيل جمع وسيله و هو ما يتقرب به و لو قال و سيلا إلى جنانه لكان حسنا و إنما قصد الإغراب على أنا قد قرأناه كذلك فى بعض النسخ و قوله و مكافأه لعملهم إن أراد أن يجعله قرينه لفضلهم كان مستقبحا عند من يريد البديع لأن الأولى ساكنه الأوسط و الأخرى متحركه الأوسط و أمّا من لا يقصد البديع كالكلام القديم فليس بمستقبح و إن لم يرد أن يجعلها قرينه بل جعلها من حشو السجعه الثانيه و جعل القرينه و أصلهم فهو جائز إلا أن السجعه الثانيه تطول جدا و لو قال عوض لعملهم لفعلمهم لكان حسنا قال الرضى رحمه الله فإنى كنت فى عنفوان السن و غضاضه الغصن ابتدأت تأليف كتاب فى خصائص الأئمه ع يشتمل على محاسن أخبارهم و جواهر كلامهم حدانى عليه غرض ذكرته فى صدر الكتاب و جعلته أمام الكلام و فرغت من الخصائص التى تخص أمير المؤمنين عليا ص و عاقت عن إتمام بقيه الكتاب محاجزات الأيام و مماطلات الزمان و كنت قد بويت ما خرج من ذلك أبوابا و فصلته فصولا فجاء فى آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه ع من الكلام القصير فى المواعظ و الحكم و الأمثال و الآداب دون الخطب الطويله و الكتب المبسوطه فاستحسن جماعه من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجيين ببدائعه و متعجيين من نواصعه و سألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام أمير المؤمنين ع فى جميع فنونه و متشعبات غصونه من خطب و كتب و مواعظ و أدب علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغه و غرائب الفصاحه و جواهر العرييه و ثواقب الكلم الدينيه و الدنياويه ما لا يوجد مجتمعا فى كلام و لا مجموع الأطراف

فى كتاب إذ كان أمير المؤمنين ع مشرع الفصاحه و موردها و منشأ البلاغه و مولدها و منه ع ظهر مكنونها و عنه أخذت قوانينها و على أمثله هذا كل قائل خطيب و بكلامه استعان كل واعظ بليغ و مع ذلك فقد سبق و قصروا و تقدم و تأخروا لأن كلامه ع الكلام الذى عليه مسحه من العلم الإلهى و فيه عقبه من الكلام النبوى

عنقوان السن أولها و محاجزات الأيام ممانعاتها و مماطلات الزمان مدافعاته و قوله معجبين ثم قال و متعجبين فمعجبين من قولك أعجب فلان برأيه و بنفسه فهو معجب بهما و الاسم العجب بالضم و لا يكون ذلك إلا فى المستحسن و متعجبين من قولك تعجبت من كذا و الاسم العجب و قد يكون فى الشىء يستحسن و يستقبح و يتهول منه و يستغرب و مراده هنا التهول و الاستغراب و من ذلك قول أبى تمام أبدت أسى إذ رأتنى مخلص القصب و آل ما كان من عجب إلى عجب (1).

يريد أنها كانت معجبه به أيام الشيبه لحسنه فلما شاب انقلب ذلك العجب عجا إما استقباحا له أو تهولا منه و استغرابا و فى بعض الروايات معجبين ببدائعه أى أنهم يعجبون غيرهم و النواضع الخالصه و ثواقب الكلم مضيئاتها و منه الشهاب الثاقب و هذا كل قائل اقتفى و اتبع و قوله مسحه يقولون على فلان مسحه من جمال مثل قولك شىء و كأنه هاهنا يريد ضوءا و صقلا و قوله عقبه أى رائحه

ص: ٤٥

١ - ١) ديوانه ١:١١٥؛ مطلع قصيده يمدح فيها الحسن بن سهل. المخلص، من قولهم: أخلص رأسه إذا صار فيه بياض و سواد. و القصب: جمع قصبه؛ و هى خصله من الشعر تجعل كهيه القصبه الدقيقه. (من شرح الديوان).

و لو قال عوض العلم الإلهي الكتاب الإلهي لكان أحسن قال الرضى رحمه الله فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع و منشور الذكر و مذكور الأجر و اعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين ع في هذه الفضيله مضافه إلى المحاسن الدثره و الفضائل الجمه و أنه انفراد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر و الشاذ الشارد فأما كلامه ع فهو البحر الذى لا يساجل و الجم الذى لا يحافل و أردت أن يسوغ لى التمثل فى الافتخار به ص بقول الفرزدق أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع المحاسن الدثره الكثيره مال دثر أى كثير و الجمه مثله و يؤثر عنهم أى يحكى و ينقل قلته آثرا أى حاكيا و لا يساجل أى لا يكاثر أصله من النزاع بالسجل و هو الدلو الملىء (١) قال من يساجلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب (٢).

و يروى و يساجل بالحاء من ساحل البحر و هو طرفه أى لا يشابه فى بعد ساحله و لا يحافل أى لا يفاخر بالكثرة أصله من الحفل و هو الامتلاء و المحافظه المفاخره بالامتلاء ضرع حافل أى ممتلىء.

ص: ٤٦

١-١) الدلو، تذكر و تؤنث.

٢-٢) للفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب، اللسان ١٣:٣٤٦، و نقل عن ابن برى: «أصل المساجله، أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما فى سجله مثل ما يخرج الآخر؛ فأيهما نكل فقد غلب؛ فضربته العرب أصلا للمفاخره».

همام بن غالب بن صعصعه التميمي و من هذه الأبيات (١) و منا الذي اختير الرجال سماحه

الترائع الكرام من الخيل يعنى غزاه الأقرع بن حابس قبل الإسلام بنى تغلب بنجران و هو الذي أعطاه الرسول يوم حنين أسارى تميم .

و منا غداه الروع فرسان غاره

أى إذا مدت الأصابع بعد الزجاج إتماما لها لأنها رماح قصيره و حامل أى حامل للديات

ص: ٤٧

١- ١) من نقيضته لقصيدته جرير التي أولها: ذكرت وصال البيض و الشيب شائع و دار الصبا من عهدهنّ بلاع و هما فى النقائض ٦٨٥-٧٠٥؛ و يخلف ترتيب القصيده هنا عن ترتيبها هناك.

قال الرضى رحمه الله و رأيت كلامه ع يدور على أقطاب ثلاثة أولها الخطب و الأوامر و ثانيها الكتب و الرسائل و ثالثها الحكم و المواعظ فأجمعت بتوفيق الله سبحانه على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم و الأدب مفردا لكل صنف من ذلك بابا و مفصلا فيه أوراقا ليكون مقدّمه لاستدراك ما عساه يشذ عنى عاجلا و يقع إلى آجلا و إذا جاء شىء من كلامه الخارج فى أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض فى غير الأنحاء التى ذكرتها و قررت القاعده عليها نسبه إلى أليق الأبواب به و أشدها ملامحه لغرضه و ربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقه و محاسن كلم غير منتظمه لأننى أورد النكت و اللمع و لا أقصد التتالى و النسق قوله أجمعت على الابتداء أى عزمت و قال القطب الراوندىّ تقديره أجمعت عازما على الابتداء قال لأنه لا يقال إلاّ أجمعت الأمر و لا يقال أجمعت على الأمر قال سبحانه فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ (١).

هذا الذى ذكره الراوندىّ خلاف نص أهل اللغه قالوا أجمعت الأمر و على الأمر كله جائز نص صاحب الصحاح (١) على ذلك.

و المحاسن جمع حسن على غير قياس كما قالوا الملامح و المذاكر (٢) و مثله المقابح و الحوار بكسر الحاء مصدر حاورته أى خاطبته و الأنحاء الوجوه و المقاصد و أشدها ملامحه لغرضه أى أشدها إبصارا له و نظرا إليه من لمحت الشيء و هذه استعاره يقال هذا الكلام يلمح الكلام الفلانى أى يشابهه كان ذلك الكلام يلمح و يبصر من هذا الكلام قال الرضى رحمه الله:

و من عجائبه ع التى انفرد بها و أمن المشاركة فيها أن كلامه الوارد فى الزهد و المواعظ و التذكير و الزواجر إذا تأمله المتأمل و فكر فيه المفكر (٣) و خلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره و نفذ أمره و أحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك فى أنه كلام من لا حظ له فى غير الزهاده و لا شغل له بغير العباده قد قبع فى كسر بيت أو انقطع إلى (٤) سفح جبل لا يسمع إلا حسه و لا يرى إلا نفسه و لا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب و يجدل الأبطال و يعود به ينطف دما و يقطر مهجا و هو مع تلك الحال زاهد الزهاد و بدل الأبدال و هذه من فضائله العجيبه و خصائصه اللطيفه التى جمع بها بين الأضداد و ألف بين الأشتات و كثيرا ما أذاكر الإخوان بها و أستخرج عجبهم منها و هى موضع العبره بها (٥) و الكفره فيها

ص: ٤٩

١-١) الصحاح ١١٩٨:٣.

٢-٢) ب: «المذاكير»، و ما أثبتته عن ا.

٣-٣) ب: «المتفكر» و ما أثبتته عن ا.

٤-٤) مخطوطه النهج: «فى سفح».

٥-٥) كلمه «بها» ساقطه من ب؛ و هى فى ا.

قبع القنفذ يقبع قبوعا إذا أدخل رأسه في جلده و كذلك الرجل إذا أدخل رأسه في قميصه و كل من انزوى في جحر أو مكان ضيق فقد قبع و كسر البيت جانب الخباء و سفح الجبل أسفله و أصله حيث يسفح فيه الماء و يقط الرقاب يقطعها عرضا لا طولاً كما قاله الراوندى و إنما ذاك القد قددته طولاً و قططته عرضاً

٤٧

١- قَالَ إِبْنُ فَارِسَ صَاحِبُ الْمُجْمَلِ قَالَ إِبْنُ عَائِشَةَ كَانَتْ ضَرَبَاتُ عَلِيٍّ ع فِي الْحَزْبِ أَبْكَاراً إِنْ اغْتَلَى قَدٌّ وَإِنْ اعْتَرَضَ قَطٌّ .

و يجدل الأبطال يلقبهم على الجداله و هى وجه الأرض و ينطف دما يقطر و الأبدال قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر قد ورد ذلك فى كثير من كتب الحديث .

كان أمير المؤمنين ع ذا أخلاق متضاده فمنها ما قد (١) ذكره الرضى رحمه الله و هو موضع التعجب لأن الغالب على أهل الشجاعه و الإقدام و المغامره و الجرأه أن يكونوا ذوى قلوب قاسيه و فتك و تمرد و جبريه و الغالب على أهل الزهد و رفض الدنيا و هجران ملاذها و الاشتغال بمواعظ الناس و تخويفهم المعاد و تذكيرهم الموت أن يكونوا ذوى رقه و لين و ضعف قلب و خور طبع و هاتان حالتان متضادتان و قد اجتمعتا له ع.

و منها أن الغالب على ذوى الشجاعه و إراقه الدماء أن يكونوا ذوى أخلاق سبعيه و طباع حوشييه و غرائز وحشييه و كذلك الغالب على أهل الزهاده و أرباب الوعظ و التذكير و رفض الدنيا أن يكونوا ذوى انقباض فى الأخلاق و عبوس فى الوجوه و نفار من الناس

ص : ٥٠

(١ - ١) كلمه «قد» ساقطه من ب.

و استيحاش و أمير المؤمنين ع كان أشجع الناس و أعظمهم إراقه للدم و أزهد الناس و أبعدهم عن ملاذ الدنيا و أكثرهم وعظا و تذكيرا بأيام الله و مثلاته و أشدهم اجتهادا في العباده و آدابا لنفسه في المعامله و كان مع ذلك أطف العالم أخلاقا و أسفرهم وجها و أكثرهم بشرا و أوفاهم هشاشه و أبعدهم عن انقباض موحش أو خلق نافر أو تجهم مباعدا أو غلظه و فظاظه تنفر معهما نفس أو يتكدر معهما قلب حتى عيب بالدعابه و لما لم يجدوا فيه مغمزا و لا مطعنا تعلقوا بها و اعتمدوا في التنفير عنه عليها و تلك شكاه ظاهر عنك عارها (١) و هذا من عجائبه و غرائبه اللطيفه.

و منها أن الغالب على شرفاء الناس و من هو من أهل بيت السيادة و الرئاسة أن يكون ذا كبر و تيه و تعظم و تغطرس خصوصا إذا أضيف إلى شرفه من جهه النسب شرفه من جهات أخرى و كان أمير المؤمنين ع في مصاص الشرف و معدنه و معانيه لا يشك عدو و لا صديق أنه أشرف خلق الله نسبا بعد ابن عمه ص و قد حصل له من الشرف غير شرف النسب جهات كثيره متعدده قد ذكرنا بعضها و مع ذلك فكان أشد الناس تواضعا لصغير و كبير و أليهم عريكه و أسمحهم خلقا و أبعدهم عن الكبر و أعرفهم بحق و كانت حاله هذه في كلا زمانيه زمان خلافته

ص: ٥١

١- ١) «الشكاه توضع موضع العيب و الذم؛ و غير رجل عبد الله بن الزبير بأمه؛ فقال ابن الزبير: *و تلك شكاه ظاهر عنك عارها* أراد أن تعيره إياه بأن أمه كانت ذات النطاقين ليس بعار. و معنى قوله: «ظاهر عنك عارها»، أي ناب، أراد أن هذا ليس عارا يلزق به؛ و أنه يفتخر بذلك؛ لأنها إنما سميت ذات النطاقين، لأنه كان لها نطاقان تحمل في أحدهما الزاد إلى أبيها و هو مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في الغار و كانت تنتطق بالنطاق الآخر، و هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها». اللسان: (١٩:١٧١)، و ديوان الهذليين (١:٢١)، و هذا عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي، و صدره: *و عيرها الواشون أنى أحبها*.

و الزمان الذى قبله لم تغيره الإمرة و لا أحالت خلقه الرئاسة و كيف تحيل الرئاسة خلقه و ما زال رئيسا و كيف تغير الإمرة سجيته و ما برح أميرا لم يستفد بالخلافه شرفا و لا اكتسب بها زينه بل هو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزى فى تاريخه المعروف بالمنتظم تذاكروا عند أحمد خلافه أبى بكر و على و قالوا فأكثروا فرفع رأسه إليهم و قال قد أكثرتم أن عليا لم تزنه الخلافه و لكنه زانها و هذا الكلام دال بفحواه و مفهومه على أن غيره ازدان بالخلافه و تمت نقصه و أن عليا ع لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتمم بالخلافه و كانت الخلافه ذات نقص فى نفسها فتم نقصها بولايته إياها.

و منها أن الغالب على ذوى الشجاعه و قتل الأنفس و إراقه الدماء أن يكونوا قليلى الصفح بعيدى العفو لأن أكبادهم واغره و قلوبهم ملتهبه و القوّه الغضبيه عندهم شديده و قد علمت حال أمير المؤمنين ع فى كثره إراقه الدم و ما عنده من الحلم و الصفح و مغالبه هوى النفس و قد رأيت فعله يوم الجمل و لقد أحسن مهيار فى قوله (1) حتى إذا دارت رحى بغيهم

و منها أنا ما رأينا شجاعا جوادا قط كان عبد الله بن الزبير شجاعا و كان أبخل الناس و كان الزبير أبوه شجاعا و كان شحيجا قال له عمر لو وليتها لظلت تلاطم الناس

ص: ٥٢

(١-١) من قصيده فى ديوانه ١٠٩:٣-١١٦ يذكر فيها مناقب الإمام على و ما معنى به من أعدائه.

١- وَ أَرَادَ عَلِيٌّ عَ أَنْ يَحْجُرَ عَلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لِتَبْدِيرِهِ الْمَالَ فَاحْتَالَ لِنَفْسِهِ فَشَارَكَ الرَّبِيبَ فِي أَمْوَالِهِ وَ تَجَارَاتِهِ فَقَالَ عَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ لَادَ بِمَلَاذٍ وَ لَمْ يَحْجُرْ عَلَيَّ .

و كان طلحه شجاعا و كان شحيحا أمسك عن الإنفاق حتى خلف من الأموال ما لا يأتي عليه الحصر و كان عبد الملك شجاعا و كان شحيحا يضرب به المثل فى الشح و سمي رشح الحجر لبخله و قد علمت حال أمير المؤمنين ع فى الشجاعه و السخاء كيف هى و هذا من أعاجيبه أيضا قال الرضى رحمه الله:

و ربما جاء (١) فى أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد و المعنى المكرر و العذر فى ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا فربما اتفق الكلام المختار فى روايه فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك فى روايه أخرى موضوعا غير وضعه الأول إماما بزياده مختاره أو بلفظ أحسن عبارته فتقتضى الحال أن يعاد استظهارا للاختيار و غيره على عقائل الكلام و ربما بعد العهد أيضا بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا و نسيانا لا قصدا أو اعتمادا و لا ادعى مع ذلك أننى أحيط بأقطار جميع كلامه ع حتى لا يشذ عنى منه شاذ و لا يند ناد بل لا أبعد أن يكون القاصر عنى فوق الواقع إلى و الحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدي و ما على إلا بذل الجهد و بلاغه الوسع و على الله سبحانه نهج السبيل و إرشاد الدليل.

و رأيت من بعد تسميه هذا الكتاب بنهج البلاغه إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها و يقرب عليه طلابها و فيه حاجه العالم و المتعلم و بغيه البليغ و الزاهد و يمضى فى أثنائه من عجيب الكلام فى التوحيد و العدل و تنزيه الله سبحانه و تعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غله و شفاء كل عله و جلاء كل شبهه و من الله أستمد التوفيق و العصمه و أتنبز التسديد و المعونه و أستعيذه من خطأ الجنان قبل خطا

ص: ٥٣

اللسان و من زله الكلم قبل زله القدم و هو حسبي وَ نِعَمَ الْوَكِيلُ

فى أثناء هذا الاختيار تضاعفه واحدها ثنى كعذق و أعذاق و غيره بالفتح و الكسر خطأ و عقائل الكلام كرائمه و عقيله الحى كريمته و كذلك عقيله الذود و الأقطار الجوانب واحدها قطر و الناد المنفرد ند البعير يند الربقه عروه الحبل يجعل فيها رأس البهيمه و قوله و على الله نهج السبيل أى إبانته و إيضاحه نهجت له نهجا و أميا اسم الكتاب فنهج البلاغه و النهج هنا ليس بمصدر بل هو اسم للطريق الواضح نفسه و الطلاب بكسر الطاء الطلب و البغيه ما يتغى و بلال كل غله بكسر الباء ما يبل به الصدى و منه قوله انضحوا الرحم بلالها أى صلوها بصلتها و ندوها (١) قال أوس كأنى حلوت الشعر حين مدحته صفا صخره صماء ييس بلالها (٢) .

و إنما استعاذ من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان لأن خطأ الجنان أعظم و أفحش من خطأ اللسان ألا ترى أن اعتقاد الكفر بالقلب أعظم عقابا من أن يكفر الإنسان بلسانه و هو غير معتقد للكفر بقلبه و إنما استعاذ من زله الكلم قبل زله القدم لأنه أراد زله القدم الحقيقيه و لا ريب أن زله القدم أهون و أسهل لأن العاثر يستقيل من عشرته و ذا الزله تجده ينهض من صرعته و أما الزله باللسان فقد لا تستقال عشرتها و لا ينهض صريعها و طالما كانت لا شوى (٣) لها قال أبو تمام يا زله ما وقيتم شر مصرعها و زله الرأى تنسى زله القدم (٤)

ص: ٥٤

١- (١) اللسان-بلل، و فى الطبعه الأولى «أنضجوا»، تحريف.

٢- (٢) يهجو الحكم بن مروان بن زنباع، ديوانه ١٠٠، و اللسان ١٨:٢١٠، ١٣:٦٧، و حلا- الرجل الشىء يحلوه، أعطاه إياه، أى جعل الشعر حلوانا له مثل العطاء.

٣- (٣) لا شوى لها، أى لا برء لها، قال الكميت: أجيئوا رقى الآسى النطاسى و احذروا مطفئه الرّصف التى لا شوى لها.

٤- (٤) ديوانه ٣:١٩٤، و روايته: «يا عثره ما وقيتم».

قال الرضى رحمه الله:

باب المختار من خطب أمير المؤمنين ص و أوامره و يدخل فى ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحضوره و المواقف المذكوره و الخطوب الوارده

المقامات جمع مقامه و قد تكون المقامه المجلس و النادى الذى يجتمع إليه الناس و قد يكون اسما للجماعه و الأول أليق هاهنا بقوله المحضوره أى التى قد حضرها الناس.

و منذ الآن نبتدى بشرح كلام أمير المؤمنين ع و نجعل ترجمه الفصل الذى نروم شرحه الأصل فإذا أنهيناها قلنا الشرح فذكرنا ما عندنا فيه و بالله التوفيق

١: فمن خطبه له ع يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض و خلق آدم

اشاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ [الْجَاهِدُونَ]

الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهَمِّمْ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حِدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ وَلَا أَجْلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَ نَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ وَ وَتَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ .

ص: ٥٧

الذى عليه أكثر الأدباء و المتكلمين أن الحمد و المدح أخوان لا فرق بينهما تقول حمدت زيدا على إنعامه و مدحته على إنعامه و حمدته على شجاعته و مدحته على شجاعته فهما سواء يدخلان فيما كان من فعل الإنسان و فيما ليس من فعله كما ذكرناه من المثالين فأما الشكر فأخص من المدح لأنه لا يكون إلا على النعمة خاصه و لا يكون إلا صادرا من منعم عليه فلا يجوز عندهم أن يقال شكر زيد عمرا نعمة أنعمها عمرو على إنسان غير زيد.

إن قيل الاستعمال خلاف ذلك لأنهم يقولون حضرنا عند فلان فوجدناه يشكر الأمير على معرفه عند زيد قيل ذلك إنما يصح إذا كان إنعام الأمير على زيد أو جب سرور فلان فيكون شكر إنعام الأمير على زيد شكرا على السرور الداخلى على قلبه بالإنعام على زيد و تكون لفظه زيد التى استعيرت ظاهرا لاستناد الشكر إلى مسماها كناية لا حقيقه و يكون ذلك الشكر شكرا باعتبار السرور المذكور و مدحا باعتبار آخر و هو المناداه على ذلك الجميل و الثناء الواقع بجنسه.

ثم إن هؤلاء المتكلمين الذين حكينا قولهم يزعمون أن الحمد و المدح و الشكر لا يكون إلا باللسان مع انطواء القلب على الثناء و التعظيم فإن استعمل شىء من ذلك فى الأفعال بالجوارح كان مجازا و بقى البحث عن اشتراطهم مطابقه القلب للسان فإن الاستعمال لا يساعدهم لأن أهل الاصطلاح يقولون لمن مدح غيره أو شكره رياء و سمعه إنه قد مدحه و شكره و إن كان منافقا عندهم و نظير هذا الموضع الإيمان فإن أكثر المتكلمين لا يطلقونه على مجرد النطق اللسانى بل يشترطون فيه الاعتقاد القلبى فأما

أن يقصروا به عليه كما هو مذهب الأشعريه (١) و الإماميه (٢) أو تؤخذ معه أمور أخرى و هي فعل الواجب و تجنب القبيح كما هو مذهب المعتزله (٣) و لا يخالف جمهور المتكلمين في هذه المسأله إلا الكراميه (٤) فإن المناق عندهم يسمى مؤمنا و نظروا إلى مجرد الظاهر فجعلوا النطق اللساني وحده إيمانا.

و المدحه هيئه المدح كالركبه هيئه الركوب و الجلسه هيئه (٥) الجلوس و المعنى مطروق جدا و منه في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا (٦)

٤٩

وَ فِي الْأَثْرِ النَّبَوِيِّ لَا أُحْصَى ثَنَاءٌ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.

و قال الكتاب (٧) من ذلك ما يطول ذكره فمن جيد ذلك قول بعضهم الحمد لله على نعمه التي منها إقدارنا على الاجتهاد في حمدها و إن عجزنا عن إحصائها و عدّها و قالت الخنساء بنت عمرو بن الشريد فما بلغت كف امرئ متناول بها المجد إلا و الذي نلت أطول (٨)

ص: ٥٩

١ - ١) الأشعريه: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري، و هي جماعه الصفاتيه، الذين يثبتون لله تعالى الصفات الأنزليه، كالعلم و القدره و الحياه و غيرها. و انظر الكلام عليهم في الملل و النحل للشهرستاني ١:٨٥-٩٤.

٢ - ٢) الإماميه: هم القائلون بإمامه علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام، و هم فرق متعدده ذكرهم الشهرستاني في الملل و النحل ١:١٤٤-١٥٤.

٣ - ٣) المعتزله و يسمون أصحاب العدل و التوحيد، انظر أيضا الكلام عليهم، و تعداد فرقهم في المصدر السابق ١:٤٩-٧٨.

٤ - ٤) الكراميه: هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام؛ عدّهم الشهرستاني من جماعه الصفاتيه؛ لأنهم كانوا ممن يثبتون الصفات؛ إلا أنهم انتهوا فيها إلى التجسيم و التشبيه، الملل و النحل ١:٩٩-١٠٤.

٥ - ٥) ا: «كالركبه و الجلسه هيئه الركوب و الجلوس».

٦ - ٦) سوره إبراهيم ٣٤، النحل ١٨.

٧ - ٧) ب: «في الكتاب»؛ و كلمه «في» مقحمه.

٨ - ٨) ديوانها ١٨٤؛ و الروايه هناك: فما بلغت كف امرئ متناول بها المجد إلا حيث ما نلت أطول و ما بلغ المهدون في القول مدحه و لا صفه إلا الذي فيك أفضل..

و لا حبر المثون في القول مدحه

و إن أطبوا إلا و ما فيك أفضل.

و من مستحسن ما وقفت عليه من تعظيم الباري عزّ جلاله بلفظ (١) الحمد قول بعض الفضلاء في خطبه أرجوزه علميه الحمد لله بقدر الله

و أما قوله الذي لا يدركه فيريد أن همم النظار و أصحاب الفكر و إن علت و بعدت فإنها لا تدركه تعالى و لا تحيط به و هذا حقّ لأن كل متصور فلا بدّ أن يكون محسوسا أو متخيلا أو موجودا من فطره النفس و الاستقراء يشهد بذلك مثال المحسوس السواد و الحموضه مثال المتخيل إنسان يطير أو بحر من دم مثال الموجود من فطره النفس تصور الألم و اللذه و لما كان الباري سبحانه خارجا عن هذا أجمع (٢) لم يكن متصورا .

فأما قوله الذي ليس لصفته حدّ محدود فإنه يعنى بصفته هاهنا كنهه و حقيقته يقول ليس لكنّه حدّ فيعرف بذلك الحدّ قياسا على الأشياء المحدوده لأنه ليس بمركب و كل محدود مركب .

ثمّ قال و لا نعت موجود أي و لا يدرك (٣) بالرسم كما تدرك الأشياء برسومها و هو أن تعرف بلازم من لوازمها و صفه من صفاتها ثمّ قال و لا وقت معدود و لا أجل ممدود فيه إشاره إلى الرد على من قال إنا

ص : ٦٠

١ - ١) ا: «بلفظه».

٢ - ٢) ب: «جميعا».

٣ - ٣) ب: «لا يدرك»، من غير واو.

نعلم كنه البارئ سبحانه لا- في هذه الدنيا بل في الآخرة فإن القائلين برؤيته في الآخرة يقولون إنا نعرف حينئذ كنهه فهو ع ردّ قولهم وقال إنه لا- وقت أبدا على الإطلاق تعرف فيه حقيقته و كنهه لا الآن و لا بعد الآن و هو الحق لأننا لو رأيناه في الآخرة و عرفنا كنهه لتشخص تشخصا يمنع من حمله على كثيرين و لا يتصور أن يتشخص هذا التشخص إلا ما يشار إلى جهته و لا جهه له سبحانه و قد شرحت هذا الموضوع في كتابي المعروف بزيادات النقيضين (١) و بينت أن الرؤيه المنزهه عن الكيفيه التي يزعمها أصحاب الأشعري لا بدّ فيها من إثبات الجهه و أنّها لا تجرى مجرى العلم لأن العلم لا يشخص المعلوم و الرؤيه تشخص المرئي و التشخيص لا يمكن إلا مع كون المتشخص ذا جهه.

و اعلم أن نفى الإحاطه مذكور في الكتاب العزيز في مواضع منها قوله تعالى [□]وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (٢) و منها قوله يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ [□]الْبَصْرُ خَاسِنًا وَ هُوَ حَسِيرٌ (٣) و قال بعض الصحابه العجز عن درك الإدراك إدراك و قد غلا محمّد بن هانئ فقال في ممدوحه المعز أبي تميم معد بن المنصور العلوي أتبعته فكري حتّى إذا بلغت

و هذا مدح يليق بالخالق تعالى و لا يليق بالمخلوق .

فأما قوله فطر الخلائق إلى آخر الفصل فهو تقسيم مشتق من الكتاب العزيز فقوله فطر الخلائق بقدرته من قوله تعالى [□]قَالَ رَبُّ [□]السَّمَاوَاتِ

ص: ٦١

١-١) كذا في ج، و في ب: «النقيضين» و في ا: «زيادات التقصير»، و لم أعثر له على ذكر له في كتب التراجم و الفهارس.

٢-٢) سورة طه ١١٠.

٣-٣) سورة الملك ٤.

وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا (١) و قوله و نشر الرياح برحمته من قوله يرسل الرياح نشرًا بين يدي رحمته (٢).

و قوله و وتد بالصخور ميدان أرضه من قوله وَ الْجِبَالُ أَوْتَادًا (٣) و الميدان التحرك و التموج.

فأما القطب الراوندى رحمه الله فإنه قال إنه ع أخبر عن نفسه بأول هذا الفصل أنه يحمد الله و ذلك من ظاهر كلامه ثم أمر غيره من فحوى كلامه أن يحمد الله و أخبر أنه ثابت على ذلك مدة حياته و أنه يجب على المكلفين ثبوتهم عليه ما بقوا و لو قال أحمد الله لم يعلم منه جميع ذلك ثم قال و الحمد أعم من الشكر و الله أخص من الإله قال فأما قوله الذى لا يبلغ مدحته القائلون فإنه أظهر العجز عن القيام بواجب مدائحه فكيف بمحامده و المعنى أن الحمد كل الحمد ثابت للمعبود الذى حقت العبادة له فى الأزل و استحقتها حين خلق الخلق و أنعم بأصول النعم التى يستحق بها العبادة.

و لقائل أن يقول إنه ليس فى فحوى كلامه أنه أمر غيره أن يحمد الله و ليس يفهم من قول بعض رعيه الملك لغيره منهم العظمه و الجلال لهذا الملك أنه قد أمرهم بتعظيمه و إجلاله و لا أيضا فى الكلام ما يدل على أنه ثابت على ذلك مدة حياته و أنه يجب على المكلفين ثبوتهم عليه ما بقوا.

و لا أعلم كيف قد وقع ذلك للراوندى فإن زعم أن العقل يقتضى ذلك فحق و لكن

ص: ٦٢

١-١) سورة الشعراء ٢٤.

٢-٢) سورة الأعراف ٥٧، و هى قراءة أهل الحرمين و أبى عمرو (الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩:٧).

٣-٣) سورة النبأ ٧.

ليس مستفادا من الكلام و هو أنه (١) قال إن ذلك موجود فى الكلام.

فأما قوله لو كان قال أحمد الله لم يعلم منه جميع ذلك فإنه لا فرق فى انتفاء دلالة أحمد الله على ذلك و دلالة الحمد لله و هما سواء فى أنهما لا يدلان على شىء من أحوال غير القائل فضلا عن دلالتهما على ثبوت ذلك و دوامه فى حق غير القائل.

و أما قوله الله أخص من الإله فإن أراد فى أصل اللغه فلا فرق بل الله هو الإله و فخم بعد حذف الهمزة هذا قول كافة البصريين و إن أراد أن أهل الجاهليه كانوا يطلقون على الأصنام لفظه الإله و لا يسمونها الله فحق و ذلك عائد إلى عرفهم و اصطلاحهم لا إلى أصل (٢) اللغه و الاشتقاق أ لا ترى أن الدابة فى العرف لا تطلق على القملة و إن كانت فى أصل اللغه دابه.

فأما قوله قد أظهر العجز عن القيام بواجب مدائحه فكيف بمحامده فكلام يقتضى أن المدح غير الحمد و نحن لا نعرف فرقا بينهما و أيضا فإن الكلام لا يقتضى العجز عن القيام بالواجب لا من الممدوح و لا من المحامد و لا فيه تعرض لذكر الوجوب و إنما نفى أن يبلغ القائلون مدحته لم يقل غير ذلك.

و أمّا قوله الذى حقت العباده له فى الأزل و استحقتها حين خلق الخلق و أنعم بأصول النعم فكلام ظاهره متناقض لأنه إذا كان إنما استحقتها حين خلق الخلق فكيف يقال إنه استحقتها فى الأزل و هل يكون فى الأزل مخلوق ليستحق عليه العباده.

و اعلم أن المتكلمين لا يطلقون على البارئ سبحانه أنه معبود فى الأزل أو مستحق للعباده فى الأزل إلا بالقوه لا بالفعل (٣) لأنه ليس فى الأزل مكلف يعبده تعالى و لا أنعم على أحد فى الأزل بنعمه يستحق بها العباده حتى أنهم قالوا فى الأثر الوارد يا قديم

ص: ٦٣

١- ١) ب: «و هو إنما».

٢- ٢) ساقطه من ب.

٣- ٣) ا: «و لا بالفعل».

الإحسان إن معناه أن إحسانه متقادم العهد لا أنه قديم حقيقه كما جاء في الكتاب العزيز حَتَّىٰ لَعَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (١) أى الذى قد توالى عليه الأزمنة المتطاولة.

ثم (٢) قال الراوندى و الحمد و المدح يكونان بالقول و بالفعل و الألف و اللام فى القائلون لتعريف الجنس كمثلهما فى الحمد و البلوغ المشارفه يقال بلغت المكان إذا أشرفت عليه و إذا لم تشرف على حمده تعالى بالقول فكيف توصل إليه بالفعل و الإله مصدر بمعنى المألوه.

و لقائل أن يقول الذى سمعناه أن التعظيم يكون بالقول و الفعل و بترك القول و الفعل قال لغيره يا عالم فقد عظمه و من قام لغيره فقد عظمه و من ترك مد رجله بحضره غيره فقد عظمه و من كف غرب لسانه عن غيره فقد عظمه و كذلك الاستخفاف و الإهانه تكون بالقول و الفعل و بتركهما حسب ما قدمنا ذكره فى التعظيم.

فأما الحمد و المدح فلا وجه لكونهما بالفعل و أما قوله إن اللام فى القائلون لتعريف الجنس كما أنّها فى الحمد كذلك فعجيب لأنها للاستغراق فى القائلون لا شبهه فى ذلك كالمؤمنين و المشركين و لا يتم المعنى إلا به لأنه للمبالغه بل الحق المحض أنه لا يبلغ مدحته كل القائلين بأسرهم و جعل اللام للجنس ينقص عن هذا المعنى إن أراد بالجنس المعهود و إن أراد الجنس العامه فلا- نزاع بيننا و بينه إلا- أن قوله كما أنّها فى الحمد كذلك يمنع من أن يحمل كلامه على المحمل الصحيح لأنها ليست فى الحمد للاستغراق يبين ذلك أنّها لو كانت للاستغراق لما جاز أن يحمد رسول الله ص و لا غيره من الناس و هذا باطل.

ص: ٦٤

١-١ (١) سورة يس ٣٩.

١-٢ (٢) كلمه «ثم» ساقطه من ا.

و أيضا فإنها لفظ واحد مفرد معرف بلام الجنس و الأصل فى مثل ذلك أن يفيد الجسيه المطلقه و لا يفيد الاستغراق فإن جاء منه شيء للاستغراق كقوله **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (١)** و أهلك الناس الدرهم و الدينار فمجاز و الحقيقه ما ذكرناه فأما قوله البلوغ المشارفه يقال بلغت المكان إذا أشرفت عليه فالأجود أن يقول قالوا بلغت المكان إذا شارفته و بين قولنا شارفته و أشرفت عليه فرق.

و أما قوله و إذا لم يشرف على حمده بالقول فكيف يوصل إليه بالفعل فكلام مبنى على أن الحمد قد يكون بالفعل و هو خلاف ما يقوله أرباب هذه الصنائه.

و قوله و الإله مصدر بمعنى المألوه كلام طريف أما أولا فإنه ليس بمصدر بل هو اسم كوجار للضبع و سرار للشهر (٢) و هو اسم جنس كالرجل و الفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا و السنه اسم لكل عام ثم غلب على عام القحط و أظنه رحمه الله لما رآه فعلا ظن أنه اسم مصدر كالحصاد و الجذاذ و غيرهما و أما ثانيا فلأن المألوه صيغه مفعول و ليست صيغه مصدر إلا فى ألفاظ نادره كقولهم ليس له معقول و لا مجلود و لم يسمع مألوه فى اللغه لأنه قد جاء أله الرجل إذا دهش و تحير و هو فعل لازم لا يبنى منه مفعول.

ثم قال الراوندى و فى قول الله تعالى **وَإِنْ تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** بلفظ الإفراد و قول أمير المؤمنين ع لا يحصى نعماءه العادون بلفظ الجمع سر عجيب لأنه تعالى أراد أن نعمه واحده من نعمه لا يمكن العباد عد وجوه كونها نعمه و أراد أمير المؤمنين ع أن أصول نعمه لا تحصى لكثرتها فكيف تعد

ص: ٦٥

١-١ (١) سورة العصر ١.

٢-٢ (٢) السرار: بالفتح و الكسر: آخر ليله من الشهر.

وجوه فروع نعمائه و كذلك فى كون الآيه وارده بلفظه إن الشرطيه و كلام أمير المؤمنين ع على صيغه الخبر تحته لطيفه عجيبه لأنه سبحانه يريد أنكم إن أردتم أن تعدوا نعمه لم تقدرُوا على حصرها و على ع أخير أنه قد أنعم النظر فعلم أن أحدا لا يمكنه حصر نعمه تعالى.

□
و لقائل أن يقول الصحيح أن المفهوم من قوله وَ إِن تَعِيدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الْجَنَسِ كما يقول القائل أنا لا- أجد إحسانك إلى و امتنانك على و لا يقصد بذلك إحسانا واحدا بل جنس الإحسان.

و ما ذكره من الفرق بين كلام البارئ و كلام أمير المؤمنين ع غير بين فإنه لو قال تعالى و إن تعدوا نعم الله و قال ع و لا يحصى نعمته العادون لكان كل واحد منهما سادا مسد الآخر.

أما اللطيفه الثانيه فغير ظاهره أيضا و لا مليحه لأنه لو انعكس الأمر فكان القرآن بصيغه الخبر و كلام على ع بصيغه الشرط لكان مناسبا أيضا حسب مناسبتة و الحال بعكس ذلك اللهم إلا أن تكون قرينه السجعه من كلام على ع تنبو عن لفظه الشرط و إلا فمتى حذفت القرينه السجعيه عن وهمك لم تجد فرقا و نحن نعوذ بالله من التعسف و التعجرف (1) الداعى إلى ارتكاب هذه الدعاوى المنكره.

ثم قال الراوندى إنه لو قال أمير المؤمنين ع الذى لا- يعد نعمه الحاسبون لم تحصل المبالغه التى أرادها بعبارته لأن اشتقاق الحساب من الحسبان و هو الظن قال و أما اشتقاق العدد فمن العد و هو الماء الذى له ماده و الإحصاء الإطاقه أخصيته أى أطقته فتقدير الكلام لا يطبق عد نعمائه العادون و معنى ذلك

ص: ٦٦

(١-١) التعجرف: ركوب الأمر من غير ترو.

أن مدائحه تعالى لا يشرف على ذكرها الأنبياء والمرسلون لأنها أكثر من أن تعدها الملائكة المقربون و الكرام الكاتبون.

و لقائل أن يقول أما الحساب فليس مشتقا من الحساب بمعنى الظنّ كما توهمه بل هو أصل برأسه ألا ترى أن أحدهما حسبت أحسب و الآخر حسبت أحسب و أحسب بالفتح و الضم و هو من الألفاظ الأربعة التي جاءت شاذة و أيضا فإن حسبت بمعنى ظننت يتعدى إلى مفعولين لا يجوز الاقتصار على أحدهما و حسبت من العدد يتعدى إلى مفعول واحد ثم يقال له و هب أن الحاسبين لو قالها مشتقه من الظنّ لم تحصل المبالغة بل المبالغة كادت تكون أكثر لأن النعم التي لا يحصرها الظان بظنونه أكثر من النعم التي لا يعدها العالم بعلمه و أما قوله العدد مشتق من العد و هو الماء الذى له مادة فليس كذلك بل هما أصلان و أيضا لو كان أحدهما مشتقا من الآخر لوجب أن يكون العد مشتقا من العدد لأن المصادر هي الأصول التي يقع الاشتقاق منها سواء أ كان المشتق فعلا أو اسما (١) ألا تراهم قالوا فى كتب الاشتقاق أن الضرب الرجل الخفيف مشتق من الضرب أى السير (٢) فى الأرض للابتغاء قال الله تعالى لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ (٣) فجعل الاسم منقولا و مشتقا من المصدر.

و أما الإحصاء فهو الحصر و العد و ليس هو الإطاقه كما ذكر لا يقال أحصيت الحجر أى أطقت حملة.

و أما ما قال إنه معنى الكلمه فطريف لأنه ع لم يذكر الأنبياء و لا

ص: ٦٧

-
- ١- ١) كذا عطف بأو بعد همزه التسويه؛ قال ابن هشام: وقد أولع الفقهاء و غيرهم بأن يقولوا: سواء أ كان كذا أو كذا، و الصواب العطف بأم. المغنى ٣٩: ١.
 - ٢- ٢) كذا فى ج.
 - ٣- ٣) سورة البقره ٢٧٣.

الملائكة لا مطابقه و لا تضمننا و لا التزاما و أى حاجه إلى هذا التقدير الطريف الذى لا يشعر الكلام به و مراده ع و هو أن نعمه جلت لكثرتها أن يحصيها عاد ما هو نفى لمطلق العادين من غير تعرض لعاد مخصوص.

قال الراوندى فأما قوله لا يدركه بعد الهمم فالإدراك هو الرؤيه و النيل و الإصابه و معنى الكلام الحمد لله الذى ليس بجسم و لا عرض إذ لو كان أحدهما لرآه الرءون إذا أصابوه و إنما خص بعد الهمم بإسناد نفى الإدراك و غوص الفطن بإسناد نفى النيل لغرض صحيح و ذلك أن الثويه (1) يقولون بقدم النور و الظلمه و يثبتون النور جهه العلو و الظلمه جهه السفلى و يقولون إن العالم ممتزج منهما فردع عليهم بما معناه أن النور و الظلمه جسمان و الأجسام محدثه و البارئ تعالى قديم. و لقائل أن يقول إنه لم يجر للرؤيه ذكر فى الكلام لأنه ع لم يقل الذى لا تدركه العيون و لا الحواس و إنما قال لا يدركه بعد الهمم و هذا يدل على أنه إنما أراد أن العقول لا تحيط بكنهه و حقيقته.

و أيضا فلو سلمنا أنه إنما نفى الرؤيه لكان لمحتاج أن يحاجه فيقول له هب أن الأمر كما تزعم أ لست تريد بيان الأمر الذى لأجله خصص بعد الهمم بنفى الإدراك و خصص غوص الفطن بنفى النيل و قلت إنما قسم هذا التقسيم لغرض صحيح و ما رأيناك أوضحت هذا الغرض و إنما حكيت مذهب الثويه و ليس يدلّ مذهبهم على وجوب تخصيص بعد الهمم بنفى الإدراك دون نفى النيل و لا يوجب تخصيص غوص الفطن

ص: ٤٨

١- (١) الثويه: هم أصحاب الاثنى الأزليين؛ يزعمون أن النور و الظلمه أزليان قديمان. الشهرستاني ١: ٢٢٤.

بنفى النيل دون نفى الإدراك و أكثر ما فى حكاية مذهبههم أنهم يزعمون أن إلهى العالم النور و الظلمه و هما جسمان و أمير المؤمنين ع يقول لو كان صانع العالم جسماً لرثى و حيث لم ير لم يكن جسماً أى شىء فى هذا ممّا يدلّ على وجوب ذلك التقسيم و التخصيص الذى زعمت أنه إنّما خصصه و قسمه لغرض صحيح.

ثم (١) قال الراوندى و يجوز أن يقال البعد و الغوص مصدران هاهنا بمعنى الفاعل كقولهم فلأن عدل أى عادل و قوله تعالى إنّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا (٢) أى غائراً فيكون المعنى لا يدركه العالم البعيد الهمم فكيف الجاهل و يكون المقصد بذلك الرد على من قال إن محمداً ص رأى ربّه ليله الإسراء و إن يونس ع رأى ربّه ليله هبوطه إلى قعر البحر.

و لقائل أن يقول أن المصدر الذى جاء بمعنى الفاعل ألفاظ معدوده لا يجوز القياس عليها و لو جاز لما كان المصدر هاهنا بمعنى الفاعل لأنّه مصدر مضاف و المصدر المضاف لا يكون بمعنى الفاعل و لو جاز أن يكون المصدر المضاف بمعنى الفاعل لم يجز أن يحمل كلامه ع على الرد على من أثبت أن البارئ سبحانه مرئى لأنّه ليس فى الكلام نفى الرؤيه أصلاً و إنّما غرض الكلام نفى معقوليته سبحانه و أن الأفكار و الأنظار لا تحيط بكنهه و لا تتعلل خصوصيه ذاته جلت عظمته.

ثمّ قال الراوندى فأما قوله الذى ليس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود و لا وقت معدود و لا أجل ممدود فالوقت تحرك الفلك و دورانه على وجه و الأجل

ص: ٦٩

١-١ (١) كلمه «ثم» ساقطه من ا.

٢-٢ (٢) سوره الملك ٣٠.

مدى الشيء و معنى الكلام أن شكرى لله تعالى متجدد عند تجدد كل ساعه و لهذا أبدل هذه الجملة من الجملة التى قبلها و هى الثانية كما أبدل الثانية من الأولى.

و لقائل أن يقول الوقت عند أهل النظر مقدار حركة الفلك لا نفس حركته و الأجل ليس مطلق الوقت ألا تراهم يقولون جئتكم وقت العصر و لا يقولون أجل العصر و الأجل عندهم هو الوقت الذى يعلم الله تعالى أن حياه الحيوان تبطل فيه مأخوذ من أجل الدين و هو الوقت الذى يحل قضاؤه فيه.

فأما قوله و معنى الكلام أن شكرى متجدد لله تعالى فى كل وقت ففاسد و لا ذكر فى هذه الألفاظ للشكر و لا أعلم من أين خطر هذا للراوندى و ظنه أن هذه الجمل من باب البدل غلط لأنها صفات كل واحده منها صفة بعد أخرى كما تقول مررت بزيد العالم الظريف الشاعر (١).

قال الراوندى فأما قوله الذى ليس لصفته حد فظاهره إثبات الصفة له سبحانه و أصحابنا لا يثبتون لله سبحانه صفة كما يثبتها الأشعريه لكنهم يجعلونه على حال أو يجعلونه متميزا بذاته فأمر المؤمنين ع بظاهر كلامه و إن أثبت له صفة إلا أن من له أنس بكلام العرب يعلم أنه ليس بإثبات على الحقيقة و قد سألتى سائل فقال ها هنا كلمتان إحداهما كفر و الأخرى ليست بكفر و هما لله تعالى شريك غير بصير ليس شريك الله تعالى بصيرا فأيهما كلمه الكفر فقلت له القضية الثانية و هى ليس شريك الله تعالى بصيرا كفر لأنها تتضمن إثبات الشريك و أمّا الكلمه الأخرى فيكون معناها لله شريك غير بصير بهمزه الاستفهام المقدره المحذوفه.

ص : ٧٠

ثم أخذ في كلام طويل يبحث فيه عن الصفه و المعنى و يبطل مذهب الأشعريه بما يقوله المتكلمون من أصحابنا و أخذ في توحيد الصفه لم جاء و كيف يدلّ نفى الصفه الواحده على نفى مطلق الصفات و انتقل من ذلك إلى الكلام فى الصفه الخامسه التى أثبتها أبو هاشم (١) ثم خرج إلى مذهب أبى الحسين (٢) و أطال جدا فيما لا حاجة إليه (٣) .

و لقائل أن يقول الأمر أسهل ممّا تظنّ فإننا قد بينا أن مراده نفى الإحاطه بكنهه و أيضا يمكن أن يجعل الصفه هاهنا قول الواصف فيكون المعنى لا ينتهى الواصف إلى حدّ إلاّ و هو قاصر عن النعت لجلالته و عظمته جلت قدرته.

فأما القضيتان اللتان سأله السائل عنهما فالصواب غير ما أجاب به فيهما و هو أن القضية الأولى كفر لأنّها صريحه فى إثبات الشريك و الثانيه لا تقتضى ذلك لأنّه قد ينفى قول الشريك بصيرا على أحد وجهين إمّا لأن هناك شريكا لكنه غير بصير أو لأن الشريك غير موجود و إذا لم يكن موجودا لم يكن بصيرا فإذا كان هذا الاعتبار الثانى مرادا لم يكن كفرا و صار

٥٠

١٤- كالأثر المُنقول كَانَ مَجْلِسُ رَسُولِ اللَّهِ ص لَا تُؤْتَرُ هَفَوَاتُهُ .

أى لم يكن فيه هفوات فتوثر و تحكى (٤) و ليس أنّه كان (٥) المراد فى مجلسه هفوات إلاّ أنّها لم تؤثر.

قال الراوندىّ فإن قيل تركيب هذه الجملة يدلّ على أنّه تعالى فطر الخليقه قبل خلق السماوات و الأرض.

ص: ٧١

-
- ١- ١) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبى على الجبائى؛ و انظر ص ٩ من هذا الجزء.
٢- ٢) هو أبو الحسين محمّد بن علىّ بن الطيب البصرى؛ و انظر ص ٩ من هذا الجزء.
٣- ٣) ب: «فيه».
٤- ٤) ب: «و ليس المراد أنّه قد كانت».
٥- ٤) ب: «و ليس المراد أنّه قد كانت».

قلنا قد اختلف في ذلك فقيل أول ما يحسن منه تعالى خلقه ذاتا حيه يخلق فيها شهوه لمدرک تدركه فتلتذ به و لهذا قيل تقديم خلق الجماد على خلق الحيوان عبث و قبيح و قيل لا مانع من تقديم خلق الجماد إذا علم أن علم بعض المكلفين فيما بعد بخلقه قبله لطف له و لقائل أن يقول أما إلى حيث انتهى به الشرح فليس في الكلام تركيب يدل على أنه تعالى فطر خلقه قبل خلق السماوات و الأرض و إنما قد يوهم تأمل كلامه ع فيما بعد شيئا من ذلك لما قال ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء على أنا إذا تأملنا لم نجد في كلامه ع ما يدل على تقديم خلق الحيوان لأنه قبل أن يذكر خلق السماء لم يذكر إلا أنه فطر الخلائق و تاره قال أنشأ الخلق و دل كلامه أيضا على أنه نشر الرياح و أنه خلق الأرض و هي مضطربه فأرساها بالجبال كل هذا يدل عليه كلامه و هو مقدم في كلامه على فتق الهواء و الفضاء و خلق السماء فأما تقديم خلق الحيوان أو تأخيره فلم يتعرض كلامه ع له فلا معنى لجواب الراوندي و ذكره ما يذكره المتكلمون من أنه هل يحسن تقديم خلق الجماد على الحيوان أم لا **أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّضْيِيقُ بِهِ وَ كَمَالُ التَّضْيِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ وَ كَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُؤْصَفِ وَ شَهَادَةِ كُلِّ مُؤْصَفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ وَ مَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهَلَهُ**

وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ قَالَ فِيْمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ .

إنّما قال ع أول الدين معرفته لأن التقليد باطل و أول الواجبات الدينيه المعرفه و يمكن أن يقول قائل أ لستم تقولون في علم الكلام أول الواجبات النظر في طريق معرفه الله تعالى و تاره تقولون القصد إلى النظر فهل يمكن الجمع بين هذا و بين كلامه ع.

و جوابه أن النظر و القصد إلى النظر إنّما وجبا بالعرض لا بالذات لأنهما وصله إلى المعرفه و المعرفه هي المقصود بالوجوب و أمير المؤمنين ع أراد أول واجب مقصود بذاته من الدين معرفه البارئ سبحانه فلا تناقض بين كلامه و بين آراء المتكلمين .

و أمّا قوله و كمال معرفته التصديق به فلأن معرفته قد تكون ناقصه و قد تكون غير ناقصه فالمعرفه الناقصه هي المعرفه بان للعالم صانعا غير العالم و ذلك باعتبار أن الممكن لا بدّ له من مؤثر فمن علم هذا فقط علم الله تعالى و لكن علما ناقصا و أمّا المعرفه التي ليست ناقصه فأن تعلم أن ذلك المؤثر خارج عن سلسله الممكنات و الخارج عن كل الممكنات ليس بممكن و ما ليس بممكن فهو واجب الوجود فمن علم أن للعالم مؤثرا واجب الوجود فقد عرفه عرفانا أكمل من عرفان أن للعالم مؤثرا فقط و هذا الأمر الزائد هو المكنى عنه بالتصديق به لأن أخص ما يمتاز به البارئ عن مخلوقاته هو وجوب الوجود .

و أما (١) قوله ع و كمال التصديق به توحيدته فلأن من علم أنه تعالى واجب الوجود مصدق بالبارئ سبحانه لكن ذلك التصديق قد يكون ناقصا و قد يكون غير ناقص فالتصديق الناقص أن يقتصر على أن يعلم أنه واجب الوجود فقط و التصديق الذى هو أكمل من ذلك و أتم هو العلم بتوحيدته سبحانه باعتبار أن وجوب الوجود لا يمكن أن يكون لذاتين لأن فرض واجبي الوجود يفضى إلى عموم وجوب الوجود لهما و امتياز كل واحد منهما بأمر غير الوجوب المشترك و ذلك يفضى إلى تركيبهما و إخراجهما عن كونهما واجبي الوجود فمن علم البارئ سبحانه واحدا أى لا واجب الوجود إلا هو يكون أكمل تصديقا ممن لم يعلم ذلك و إنما اقتصر على أن صانع العالم واجب الوجود فقط .

و أمّا قوله و كمال توحيدته الإخلاص له فالمراد بالإخلاص له هاهنا هو نفي الجسميه و العرضيه و لوازمهما عنه لأن الجسم مركب و كل مركب ممكن و واجب الوجود ليس بممكن و أيضا فكل عرض مفتقر و واجب (٢) الوجود غير مفتقر فواجب الوجود ليس بعرض و أيضا فكل جرم محدث و واجب الوجود ليس بمحدث فواجب الوجود ليس بجرم و لا عرض فلا يكون حاصلًا فى جهه فمن عرف وحدانيه البارئ و لم يعرف هذه الأمور كان توحيدته ناقصا و من عرف هذه الأمور بعد العلم بوحدانيته تعالى فهو المخلص فى عرفانه جل اسمه و معرفته تكون أتم و أكمل .

و أمّا قوله و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه فهو تصريح بالتوحيد الذى تذهب إليه المعتزله و هو نفي المعانى القديمه (٣) التى تثبتتها الأشعريه و غيرهم قال ع

ص: ٧٤

١-١) ب: «فأما».

٢-٢) ب: «و واجب».

٣-٣) ا: «التقدميه».

لشهاده كل صفه أنّها غير الموصوف و شهاده كل موصوف أنّه غير الصفه

و هذا هو دليل المعتزله بعينه قالوا لو كان عالما بمعنى قديم لكان ذلك المعنى إمّا هو أو غيره أو ليس هو و لا غيره و الأول باطل لأننا نعقل ذاته قبل أن نعقل أو نتصور له علما و المتصور مغاير لما ليس بمتصور و الثالث باطل أيضا لأن إثبات شيئين أحدهما ليس هو الآخر و لا غيره معلوم فساده ببديهه العقل فتعين القسم الثانى و هو محال أما أولا فبإجماع أهل الملة و أمّا ثانيا فلما سبق من أن وجوب الوجود لا يجوز أن يكون لشيئين فإذا عرفت هذا فاعرف أن الإخلاص له تعالى قد يكون ناقصا و قد لا يكون فالإخلاص الناقص هو العلم بوجوب وجوده و أنّه واحد ليس بجسم و لا عرض و لا (1) يصحّ عليه ما يصحّ على الأجسام و الأعراض و الإخلاص التام هو العلم بأنّه لا-تقوم به المعانى القديمه مضافا إلى تلك العلوم السابقه و حينئذ تتم المعرفه و تكمل .

ثمّ أكد أمير المؤمنين ع هذه الإشارات الإلهيه بقوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه و هذا حقّ لأن الموصوف يقارن الصفه و الصفه تقارنه .

قال و من قرنه فقد ثناه و هذا حقّ لأنه قد أثبت قديمين و ذلك محض التشبيه .

قال و من ثناه فقد جزأه و هذا حقّ لأنه إذا أطلق لفظه الله تعالى على الذات و العلم القديم فقد جعل مسمى هذا اللفظ و فائدته متجزئه كإطلاق لفظ الأسود على الذات التى حلها سواد .

قال و من جزأه فقد جهله و هذا حقّ لأن الجهل هو اعتقاد الشىء على خلاف ما هو به .

قال و من أشار إليه فقد حده و هذا حقّ لأن كل مشار إليه فهو محدود

ص: ٧٥

١- ١) ب: «فلا يصحّ».

لأن المشار إليه لا بد أن يكون في جهه مخصوصه و كل ما هو في جهه فله حدّ و حدود أى أقطار و أطراف .

قال و من حده فقد عده أى جعله من الأشياء المحدثه و هذا حقّ لأن كل محدود معدود فى الذوات المحدثه .

قال و من قال فيم فقد ضمنه و هذا حقّ لأن من تصور أنّه فى شىء فقد جعله إمّا جسما مستترا فى مكان أو عرضا ساريا فى محل و المكان متضمن للتمكن و المحل متضمن للعرض .

قال و من قال علام فقد أخلى منه و هذا حقّ لأن من تصور أنّه تعالى على العرش أو على الكرسيّ فقد أخلى منه غير ذلك الموضع و أصحاب تلك مقاله يمتنعون من ذلك و مراده ع إظهار تناقض أقوالهم و إلّا فلو (1) قالوا هب أنا قد أخلينا منه غير ذلك الموضع أى محذور يلزمنا فإذا قيل لهم لو خلا منه موضع دون موضع لكان جسما و لزم حدوده قالوا لزوم الحدوث و الجسميه إنّما هو من حصوله فى الجهه لا- من خلو بعض الجهات عنه و أنتم إنّما احتججتم علينا بمجرد خلو بعض الجهات منه فظهر أن توجيه الكلام عليهم إنّما هو إزام لهم لا- استدلال على فساد قولهم فأما القطب الراوندى فإنه قال فى معنى قوله نفى الصفات عنه أى صفات المخلوقين قال لأنه تعالى عالم قادر و له بذلك صفات فكيف يجوز أن يقال لا صفه له.

و أيضا فإنه ع قد أثبت لله تعالى صفه أولا حيث قال الذى ليس لصفته حدّ محدود فوجب أن يحمل كلامه على ما يتنزّه عن المناقضه.

ص: ٧٤

(١ - ١) ب: «قال».

و أيضا فإنه قد قال فيما بعد فى صفه الملائكه أنهم لا يصفون الله تعالى بصفات المصنوعين فوجب أن يحمل قوله الآن و كمال توحيدہ نفي الصفات عنه على صفات المخلوقين حملا للمطلق على المقيد.

و لقائل أن يقول لو أراد نفي صفات المخلوقين عنه لم يستدل على ذلك بدليل الغيريه و هو قوله لشهاده كل صفه أنها غير الموصوف لأن هذا الاستدلال لا ينطبق على دعوى أنه غير موصوف بصفات المخلوقين بل كان ينبغي أن يستدل بان صفات المخلوقين من لوازم الجسميه و العرضيه و البارئ ليس بجسم و لا عرض و نحن قد بينا أن مراده ع إبطال القول بالمعاني القديمه و هى المسماه بالصفات فى الاصطلاح القديم (1) و لهذا يسمى أصحاب المعاني بالصفاتييه فأما كونه قادرا و عالما فأصحابها أصحاب الأحوال و قد بينا أن مراده ع بقوله ليس لصفته حدّ محدود أى لكنّه و حقيقته و أمّا كون الملائكه لا تصف البارئ بصفات المصنوعين فلا يقتضى أن يحمل كل موضوع فيه ذكر الصفات على صفات المصنوعين لأجل تقييد ذلك فى ذكر الملائكه و أين هذا من باب حمل المطلق على المقيد لا سيما و قد ثبت أن التعليل و الاستدلال يقضى ألا يكون المراد صفات المخلوقين.

و قد تكلف الراوندى لتطبيق تعليله ع نفي الصفات عنه بقوله لشهاده كل صفه أنها غير الموصوف بكلام عجيب و أنا أحكى ألفاظه لتعلم قال معنى هذا التعليل أن الفعل فى الشاهد لا يشابه الفاعل و الفاعل غير الفعل لأن ما يوصف به الغير إنما هو الفعل أو معنى الفعل كالضارب و الفهم فإن الفهم و الضرب كلاهما فعل و الموصوف بهما فاعل و الدليل لا يختلف شاهدا و غائبا فإذا كان تعالى قديما و هذه الأجسام محدثه كانت معدومه ثم وجدت يدلّ على أنها غير الموصوف بأنه خالقها و مدبرها.

ص: ٧٧

انقضى كلامه و حكايته تغنى عن الرد عليه.

ثم قال الأول على وزن أفعال يستوى فيه المذكر و المؤنث إذا لم يكن فيه الألف و اللام فإذا كانا فيه قيل للمؤنث الأولى.

و هذا غير صحيح لأنه يقال كلمت فضلاهن و ليس فيه (١) ألف و لام و كان ينبغي أن يقول إذا كان منكرا مصحوبا بمن استوى المذكر و المؤنث فى لفظ أفعال تقول زيد أفضل من عمرو و هند أحسن من دعد كائِنْ لا عَنْ حَدِيثِ مَوْجُودٍ لا عَنْ عَدَمِ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُقَارَنِهِ وَ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُرَائِلِهِ فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ الْأَلِهَ بَصِيرٌ إِذْ لا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مُتَوَحِّدٌ إِذْ لا سَيِّكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَ لا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلا رَوِيهِ أَجَالَهَا وَ لا تَجْرِبُهُ اسْتِفَادَهَا وَ لا حَرَكَهَ أَحَدَتْهَا وَ لا هَمَامَهَ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَ [لَاءَمَ]

لَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا وَ غَرَزَ غَرَائِزَهَا وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِمًا بِهَا قَبِيلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَ انْتِهَائِهَا عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا [أَجْنَائِهَا]

قوله ع كائِنْ و إن كان فى الاصطلاح العرفى مقولا- على ما ينزه البارئ عنه فمراده (٢) به المفهوم اللغوى و هو اسم فاعل من كان بمعنى وجد كأنه قال موجود غير محدث.

ص: ٧٨

١- ١) ب: «فيهن».

٢- ٢) ا: «فمراد».

فان قيل فقد قال بعده موجود لا عن عدم فلا يبقى بين الكلمتين فرق.

قيل بينهما فرق و مراده بالموجود لا- عن عدم هاهنا وجوب وجوده و نفى إمكانه لأن من أثبت قديما ممكنا فإنه و إن نفى حدوثه الزمانى فلم ينف حدوثه الذاتى و أمير المؤمنين ع نفى عن البارئ تعالى فى الكلمه الأولى الحدوث الزمانى و نفى عنه فى الكلمه الثانى الذاتى و قولنا فى الممكن أنه موجود من عدم صحيح عند التأمل لا بمعنى أن عدمه سابق له زمانا بل سابق لوجوده ذاتا لأن الممكن يستحق من ذاته أنه لا يستحق الوجود من ذاته .

و أما قوله مع كل شىء لا بمقارنه فمراده بذلك أنه يعلم الجزئيات و الكلّيات كما قال سبحانه مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ (١) .

و أما (٢) قوله و غير كل شىء لا بمزايله فحق لأن الغيرين فى الشاهد هما ما زایل أحدهما الآخر و باينه بمكان أو زمان و البارئ سبحانه يباين الموجودات مباينه منزّه عن المكان و الزمان فصدق عليه أنه غير كل شىء لا بمزايله .

و أما قوله فاعل لا بمعنى الحركات و الآله فحق لأن فعله اختراع و الحكماء يقولون إبداع و معنى الكلمتين واحد و هو أنه يفعل لا بالحركه و الآله كما يفعل الواحد منا و لا يوجد شيئا من شىء .

و أمّا قوله بصير إذ لا- منظور إليه من خلقه فهو حقيقه مذهب أبى هاشم رحمه الله و أصحابه لأنهم يطلقون عليه فى الأزل أنه سميع بصير و ليس هناك مسموع و لا مبصر و معنى ذلك كونه بحال يصحّ منه إدراك المسموعات و المبصرات إذا وجدت

ص: ٧٩

١-١) سورة المجادله ٧.

٢-٢) ١: «فأما».

و ذلك يرجع إلى كونه حيا لا آفه به و لا يطلقون عليه أنه سامع مبصر في الأزل لأن السامع المبصر هو المدرك بالفعل لا بالقوه

و أمّا قوله متوحد إذ لا سكن يستأنس به و يستوحش لفقده فإذ هاهنا ظرف و معنى الكلام أن العاده و العرف إطلاق متوحد على من قد كان له من يستأنس بقربه و يستوحش ببعده فانفرد عنه و البارئ سبحانه يطلق عليه أنه متوحد في الأزل و لا موجود سواه و إذا صدق سلب الموجودات كلها في الأزل صدق سلب ما يؤنس أو يوحش فتوحده سبحانه بخلاف توحد غيره .

و أمّا قوله ع أنشأ الخلق إنشاء و ابتدأه ابتداء فكلمتان مترادفتان على طريقه الفصحاء و البلاغاء كقوله سبحانه لا يَمَسُّنَا فِيهَا نِصْبٌ وَ لا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (١) و قوله لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ (٢) .

و قوله بلا- رويه أجالها فالرويه الفكره و أجالها ردها و من رواه أجالها بالحاء أراد صرفها و قوله و لا تجربه استفادها أى لم يكن قد خلق من قبل أجساما فحصلت له التجربة التى أعانته على خلق هذه الأجسام .

و قوله و لا حركه أحدثها فيه ردّ على الكراميه الذين يقولون إنه إذا أراد أن يخلق شيئا مبينا عنه أحدث فى ذاته حادثا يسمى الأحداث فوق ذلك الشئ المبين عن ذلك المعنى المتجدد المسمى أحداثا .

و قوله و لا- همامه نفس اضطرب فيها فيه ردّ على المجوس و الثنويه القائلين بالهمامه و لهم فيها خبط طويل يذكره أصحاب المقالات و هذا يدلّ على صحه ما يقال إن أمير المؤمنين ع كان يعرف آراء المتقدمين و المتأخرين و يعلم العلوم كلها و ليس ذلك ببعيد من فضائله و مناقبه ع.

ص : ٨٠

١-١) سورة فاطر ٣٥.

٢-٢) سورة المائدة ٤٨.

و أمّا قوله أحال الأشياء لأوقاتها فمن رواها أحل الأشياء لأوقاتها فمعناه جعل محل كل شيء و وقته كمحل الدين و من رواها أحال فهو من قولك حال فى متن فرسه أى وثب و أحاله غيره أى أوثبه على متن الفرس عداه بالهمزه و كأنه لما أقر الأشياء فى أحيائها و أوقاتها صار كمن أحال غيره على فرسه .

و قوله و لاءم بين مختلفاتها أى جعل المختلفات ملتزمات (١) كما قرن النفس الروحانيه بالجسد الترابى جلت عظمتة و قوله و غرز غرائزها المروى بالتشديد و الغريزه الطبيعه و جمعها غرائز و قوله غرزها أى جعلها غرائز كما قيل سبحان من ضوأ الأضواء و يجوز أن يكون من غرزت الإبره بمعنى غرست و قد رأيناها فى بعض النسخ بالتخفيف.

و قوله و ألزمها أشباحها الضمير المنصوب فى ألزمها عائد إلى الغرائز أى ألزم الغرائز أشباحها أى أشخاصها جمع شبح و هذا حقّ لأن كلا مطبوع على غريزه لازمه فالشجاع لا يكون جبانا و البخيل لا يكون جوادا و كذلك كل الغرائز لازمه لا تنتقل .

و قوله عالما بها قبل ابتدائها إشاره إلى أنه عالم بالأشياء فيما لم يزل و قوله محيطا بحدودها و انتهائها أى بأطرافها و نهاياتها.

و قوله عارفا بقرائنها و أحنائها القرائن جمع قرونه (٢) و هى النفس و الأحناء الجوانب جمع حنو يقول إنّه سبحانه عارف بنفوس هذه الغرائز التى ألزمها أشباحها عارف بجهاتها و سائر أحوالها المتعلقة بها و الصادره عنها.

ص: ٨١

١- ١) ب: «ملتئمته»، و ما أثبتته عن أ.

٢- ٢) و منه قول أوس بن حجر: فلاقى امرأ من ميدعان و أسمحت قرونته باليأس منها فعجّلا أى طابت نفسه بتركها.

فأما القطب الراوندى فإنه قال معنى قوله ع كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم أنه لم يزل موجودا و لا يزال موجودا فهو باق أبدا كما كان موجودا أولا و هذا ليس بجيد لأن اللفظ لا يدل على ذلك و لا فيه تعرض بالبقاء فيما لا يزال.

و قال أيضا قوله ع لا يستوحش كلام مستأنف و لقائل أن يقول كيف يكون كلاما مستأنفا و الهاء فى فقده ترجع إلى السكن المذكور أولا.

و قال أيضا يقال ما له فى الأمر همه و لا-همامه أى لا يهم به و الهمامه التردد كالعزم و لقائل أن يقول العزم هو إرادته جازمه حصلت بعد التردد فبطل قوله أن الهمامه هى نفس التردد كالعزم و أيضا فقد بينا مراده ع بالهمامه حكى زرقان (١) فى كتاب المقالات و أبو عيسى الوراق (٢) و الحسن بن موسى (٣) و ذكره شيخنا أبو القاسم البلخى (٤) فى كتابه فى المقالات أيضا عن الثنويه أن النور الأعظم اضطربت عزائمه و إرادته فى غزو الظلمه و الإغاره عليها فخرجت من ذاته قطعه و هى الهمامه المضطربه فى نفسه فخالطت الظلمه غازيه لها فاقتطعتها الظلمه عن النور الأعظم و حالت بينها و بينه و خرجت همامه الظلمه غازيه للنور الأعظم فاقتطعتها النور الأعظم عن الظلمه و مزجها بأجزائه و امتزجت همامه النور بأجزاء الظلمه أيضا ثم ما زالت الهمامتان تتقاربان

ص: ٨٢

١- (١) هو زرقان المتكلم؛ تلميذ إبراهيم بن سيار النظام؛ و قد حكى زرقان عن النظام أقوالا فى الفرق بين الفرق ٥٠-٥١، و ذكره المسعودى فى التنبيه و الإشراف ٣٤٢.

٢- (٢) هو أبو عيسى محمّد بن هارون الوراق؛ كان من نظارى المعتزله؛ و له تصانيف على مذهبهم. توفى سنة ٢٤٧. لسان الميزان ٤١٢:٥.

٣- (٣) هو أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختى؛ من متكلمي الإماميه؛ و ذكره الطوسى فى طبقاتهم؛ عاش فى القرن الثالث. لسان الميزان ٢٥٨:٢، وروضات الجنّات ٣١، تنقيح المقال ٣١٢:١.

٤- (٤) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى الكعبى؛ شيخ المعتزله، و كان على رأس طائفه منهم يقال لهم الكعبيه؛ توفى سنة ٣١٩. ابن خلكان ٢٥٢:١.

و تتدانيان و هما ممتزجتان بأجزاء هذا و هذا حتى انبنى منهما هذا العالم المحسوس و لهم فى الهمامه كلام مشهور و هى لفظه اصطلاحوا عليها و اللغه العربيه ما عرفنا فيها استعمال الهمامه بمعنى الهمه و الذى عرفناه الهمه بالكسر و الفتح و المهمه و تقول لا همام لى بهذا الأمر مبنى على الكسر كقطام و لكنها لفظه اصطلاحيه مشهوره عند أهلها ثم أنشأ سيبحانه فثق الأجواء و شق الأجزاء و سكائك الهواء فأجرى (١) [أجاز]

فيها ماء متلاطماً تياره متراكماً زخاره حمله على متن الريح العاصفه و الزرع القاصفه فأمرها برد و سلطها على شده و قرنها إلى حده الهواء من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق ثم أنشأ سيبحانه ريحاً اعتقم مهبتها و أدام مربتها و أعصف مجراها و أبعده منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار و إثاره موج البحار فمخضته مخض السقاء و عصفت به عصفها بالفضاء ترد أوله [على]

إلى آخره و ساجيه [ساكنه]

[على]

(٢) إلى مائره حتى عب عبائه و رمى بالزبد ركامه فرعه فى هواء منفتق و جو منفتح فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً و عليهن سقفاً محفوظاً و سمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعماها و لا دسار [ينظماها]

(٣) ينظماها ثم زينها بزينة الكواكب و ضياء الثواب و أجرى فيها سراجاً مستطيراً و قمراً منيراً فى فلك دائر و سقفاً سائر و رقيم مائير.

ص: ٨٣

١- ١) ا: «فأجاز»، و كذلك فى مخطوطه النهج.

٢- ٢) ج: «إلى»، و كذلك فى مخطوطه النهج.

٣- ٣) ج: «ينظماها».

لسائل أن يسأل فيقول ظاهر هذا الكلام أنه سبحانه خلق الفضاء و السماوات بعد خلق كل شيء لأنه قد قال قبل فطر الخلائق و نشر الرياح و وتد الأرض بالجبال ثم عاد فقال أنشأ الخلق إنشاء و ابتدأه ابتداء و هو الآن يقول ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء و لفظه ثم للتراخي.

فالجواب أن قوله (١) ثم هو تعقيب و تراخ لا- في مخلوقات البارئ سبحانه بل في كلامه ع كأنه يقول ثم أقول الآن بعد قولى المتقدم إنه تعالى أنشأ فتق الأجواء و يمكن أن يقال إن لفظه ثم هاهنا تعطى معنى الجمع المطلق كالواو و مثل ذلك قوله تعالى وَ إِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٢).

و اعلم أن كلام أمير المؤمنين ع فى هذا الفصل يشتمل على مباحث منها أن ظاهر لفظه أن الفضاء الذى هو الفراغ الذى يحصل فيه الأجسام خلقه الله تعالى و لم يكن من قبل و هذا يقتضى كون الفضاء شيئاً لأن المخلوق لا يكون عدما محضاً و ليس ذلك ببعيد فقد ذهب إليه قوم من أهل النظر و جعلوه جسماً لطيفاً خارجاً عن مشابهه هذه الأجسام و منهم من جعله مجرداً.

فإن قيل هذا الكلام يشعر بأن خلق الأجسام فى العدم المحض قبل خلق الفضاء ليس بممكن و هذا ينافى العقل.

قيل بل هذا هو محض مذهب الحكماء فإنهم يقولون إنه لا يمكن وجود جسم

ص: ٨٤

١-١) كذا فى ا،ج،و فى ب: «فالجواب قوله».

٢-٢) سورة طه ٨٢.

و لا حركه جسم خارج الفلك الأقصى و ليس ذلك إلا لاستحاله وجود الأجسام و حركتها إلا فى الفضاء .

و منها أن البارئ سبحانه خلق فى الفضاء الذى أوجده ماء جعله على متن الريح فاستقل عليها و ثبت و صارت مكانا له ثم خلق فوق ذلك الماء ريحا أخرى سلطها عليه فموجته تمويجا شديدا حتى ارتفع فخلق منه السماوات و هذا أيضا قد قاله قوم من الحكماء و من جملتهم تاليس الإسكندراني و زعم أن الماء أصل كل (١) العناصر لأنه إذا انجمد صار أرضا و إذا لطف صار هواء و الهواء يستحيل نارا لأن النار صفوه الهواء.

و يقال إن فى التوراه فى أول السفر الأول كلاما يناسب هذا و هو أن الله تعالى خلق جوهرًا فنظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاءه فصارت ماء ثم ارتفع من ذلك الماء بخار كالدخان (٢) فخلق منه السماوات و ظهر على وجه ذلك الماء زبد (٣) فخلق منه الأرض ثم أرساها بالجبال .

و منها أن السماء الدنيا موج مكفوف بخلاف السماوات فوقانيه و هذا أيضا قول قد ذهب إليه قوم و استدلوا عليه بما نشاهده (٤) من حركه الكواكب المتحيره و ارتعادهما فى مرأى (٥) العين و اضطرابها قالوا لأن المتحيره متحركه فى أفلاكها و نحن نشاهدها بالحس البصرى و بيننا و بينها أجرام الأفلاك الشفافه و نشاهدها مرتعده حسب ارتعاد الجسم السائر فى الماء و ما ذاك إلا لأن السماء الدنيا ماء متموج فارتعاد الكواكب

ص: ٨٥

١- ١) كلمه «كل» ساقطه من ا.

٢- ٢- ٢) ساقط من ا.

٣- ٢- ٢) ساقط من ا.

٤- ٤) ا: «مرائى».

المشاهده حسا إنما هو بحسب ارتعاد أجزاء الفلك الأدنى قالوا فأما الكواكب الثابته فإننا (١) لم نشاهدها كذلك لأنها ليست بمتحركه و أمّا القمر و إن كان فى السماء الدنيا إلاّ- أن فلك تدويره من جنس الأجرام الفوقانيه و ليس بماء متموج كالفلك الممثل التحتانى و كذلك القول فى الشمس.

و منها أن الكواكب فى قوله ثم زينها بزينة الكواكب أين هى فإن اللفظ محتمل و ينبغى أن يتقدم على ذلك بحث فى أصل قوله تعالى إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب و حفظاً من كل شيطانٍ ماردٍ (٢).

فقول إن ظاهر هذا اللفظ أن الكواكب فى السماء الدنيا و أنها جعلت فيها حراسه للشياطين من استراق السمع فمن دنا منهم لذلك رجم بشهاب و هذا هو الذى يقتضيه ظاهر اللفظ و مذهب الحكماء أن السماء الدنيا ليس فيها إلا القمر وحده و عندهم أن الشهب المنقضه هى آثار تظهر فى الفلك الأثيرى النارى الذى تحت فلك القمر و الكواكب لا ينقض منها شىء و الواجب التصديق بما فى ظاهر لفظ الكتاب العزيز و أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع على مطابقته فىكون الضمير فى قوله زينها راجعا إلى سفلاهن التى قال إنها موج مكفوف و يكون (٣) الضمير فى قوله و أجرى فيها راجعا إلى جملة السماوات إذا وافقنا الحكماء فى أن الشمس فى السماء الرابعه.

و منها أن ظاهر الكلام يقتضى أن خلق السماوات بعد خلق الأرض ألا تراه كيف لم يتعرض فيه لكيفيه خلق الأرض أصلا و هذا قول قد ذهب إليه جماعه من أهل المله

ص: ٨٦

١- ١) ب: «فإنما».

٢- ٢) سورة الصافات ٦، ٧.

٣- ٣) ا: «فيكون».

و استدلووا (١) عليه بقوله تعالى قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢) ثم قال ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ (٣) .

و منها أن الهاء في قوله فرفعه في هواء منفتح و الهاء في قوله فسوى منه سبع سموات إلى ما ذا ترجع فإن آخر المذكورات قبلها الزبد و هل يجوز أن تكون السماوات مخلوقه من زبد الماء الحق أن الضمائر ترجع إلى الماء الذي عب عبابه لا إلى الزبد فإن أحدا لم يذهب إلى أن السماء مخلوقه من زبد الماء و إنما قالوا إنها مخلوقه من بخاره.

و منها أن يقال إن الباري سبحانه قادر على خلق الأشياء إبداعا و اختراعا فما الذي اقتضى أنه خلق المخلوقات على هذا الترتيب و هلا أوجدها إيجاد الماء الذي ابتدعه أولا من غير شيء.

فيقال في جواب ذلك على طريق أصحابنا لعل إخباره للمكلفين بذلك على هذا الترتيب يكون لطفا بهم (٤) و لا يجوز الإخبار منه تعالى إلا و المخبر عنه مطابق للإخبار.

فهذا حظ المباحث المعنويه من هذا الفصل.

ثم نشرع في تفسير ألفاظه أما الأجواء فجمع جو و الجو هنا الفضاء العالى بين السماء و الأرض و الأرجاء

ص: ٨٧

١- ١) :«استدلووا».

٢- ٢) سورة فصلت ٩.

٣- ٣) سورة فصلت ١٠.

٤- ٤) كذا في ج، و في ا، ب: «لهم».

الجوانب واحدها رجا مثل عصا و السكائك جمع سكاكه و هى أعلى الفضاء كما قالوا ذؤابه و ذوائب و التيار الموج و المتراكم الذى بعضه فوق بعض و الزخار الذى يزخر أى يمتد و يرتفع و الريح الزرع الشديده الهبوب و كذلك القاصفه كأنها تهلك الناس بشده هبوبها و معنى قوله فأمرها برده أى بمنعه عن الهبوط لأن الماء ثقيل و من شأن الثقيل الهوى و معنى قوله و سلطها على شده أى على وثاقه كأنه سبحانه لما سلط البريح على منعه من الهبوط فكأنه قد شده بها و أوثقه و منعه من الحركة و معنى قوله و قرننها إلى حده أى جعلها مكانا له أى جعل حدّ الماء المذكور و هو سطحه الأسفل ممّا ساطح الريح التى تحمله و ثقله و الفتيق المفتوق المنبسط و الدفيق المدفوق و اعتقم مهبها أى جعل هبوبها عقيما و الريح العقيم التى لا تلقح سحابا و لا شجرا و كذلك كانت تلك الريح المشار إليها لأنه سبحانه إنّما خلقها لتمويج الماء فقط و أدام مربها أى ملازمته أرب بالمكان مثل ألب به أى لازمه.

و معنى قوله و عصفت به عصفتها بالفضاء فيه (١) معنى لطيف يقول إن الريح إذا عصفت بالفضاء الذى لا- أجسام فيه كان عصفتها شديدا لعدم المانع و هذه الريح عصفت بذلك الماء العظيم عصفا شديدا كأنها تعصف فى فضاء لا ممانع لها فيه من الأجسام.

و الساجى الساكن و المائر الذى يذهب و يجيء و عب عبا به أى ارتفع أعلاه و ركامه ثبجه و هضبه (٢) و الجو المنفهب المفتوح الواسع و الموج المكفوف الممنوع من السيلان و عمد يدعمها يكون لها دعامة و الدسار واحد الدسر و هى المسامير.

و الثواقب النيره المشرقه و سراجا مستطيرا أى منتشر الضوء يقال قد استطار

ص: ٨٨

١- ١) كلمه «فيه» ساقطه من ب.

٢- ٢) ب: «هضبته».

الفجر أى انتشر ضوءه و رقيم مائر أى لوح متحرك سمى الفلك رقيما تشبيها باللوح لأنه مسطح فأما القطب الراوندى فقال إنه ع ذكر قبل هذه الكلمات أنه أنشأ حيوانا له أعضاء و أحناء ثم ذكر هاهنا أنه فتق السماء و ميز بعضها عن بعض ثم ذكر أن بين كل سماء و سماء مسيره خمسمائه عام و هى سبع سموات و كذلك بين كل أرض و أرض و هى سبع أيضا و روى حديث البقره التى تحمل الملك الحامل للعرش و الصخره التى تحمل البقره و الحوت الذى يحمل الصخره.

و لقائل أن يقول إنه ع لم يذكر فيما تقدم أن الله تعالى خلق حيوانا ذا أعضاء و لا قوله الآن ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء هو معنى قوله تعالى أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (١) أ لا تراه كيف صرح ع بأن البارئ سبحانه خلق الهواء الذى هو الفضاء و عبر عن ذلك بقوله ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء و ليس فتق الأجواء هو فتق السماء.

فإن قلت فكيف يمكن التطبيق بين كلامه ع و بين الآية.

قلت إنه تعالى لما سلط الريح على الماء فعصفت به حتى جعلته بخارا و زبدا و خلق من أحدهما السماء و من الآخر الأرض كان فاتقا لهما من شىء واحد و هو الماء.

فأما حديث البعد بين السماوات و كونه مسيره خمسمائه عام بين كل سماء و سماء فقد ورد و روى لم يوثق به و أكثر (٢) الناس على خلاف ذلك و كون الأرض سبعا أيضا

ص: ٨٩

١-١) سورة الأنبياء ٣٠.

٢-٢) ١: «فأكثر» و ما أثبتته عن ا،ب.

خلاف ما يقوله جمهور العقلاء و ليس فى القرآن العزيز ما يدل على تعدد الأرض إلا قوله تعالى وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ (١) و قد أولوه على الأقاليم السبعة و حديث الصخره و الحوت و البقره من الخرافات فى غالب الظنّ و الصحيح أن الله تعالى يمسك الكل بغير واسطه جسم آخر.

ثم قال الراوندى السكائك جمع سكاك و هذا (٢) غير جائز لأن فعلا لا يجمع على فعائل و إنما هو جمع سكاكه ذكر ذلك الجوهرى (٣).

ثم قال و سلطها على شده الشد العدو و لا يجوز حمل الشد هاهنا على العدو لأنه لا معنى له و الصحيح ما ذكرناه .

و قال فى تفسير قوله ع جعل سفلاهن موجا مكفوفاً أراد تشبيهها بالموج لصفائها و اعتلائها فيقال له إن الموج ليس بعال ليشبه به الجسم العالى و أما صفاؤه فإن كل السماوات صافيه فلما ذا خص سفلاهن بذلك.

ثم قال و يمكن أن تكون السماء السفلى قد كانت أول ما وجدت موجا ثم عقدها يقال له و السماوات الأخر كذلك كانت فلما ذا خص السفلى بذلك.

ثم قال الريح الأولى غير الريح الثانيه لأن إحداهما معرفه و الأخرى نكره و هذا مثل قوله صم اليوم صم يوما فإنه يقتضى يومين.

يقال له ليست المغايره بينهما مستفاده من مجرد التعريف و التنكير لأنه لو كان قال

ص : ٩٠

١- ١) سورة الطلاق ١٢.

٢- ٢) ب: «و هو» و ما أثبتته عن ا.

٣- ٣) الصحاح ص ١٥٩١، و الذى فيه: «و السكاك و السكاكه: الهواء الذى يلقى أعنان السماء».

ع و حمله على متن ریح عاصفه و زرع قاصفه لكانت الريحان الأولى و الثانيه منكرتين معا و هما متغايرتان و إنما علمنا
تغيرهما لأن إحداهما تحت الماء و الأخرى فوقه و الجسم الواحد لا يكون في جهتين: ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا فَمَلَأَهُنَّ
أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ وَ صَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعِيُونَ
وَ لَا سَهُوُ الْعُقُولِ وَ لَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَ لَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ وَ مِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَ مُخْتَلِفُونَ [مُتَرَدِّدُونَ]

بِقَضَائِهِ (١) وَ أَمْرِهِ وَ مِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ [السَّنَدَةُ]

لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ وَ مِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ السُّفْلَى أَعْدَامُهُمْ وَ الْمَيَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَ
مُنَاسِبَةٌ لِقِسْمِ الْعَرْشِ أَكْتِافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفَعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَ
أَسْتَارُ الْقُدْرَةِ لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ [الْمَخْلُوقِينَ]

وَ لَا يُحَدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَ لَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنُّظَائِرِ.

القول فى الملائكة و أقسامهم

إشاره

الملك عند المعتزله حيوان نورى فممنه شفاف عادم اللون كالهواء و منه ملون بلون الشمس و الملائكة عندهم قادرون عالمون
أحياء بعلوم و قدر و حياه كالواحد منا و مكلفون كالواحد منا إلا أنهم معصومون و لهم فى كيفية تكليفهم كلام لأن التكليف

ص: ٩١

و فى كلفه خلق الشهوه فىهم نظر و لفس هذا الكتاب موضوعا للبحث فى ذلك و قد جعلهم ع فى هذا الفصل أربعه أقسام القسم الأول أرباب العباده فمنهم من هو ساجد أبدا لم يقم من سجوده ليركع و منهم من هو راعع أبدا لم ينتصب قط و منهم الصافون فى الصلاه بين ىدى خالقهم لا يترايلون و منهم المسبحون الذين لا يملون التسبيح و التحميد له سبحانه .

و القسم الثانى السفراء بينه تعالى و بين المكلفين من البشر بتحمل الوحى الإلهى إلى الرسل و المختلفون بقضائه و أمره إلى أهل الأرض .

و القسم الثالث ضربان أحدهما حفظه العباد كالكرام الكاتبين و كالملائكه الذين يحفظون البشر من المهالك و الورطات و لو لا ذلك لكان العطب أكثر من السلامه و ثانيهما سدنه الجنان .

القسم الرابع حملة العرش .

و يجب أن يكون الضمير فى دونه و هو الهاء راجعا إلى العرش لا إلى البارئ سبحانه و كذلك الهاء فى قوله تحته و يجب أن تكون الإشارة بقوله و بين من دونهم إلى الملائكه الذين دون هؤلاء فى الرتبه.

فأما ألفاظ الفصل فكلها غنيه عن التفسير إلا- يسيرا كالسندنه جمع سادن و هو الخادم و المارق الخارج و تلفعت بالثوب أى التحفت به.

و أما (١) القطب الراوندىّ فجعل الأمانة على الوحى و حفظه العباد و سدنه الجنان

ص: ٩٢

قسما واحدا فأعاد الأقسام الأربعة إلى ثلاثة و ليس بجيد لأنه قال و منهم الحفظه فلفظه و منهم تقتضى كون الأقسام أربعة لأنه بها فصل بين الأقسام .

□ و قال أيضا معنى قوله ع لا يغشاهم نوم العيون يقتضى أن لهم نوما قليلا لا يغفلهم عن ذكر الله سبحانه فأما البارئ سبحانه فإنه لا تأخذه سنه و لا نوم أصلا مع أنه حى و هذه هى المدحه العظمى.

و لقائل أن يقول لو ناموا قليلا- لكانوا زمان ذلك النوم و إن قل غافلين عن ذكر الله سبحانه لأن الجمع بين النوم و بين الذكر مستحيل.

و الصحيح أن الملك لا يجوز عليه النوم كما لا يجوز عليه الأكل و الشرب لأن النوم من توابع المزاج و الملك لا مزاج له و أما مدح البارئ بأنه لا- تأخذه سنه و لا نوم فخارج عن هذا الباب لأنه تعالى يستحيل عليه النوم استحاله ذاته لا يجوز تبديلها و الملك يجوز أن يخرج عن كونه ملكا بأن يخلق فى أجزاء جسمه رطوبه و يبوسه و حراره و بروده يحصل من اجتماعها مزاج و يتبع ذلك المزاج النوم فاستحاله النوم عليه إنما هى ما دام ملكا فهو كقولك الماء بارد أى ما دام ماء لأنه يمكن أن يستحيل هواء ثم نارا فلا يكون باردا لأنه ليس حينئذ ماء و البارئ جلت عظمته يستحيل على ذاته أن يتغير فاستحال عليه النوم استحاله مطلقه مع أنه حى و من هذا إنشاء التمدح

٥١

و روى أبو هريره عن النبي ص أن الله خلق الخلق أربعة أصناف الملائكة و الشياطين و الجن و الإنس ثم جعل الأصناف الأربعة عشرة أجزاء فتسعة منها الملائكة و جزء واحد الشياطين و الجن و الإنس ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منها الشياطين و جزء واحد الجن و الإنس ثم جعل الجن و الإنس عشرة أجزاء فتسعة منها الجن و جزء واحد الإنس.

ص: ٩٣

١٤- وَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تُصَافِحُ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ وَ تَزُورُهُ ثُمَّ افْتَقَدَهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ رِجَالًا كَانُوا يَأْتُونِي لَمْ أَرِ أَحْسَنَ وَجُوهًا وَلَا أَطْيَبَ أَرْوَاحًا مِنْهُمْ ثُمَّ انْقَطَعُوا فَقَالَ عَ أَصَابَكَ جُرْحٌ فَكُنْتَ تَكْتُمُهُ فَقَالَ أَجَلٌ قَالَ ثُمَّ أَظْهَرْتَهُ قَالَ أَجَلٌ قَالَ أَمَا لَوْ أَقَمْتَ عَلَيَّ كِتْمَانَهُ لَزَارَتْكَ الْمَلَائِكَةُ إِلَى أَنْ تَمُوتَ .

و كان هذا الجرح أصابه في سبيل الله.

وَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَ غَيْرُهُ الْمَلَائِكَةُ لَيْسُوا بِذُكُورٍ وَ لَا إِنَاثٍ وَ لَا يَتَوَالَّدُونَ وَ لَا يَأْكُلُونَ وَ لَا يَشْرَبُونَ وَ الْجِنُّ يَتَوَالَّدُونَ وَ فِيهِمْ ذُكُورٌ وَ إِنَاثٌ وَ يَمُوتُونَ وَ الشَّيَاطِينُ ذُكُورٌ وَ إِنَاثٌ وَ يَتَوَالَّدُونَ وَ لَا يَمُوتُونَ حَتَّى يَمُوتَ إِبْلِيسُ .

وَ قَالَ النَّبِيُّ ص فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ إِنَّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَ أَسْمِعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَ حَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَ (١) فَمَا فِيهَا مَوْضِعٌ شَرِيحًا - وَ فِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ وَاضِعٌ جَهْتَهُ لِلَّهِ وَ اللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَ مَا تَلَعَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ وَ لَخَرَجْتُمْ إِلَى الْفَلَوَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجْرَةً تُعْضَدُ (٢) .

قلت و يوشك هذه الكلمه الأخيره أن تكون قول أبي ذر .

و اتفق أهل الكتب على أن رؤساء الملائكه و أعيانهم أربعة جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل و هو ملك الموت و قالوا إن إسرافيل صاحب الصور و إليه النفخه و إن ميكائيل صاحب النبات و المطر و إن عزرائيل على أرواح الحيوانات و إن جبرائيل على جنود السماوات و الأرض كلها و إليه تدبير الرياح و هو ينزل إليهم كلهم بما يؤمرون به.

١- ١) ذكره ابن الأثير في النهاية ١: ٣٥، و قال: «الاطيط: صوت الأقتاب، و اطييط الإبل: أصواتها و حنينها؛ أي أن كثره ما فيها من الملائكه قد أثقلها حتى أظت؛ و هذا مثل و إيدان بكثره الملائكه؛ و إن لم يكن ثم اطييط؛ و إنما هو كلام تقريب، أريد به تقرير عظمه الله تعالى».

٢- ٢) تعضد: تقطع؛ و انظر النهاية لابن الأثير ١٠٤: ٣.

١٤- وَ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص مَا هُوَ لِأَنَّ الَّذِينَ اسْتَشْنَى بِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ (١) فَقَالَ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَعِزْرَائِيلُ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِزْرَائِيلَ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ مَنْ بَقِيَ وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ فَيَقُولُ سُبْحَانَكَ رَبِّي ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بَقِيَ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمَلِكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ خُذْ نَفْسَ إِسْرَافِيلَ فَيَقَعُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا كَأَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَطْوَادِ ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ سُبْحَانَكَ رَبِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَمَلِكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ خُذْ نَفْسَ مِيكَائِيلَ فَيَقَعُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا وَهِيَ أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنْ خَلْقِ إِسْرَافِيلَ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ ثُمَّ يَقُولُ سُبْحَانَكَ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ مَنْ بَقِيَ فَيَقُولُ سُبْحَانَكَ رَبِّي ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ جِبْرَائِيلُ وَمَلِكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ تَعَالَى يَا مَلِكُ الْمَوْتِ مَتَّ فَيَمُوتُ وَيَبْقَى جِبْرَائِيلُ وَهُوَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ فَيَقُولُ اللَّهُ يَا جِبْرَائِيلُ إِنَّهُ لَا بِيَدٍ مِنْ أَنْ يَمُوتَ أَحَدٌ نَا فَيَقَعُ جِبْرَائِيلُ سَاجِدًا يَخْفِقُ بِجَنَاحَيْهِ يَقُولُ سُبْحَانَكَ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ أَنْتَ الدَّائِمُ الْقَائِمُ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَجِبْرَائِيلُ الْهَالِكُ الْمَيِّتُ الْفَانِي فَيَقْبِضُ اللَّهُ رُوحَهُ فَيَقَعُ عَلَى مِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَإِنْ فَضَلَ خَلْقَهُ عَلَى خَلْقِهِمَا كَفَضَلَ الطُّودِ الْعَظِيمِ عَلَى الظَّرْبِ (٢) مِنَ الظَّرَابِ .

١٤- وَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ص عَلَى صُورِهِ دَحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى فَرَسٍ اسْمُهُ حَيْرُومٌ وَ أَنَّهُ سَمِعَ ذَلِكَ الْيَوْمَ صَوْتَهُ أَقْدَمَ حَيْرُومٌ (٣) .

١- (١) سورة الزمر ٦٨.

٢- (٢) الظرب ككتف: الجبل الصغير.

٣- (٣) الخبر في اللسان (حزم)؛ وفيه: «أراد أقدم يا حيزوم؛ فحذف حرف النداء، والياء فيه «زائده».

و الكروبيون (١) عند أهل المله ساده الملائكه كجبرائيل و ميكائيل و عند الفلاسفه أن ساده الملائكه هم الروحانيون يعنون العقول الفعاله و هى المفارقه للعالم الجسمانى المسلوبه التعلق به لا بالحول و لا بالتدبير و أما الكروبيون فدون الروحانيين فى المرتبه و هى أنفس الأفلاك المدبره لها الجاريه منها مجرى نفوسنا مع أجسامنا.

ثم هى على قسمين قسم أشرف و أعلى من القسم الآخر فالقسم الأشرف ما كان نفسا ناطقه غير حاله فى جرم الفلك كأنفسنا بالنسبه إلى أبداننا و القسم الثانى ما كان حالا فى جرم الفلك و يجرى ذلك مجرى القوى التى فى أبداننا كالحس المشترك و القوه الباصره: مِنْهَا فِي صِفِهِ خَلَقَ آدَمَ عَ ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلَهَا وَ عَذْبِهَا وَ سَبْخِهَا تُزْبَهُ سَنَّاها [سَنَّاها]

بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَ لَاطَهَا بِالْبَلْبِ حَتَّى لَزَبَتْ فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَعْضَاءٍ وَ وُضُوعٍ وَ أَعْضَاءٍ وَ فُضُولٍ أَجْمَعِ دَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ لَوْقَتٍ مَعْدُودٍ وَ أَمَدٍ [أَجَلٍ]

[أَجَلٍ]

مَعْلُومٌ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ [فَتَمَثَّلَتْ]

(٢) فَمَثَّلَتْ [فَتَمَثَّلَتْ]

إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وَ فِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَ جَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا وَ أَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِّ وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ مَعْجُونًا بِطِينِهِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ

ص: ٩٦

١ - ١) الكروبيون، مخففه الراء-على ما قاله صاحب القاموس-:هم أقرب الملائكه إلى حمله العرش؛ و أصله من الكرب و هو القرب؛ قال أميّه: ملائكه لا يفترون عباده كروبيّه منهم ركوع و سجد.

٢ - ٢) مخطوطه النهج: «فمثلت».

وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلَفَةِ (١) [الْمُتَّفَقَةُ]

وَ الْأَصْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبُرْدِ وَ الْبَلَّةِ وَ الْجُمُودِ [وَ الْمَسَاءِ وَ السُّرُورِ]

وَ اسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَ دِيْعَتَهُ لَدَيْهِمْ وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْأَذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَ الْخُنُوعِ [وَ الْخُشُوعِ]

لِتَكْرِمَتِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ [لَهُمْ]

□
أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ (٢) - [وَ قَبِيلَهُ]

[اعْتَرَتْهُمْ]

اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَ غَلَبَتْ [عَلَيْهِمْ]

عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ وَ تَعَزَّزُوا]

تَعَزَّزَ بِخَلْقِهِ النَّارِ وَ [اسْتَوْهَنُوا]

اسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلَاصِ إِلَى فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسَّخَطِ وَ اسْتِئْثَامًا لِلْبَلِيَّةِ وَ إِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ فَقَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ
الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣) ..

الحزن ما غلظ من الأرض و سبخها ما ملح منها و سنها بالماء أى ملسها قال ثم خاصرتها إلى القبه الخضراء تمشى فى مرم
مسنون (٤) .

أى مملس و لاطها من قولهم لطت الحوض بالطين أى ملطته و طينته به و البله بفتح الباء من البلل و لزبت بفتح الزاى أى
التصقت و ثبتت فجبل منها أى خلق و الأحناء الجوانب جمع حنو و أصلدها جعلها صلدا أى صلبا متينا و صلصلت ييست و هو
الصلصال و يخدمها يجعلها فى مآربه و أوطاره كالخدم الذين تستعملهم و تستخدمهم و استأدى الملائكة وديعته طلب منهم
أداءها و الخنوع الخضوع و الشقوه بكسر الشين و فى الكتاب العزيز رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا

ص: ٩٧

١-١-١) تكمله من مخطوطه النهج.

٢-٢) سورة البقره ٣٤.

٣-٣) سورة ص ٨١، ٨٠.

٤-٤) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت، من أبيات يشيب فيها برمله بنت معاويه؛ كذا نسبه صاحب اللسان ١٧:٨٨؛ و نقل عن ابن
برى أنها تروى لأبى دهب.

و استوهنوا عدوه واهنا ضعيفا و النظره بفتح النون و كسر الظاء الإمهال و التأخير.

فأما معانى الفصل فظاهره و فيه مع ذلك مباحث .

منها أن يقال اللام فى قوله لوقت معدود بما ذا تتعلق.

و الجواب أنها تتعلق بمحذوف تقديره حتى صلصلت كائنه لوقت فيكون الجار و المجرور فى موضع الحال و يكون معنى الكلام أنه أصلدها حتى يبست و جفت معدة لوقت معلوم فنفخ حينئذ روحه فيها و يمكن أن تكون اللام متعلقه بقوله فجبل أى جبل و خلق من الأرض هذه الجئه لوقت أى لأجل وقت معلوم و هو يوم القيامة .

و منها أن يقال لما ذا قال من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها .

و الجواب أن المراد من ذلك أن يكون الإنسان مركبا من طباع مختلفه و فيه استعداد للخير و الشر و الحسن و القبح .

و منها أن يقال لما ذا أخر نفخ الروح فى جئه آدم مده طويله فقد قيل إنه بقى طينا تشاهده الملائكه أربعين سنه و لا يعلمون ما المراد به.

و الجواب يجوز أن يكون فى ذلك (٢) لطف للملائكه لأنهم تذهب ظنونهم فى ذلك (٣) كل مذهب فصار كإنزال المتشابهات الذى تحصل به رياضه الأذهان و تخريجها و فى ضمن ذلك يكون اللطف و يجوز أن يكون فى أخبار ذريه آدم بذلك فيما بعد لطف بهم (٤) و لا يجوز إخبارهم بذلك إلا إذا كان المخبر عنه حقا

ص: ٩٨

١-١ (١) سورة «المؤمنون» ١٠٦.

٢-٢-٢ (٢) ساقط من أ.

٣-٢-٢ (٣) ساقط من أ.

و منها أن يقال ما المعنى بقوله ثم نفخ فيها من روحه .

الجواب أن النفس لما كانت جوهرًا مجردًا لا- متحيزه و لا- حاله في المتحيز حسن لذلك نسبتها إلى البارئ لأنها أقرب إلى الانتساب إليه من الجثمانيات (١) و يمكن أيضا أن تكون لشرفها مضافه إليه كما يقال بيت الله للكعبه و أمّا النفخ فعباره عن إفاضه النفس على الجسد و لما نفخ الريح في الوعاء عباره عن إدخال الريح إلى جوفه و كان الإحياء عباره عن إفاضه النفس على الجسد و يستلزم ذلك حلول القوى و الأرواح في الجثه باطنا و ظاهرا سمي ذلك نفخا مجازا .

و منها أن يقال ما معنى قوله معجونا بطينه الألوان المختلفه .

الجواب أنه ع قد فسر ذلك بقوله من الحرّ و البرد و البله و الجمود يعنى الرطوبه و اليبوسه و مراده بذلك المزاج الذى هو كيفيه واحده حاصله من كيفيات مختلفه قد انكسر بعضها ببعض و قوله معجونا صفه إنسانا و الألوان المختلفه يعنى الضروب و الفنون كما تقول (٢) فى الدار ألوان من الفاكهه.

و منها أن يقال ما المعنى بقوله و استأدى الملائكه وديعته لديهم و كيف كان هذا العهد و الوصيه بينه و بينهم.

الجواب أن العهد و الوصيه هو قوله تعالى لهم إني خالق بشرًا من طينٍ فإذا سويته و نفخت فيه من رُوحى فقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٣) .

ص: ٩٩

١- ١) يقال: جثمان الرجل و جسمانه، أى جسده.

٢- ٢) ا: «كما يقال».

٣- ٣) سوره ص ٧٢، ٧١.

و منها أن يقال كيف كانت شبهه إبليس و أصحابه فى التعرز بخلقه النار .

الجواب لما كانت النار مشرقه بالذات و الأرض مظلمه و كانت النار أشبه بالنور و النور أشبه بالمجردات جعل إبليس ذلك حجه احتج بها فى شرف عنصره على عنصر آدم ع و لأن النار أقرب إلى الفلك من الأرض و كل شىء كان أقرب إلى الفلك من غيره كان أشرف و البارئ تعالى لم يعتبر ذلك و فعل سبحانه ما يعلم أنه المصلحه و الصواب.

و منها أن يقال كيف يجوز السجود لغير الله تعالى.

و الجواب أنه قيل إن السجود لم يكن إلا لله تعالى و إنما كان آدم ع قبله و يمكن أن يقال إن السجود لله على وجه العباده و لغيره على وجه التكرمه كما سجد أبو يوسف و إخوته له و يجوز أن تختلف الأحوال و الأوقات فى حسن ذلك و قبحه.

و منها أن يقال كيف جاز على ما تعتقدونه من حكمه البارئ أن يسلط إبليس على المكلفين أ ليس هذا هو الاستفساد الذى تأبونه و تمنعونه.

و الجواب أما الشيخ أبو على رحمه الله فيقول حدّ المفسده ما وقع عند الفساد و لولاه لم يقع مع تمكن المكلف من الفعل فى الحالين و من فسد بدعاء إبليس لم يتحقق فيه هذا الحدّ لأن الله تعالى علم أن كل من فسد عند دعائه فإنه يفسد و لو لم يدعه.

و أما أبو هاشم رحمه الله فيحدّ المفسده (1) بهذا الحدّ أيضا و يقول إن فى الإتيان بالطاعه مع دعاء إبليس إلى القبيح مشقه زائده على مشقه الإتيان بها لو لم يدع إبليس إلى

ص : ١٠٠

(١ - ١) ج: «الفساد».

القيح فصار الإتيان بها مع اعتبار دعاء إبليس إلى خلافها خارجا عن الحدّ المذكور و داخلا في حيز التمكّن الذي لو فرضنا ارتفاعه لما صح من المكلف الإتيان بالفعل و نحن قلنا في الحدّ مع تمكّن المكلف من الإتيان بالفعل في الحالين .

و منها أن يقال كيف جاز للحكيم سبحانه أن يقول لإبليس إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إلى يوم القيامة و هذا إغراء بالقيح و أنتم تمنعون أن يقول الحكيم لزيد أنت لا تموت إلى سنه بل إلى شهر أو يوم واحد لما فيه من الإغراء بالقيح و العزم على التوبه قبل انقضاء الأمد.

و الجواب أن أصحابنا قالوا إن الباري تعالى لم يقل لإبليس إني منظرِك إلى يوم القيامة و إنما قال إِيَّايَ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ و هو عبارته عن وقت موته و احترامه و كل مكلف من الإنس و الجن منظر إلى يوم الوقت المعلوم على هذا التفسير و إذا (١) كان كذلك لم يكن إبليس عالما أنّه يبقى لا محاله فلم يكن في ذلك إغراء له (٢) بالقيح.

فإن قلت فما معنى قوله ع و إنجازا للعهده أليس معنى ذلك أنّه قد كان وعده أن يبقيه إلى يوم القيامة .

قلت إنّما وعده الإنظار و يمكن أن يكون إلى يوم القيامة و إلى غيره من الأوقات و لم يبين له فهو تعالى أنجز له وعده في الإنظار المطلق و ما من وقت إلا و يجوز فيه أن يخترم إبليس (٣) فلا يحصل الإغراء بالقيح و هذا الكلام عندنا ضعيف و لنا فيه نظر مذكور في كتبنا الكلاميه

ص: ١٠١

١-١ (١) : «فإذا».

٢-٢ (٢) كلمه «له» ساقطه من ا.

٣-٣ (٣) كلمه «إبليس» ساقطه من ب.

ثُمَّ أَسْكَنَ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا [عَيْشَتُهُ]

عَيْشَهُ وَ آمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وَ حَيَّرَهُ إِبْلِيسَ وَ عَدَاوَتَهُ فَاعْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَهُ عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَ مُرَافِقِهِ الْأَبْرَارِ فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَ الْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ وَ اسْتَبَدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًّا وَ [بِالِاعْتِرَازِ]

بِالِاعْتِرَازِ نَدَمًا ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ وَ لَقَّاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وَ تَنَاسَلَ الدُّرِّيَّةِ.

أما الألفاظ فظاهره و المعانى أظهر و فيها ما يسأل عنه .

فمنها أن يقال الفاء فى قوله ع فأهبطه تقتضى أن تكون التوبه على آدم قبل هبوطه من الجنة .

و الجواب أن ذلك أحد قولى المفسرين و يعضده قوله تعالى وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا (١) فجعل الهبوط بعد قبول التوبه.

و منها أن يقال إذا كان تعالى قد طرد إبليس من (٢) الجنة لما أبى السجود فكيف توصل إلى آدم و هو فى الجنة حتى استنزله عنها بتحسين أكل الشجره له.

الجواب أنه يجوز أن يكون إنما منع من دخول الجنة على وجه التقريب و الإكرام

ص: ١٠٢:

١-١ (١) سورة طه ١٢١-١٢٣.

٢-٢ (٢) كذا فى ج، و فى ا، ب: «عن الجنة».

كدخول الملائكة و لم يمنع من دخولها على غير ذلك الوجه و قيل إنه دخل في جوف الحيه كما ورد في التفسير .

و منها أن يقال كيف اشبهه على آدم الحال في الشجره المنهى عنها فخالف النهى.

الجواب أنه قيل له لا تَقْرَبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ و أريد بذلك نوع الشجره فحمل آدم النهى على الشخص و أكل من شجره أخرى من نوعها .

و منها أن يقال هذا الكلام من أمير المؤمنين ع تصريح بوقوع المعصيه من آدم ع و هو قوله فباع اليقين بشكه و العزيمه بوهنه فما قولكم في ذلك.

الجواب أما أصحابنا فإنهم لا- يمتنعون من إطلاق العصيان عليه و يقولون إنها كانت صغيره و عندهم أن الصغائر جائزه على الأنبياء ع و أما الإماميه فيقولون إن النهى كان نهى تنزيه لا نهى تحريم لأنهم لا يجيزون على الأنبياء الغلط و الخطأ لا كبيرا و لا صغيرا و ظواهر هذه الألفاظ تشهد بخلاف قولهم

اختلاف الأقوال في ابتداء خلق البشر

و اعلم أن الناس اختلفوا في ابتداء خلق البشر كيف كان فذهب أهل الملل من المسلمين و اليهود و النصارى إلى أن مبدأ البشر هو آدم الأب الأول ع و أكثر ما في القرآن العزيز من قصه آدم مطابق لما في التوراه . و ذهب طوائف من الناس إلى غير ذلك أما الفلاسفه فإنهم زعموا أنه لا أول لنوع البشر و لا لغيرهم من الأنواع.

و أما الهند فمن كان منهم على رأى الفلاسفه فقولهم ما ذكرناه و من لم يكن منهم

على رأى الفلاسفه و يقول بحدوث الأجسام لا يثبت آدم و يقول إن الله تعالى خلق الأفلاك و خلق فيها طباعا محرکه لها بذاتها فلما تحركت و حشوها أجسام لاستحاله الخلاء كانت تلك الأجسام على طبيعه واحده فاختلفت طباعها بالحركه الفلكيه فكان القريب من الفلك المتحرك أسخن و أطف و البعيد أبرد و أكثف ثم اختلطت العناصر و تكونت منها المركبات و منها تكون نوع البشر كما يتكون الدود فى الفاكهه و اللحم و البق فى البطائح و المواضع العفنه ثم تكون بعض البشر من بعض بالتوالد و صار ذلك قانونا مستمرا و نسى التخليق الأول الذى كان بالتولد (١) و من الممكن أن يكون بعض البشر فى بعض الأراضى القاصيه مخلوقا بالتولد (٢) و إنما انقطع التولد لأن الطبيعه إذا وجدت للتكون طريقا استغنت به عن طريق ثان.

و أما المجوس فلا يعرفون آدم و لا- نوحا و لا ساما و لا حاما و لا يافث و أول متكون عندهم من البشر البشرى (٣) المسمى كيومرث و لقبه كوشاه أى ملك الجبل لأن كوه هو الجبل بالفهلويه و كان هذا البشر فى الجبال و منهم من يسميه كلشاه أى ملك الطين و كل اسم الطين لأنه لم يكن حينئذ بشر ليملكهم.

و قيل تفسير كيومرث حى ناطق ميت قالوا و كان قد رزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلا و بهت و أغمى عليه و يزعمون أن مبدأ تكونه و حدوثه أن يزدان و هو الصانع الأول عندهم أفكر (٤) فى أمر أهرمن و هو الشيطان عندهم فكره أوجبت أن عرق جبينه فمسح العرق و رمى به فصار منه كيومرث و لهم خبط طويل فى كيفيه تكون أهرمن من فكره يزدان أو من إعجابه بنفسه أو من توحشه و بينهم خلاف فى قدم أهرمن و حدوثه لا يليق شرحه بهذا الموضوع (٥)

ص: ١٠٤

١-١) كذا فى ج، و فى باقى الأصول: «التوالد».

١-٢) كذا فى ج، و فى باقى الأصول: «التوالد».

٣-٣) أفكر و فكر بالتشديد، بمعنى.

٤-٤) انظر الشاهنامه ١٤.

ثم اختلفوا فى مده بقاء كيومرث فى الوجود فقال الأكثرون ثلاثون سنه و قال الأقلون أربعون سنه و قال قوم منهم إن كيومرث مكث فى الجنه التى فى السماء ثلاثه آلاف سنه و هى ألف الحمل و ألف الثور و ألف الجوزاء ثم أهبط إلى الأرض فكان بها آمنة مطمئنا ثلاثه آلاف سنه أخرى و هى ألف السرطان و ألف الأسد و ألف السنبله.

ثم مكث بعد ذلك ثلاثين أو أربعين سنه فى حرب و خصام بينه و بين أهرمن حتى هلك (١).

و اختلفوا فى كيفيه هلاكه مع اتفاقهم على أنه هلك قتلا فالأكثرون قالوا إنه قتل ابنا لأهرمن يسمى خزوره فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان فلم يجد بدا من أن يقاصه به حفظا للعهود التى بينه و بين أهرمن فقتله بابن أهرمن و قال قوم بل قتله أهرمن فى صراع كان بينهما قهره فيه أهرمن و علاه و أكله (٢).

و ذكروا فى كيفيه ذلك الصراع أن كيومرث كان هو القاهر لأهرمن فى بادئ الحال و أنه ركب و جعل يطوف به فى العالم إلى أن سأله أهرمن أى الأشياء أخوف له و أهولها عنده فقال له باب جهنم فلما بلغ به أهرمن إليها جمع به حتى سقط من فوقه و لم يستمسك فعلاه و سأله عن أى الجهات يبتدىء به فى الأكل فقال من جهه الرجل لأكون ناظرا إلى حسن العالم مده ما فابتدأه أهرمن فأكله من عند رأسه فبلغ إلى موضع الخصى و أوعيه المنى من الصلب فقطر من كيومرث قطرتا نطفه على الأرض فنبت منها ريباستان (٣) فى جبل يا صطخر يعرف بجبل دام داذ ثم ظهرت على تينك الريباستين الأعضاء البشريه فى أول الشهر التاسع و تمت فى آخره فتصور منهما بشران ذكر و أنثى و هما ميشى و ميشانه و هما بمنزله آدم و حواء عند المليون و يقال لهما أيضا ملهى و ملهيانه و يسميهما مجوس خوارزم مرد و مردانه

ص: ١٠٥

١-١) انظر الشاهنامه ١٤.

١-٢) انظر الشاهنامه ١٤.

و زعموا أنهما مكثا خمسين سنة مستغنين عن الطعام و الشراب متنعمين غير متأذيين بشيء إلى أن ظهر لهما أهرمن فى صوره شيخ كبير فحملهما على التناول من فواكه الأشجار و أكل منها و هما يبصرانه شيخا فعاد شابا فأكلا منها حينئذ فوقعا فى البلايا و الشرور و ظهر فيهما الحرص حتى تزوجا و ولد لهما ولد فأكلاه حرصا ثم ألقى الله تعالى فى قلوبهما رأفة فولد لهما بعد ذلك ستة أبطن كل بطن ذكر و أنثى و أسماؤهم فى كتاب أستا و هو الكتاب الذى جاء به زرادشت معروفه ثم كان فى البطن السابع سيامك و فرواك فتزوجا فولد لهما الملك المشهور الذى لم يعرف قبله ملك و هو أوشهنيج و هو الذى خلف جده كيومرث و عقد له التاج و جلس على السرير و بنى مدينتى بابل و السوس .فهذا ما يذكره لمجوس فى مبدأ الخلق

تصويب الزنادقه إبليس لامتناعه عن السجود لآدم

و كان فى المسلمين ممن يرمى بالزندقه من يذهب إلى تصويب إبليس فى الامتناع من السجود و يفضله على آدم و هو بشار بن برد المرعث (١) و من الشعر المنسوب إليه النار مشرقه و الأرض مظلمه و النار معبوده مذ كانت النار (٢) .

ص: ١٠٦

١ - ١) فى اللسان: «سمى بذلك لرعات كانت له فى صغره فى أذنه». و الرعات جمع رعته، و هى ما علق فى الأذن من قرط و نحوه. و روى صاحب الأغاني: و إنما سمي المرعث بقوله: قلت ريم مرعث ساحر الطرف و النظر لست و الله نائلى قلت أو يغلب القدر أنت إن رمت وصلنا فانج، هل تدرك القمر!.

٢ - ٢) الأغاني ٣:

و كان أبو الفتوح أحمد بن محمّد الغزالي الواعظ (١) أخو أبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي الفقيه الشافعي قاصا لطيفا و واعظا مفوها و هو من خراسان من مدينه طوس و قدم إلى بغداد و وعظ بها و سلك في وعظه مسلكا منكرًا لأنه كان يتعصب لإبليس و يقول إنه سيد الموحدين و قال يوما على المنبر من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق أمر أن يسجد لغير سيده فأبى و لست بضارع إلا إليكم و أما غيركم حاشا و كلا.

و قال مره أخرى لما قال له موسى أرني فقال لن (٢) قال هذا شغلك (٣) تصطفى آدم ثم تسود وجهه و تخرجه من الجنة و تدعوني إلى الطور ثم تشمت بي الأعداء هذا عملك بالأحباب (٤) فكيف تصنع بالأعداء (٥) .

و قال مره أخرى و قد ذكر إبليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أن أظاير القضاء إذا حكت أدمت و أن قسى القدر إذا رمت أصمت ثم قال لسان حال آدم ينشد في قصته و قصه إبليس و كنت و ليلي في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت و زلت.

و قال مره أخرى التقى موسى و إبليس عند عقبه الطور فقال موسى يا إبليس لم لم تسجد لآدم فقال كلا ما كنت لأسجد لبشر كيف أوحده ثم ألتفت إلى غيره و لكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت إلى الجبل فأنا أصدق منك في التوحيد.

ص: ١٠٧

١- ١) ذكره ابن الجوزي في الجزء التاسع من المنتظم ص ٢٦٠؛ ضمن وفيات سنة ٥٢٠، و قال عنه: «الغالب على كلامه التخليط و روايه الأحاديث الموضوعه و الحكايات الفارغه و المعانى الفاسده؛ و قد علق عنه كثير من ذلك». و ذكره أيضا ابن حجر في لسان الميزان ٢٩٣: ١.

٢- ٢) يشير إلى قوله تعالى في قصه موسى من سوره الأعراف ١٤٣: **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ... .**

٣- ٣) المنتظم: «شأنك».

٤- ٤) المنتظم: «الأخيار».

٥- ٥) المنتظم ٢٦١: ٩.

و كان هذا النمط في كلامه ينفق على أهل بغداد و صار له بينهم صيت مشهور و اسم كبير و حكى عنه أبو الفرج بن الجوزى في التاريخ أنه قال على المنبر معاشر الناس إنى كنت دائما أدعوكم إلى الله و أنا اليوم أحذركم منه و الله ما شدت الزناير إلا في حبه و لا أدبت الجزية إلا في عشقه.

و قال أيضا إن رجلا يهوديا أدخل عليه ليسلم على يده فقال له لا تسلم فقال له الناس كيف تمنعه من الإسلام فقال احملوه إلى أبي حامد يعنى أخاه ليعلمه لا (١) لا- المنافقين ثم قال ويحكم أ تظنون أن قوله لا إله إلا الله منشور ولايته ذا منشور عزله (٢) و هذا نوع تعرفه الصوفيه بالغلو و الشطح.

و يروى عن أبي يزيد البسطامى (٣) منه كثير.

و مما يتعلق بما نحن فيه ما روه عنه من قوله فمن آدم في البين

و يقال أول من قاس إبليس فأخطأ في القياس و هلك بخطئه و يقال إن أول حميه و عصبه ظهرت عصبه إبليس و حميته

اختلاف الأقوال في خلق الجنه و النار

فإن قيل فما قول شيوخكم في الجنه و النار فإن المشهور عنهم أنهم لم يخلقا و سيخلقان

ص: ١٠٨

١- ١) في المنتظم: «يعنى: لا إله إلا الله».

٢- ٢) عباره المنتظم: «أفسوا عزله!». قال ابن الجوزى بعد أن أورد هذه الحكايات: «لقد أدهشنى نفاق هذا الهذيان في بغداد و هى دار العلم، و لقد حضر مجلسه يوسف الهمداني، فقال: مدد كلام هذا شيطاني لا رباني، ذهب دينه و الدنيا لا تبقى له».

٣- ٣) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى؛ توفى سنة ٢٦١. طبقات الصوفيه للسلمى ٦٧.

عند قيام الأجسام و قد دل القرآن العزيز و نطق كلام أمير المؤمنين ع فى هذا الفصل بأن آدم كان فى الجنة و أخرج منها.

قيل قد اختلف شيوخنا رحمهم الله فى هذه المسأله فمن ذهب منهم إلى أنهما غير مخلوقتين الآن يقول قد ثبت بدليل السمع أن سائر الأجسام تعدم و لا يبقى فى الوجود إلا ذات الله تعالى بدليل قوله كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (١) و قوله هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ (٢) فلما كان أولا- بمعنى أنه لا- جسم فى الوجود معه فى الأنزل و جب أن يكون آخرا بمعنى أنه لا- يبقى فى الوجود جسم من الأجسام معه فيما لا يزال و آيات كثيره أخرى و إذا كان لا بدّ من عدم سائر الأجسام لم يكن فى خلق الجنة و النار قبل أوقات الجزاء فائده لأَنَّهُ لا- بدّ أن يفنيهما مع الأجسام التى تفنى يوم القيامة فلا يبقى مع خلقهما من قبل معنى و يحملون الآيات التى دلت على كون آدم ع كان فى الجنة و أخرج منها على بستان من بساتين الدنيا قالوا و الهبوط لا يدلّ على كونهما فى السماء لجواز أن يكون فى الأرض إلا أنهما فى موضع مرتفع عن سائر الأرض.

و أقريا غير هؤلاء من شيوخنا فقالوا إنهما مخلوقتان الآن و اعترفوا بأن آدم كان فى جنه الجزاء و الثواب و قالوا لا يبعد أن يكون فى إخبار المكلفين بوجود الجنة و النار لطف لهم فى التكليف و إنّما يحسن الإخبار بذلك إذا كان صدقا و إنّما يكون صدقا إذا كان خبره على ما هو عليه

القول فى آدم و الملائكة أيهما أفضل

فإن قيل فما الذى يقوله شيوخكم فى آدم و الملائكة أيهما أفضل.

قيل لا خلاف بين شيوخنا رحمهم الله أن الملائكة أفضل من آدم و من جميع الأنبياء

ص: ١٠٩

١-١) سورة القصص ٨٨.

٢-٢) سورة الحديد ٣.

ع و لو لم يدل على ذلك إلا قوله تعالى في هذه القصة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (١) لكفى.

وقد احتج أصحابنا أيضا بقوله تعالى لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ (٢) وهذا كما تقول لا يستنكف الوزير أن يعظمني و يرفع من منزلتي و لا الملك أيضا فإن هذا يقتضى كون الملك أرفع منزله من الوزير و كذلك قوله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ يقتضى كونهم أرفع منزله من عيسى . و مما احتجوا به قولهم إنه تعالى لما ذكر جبريل و محمدًا ع في معرض المدح مدح جبريل ع بأعظم مما مدح به محمدًا ع فقال إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٣) فالمدح الأول لجبريل و الثانى لمحمد ع و لا يخفى تفاوت ما بين المدحين.

فإن قيل فهل كان إبليس من الملائكة أم من نوع آخر قيل قد اختلف فى ذلك فمن قال إنه من الملائكة احتج بالاستثناء فى قوله فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ (٤) و قال إن الاستثناء من غير الجنس خلاف الأصل و من قال إنه لم يكن منهم احتج بقوله تعالى إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (٥) .

و أجاب الأولون عن هذا فقالوا إن الملائكة يطلق عليهم لفظ الجن لاجتنانهم و استتارهم عن الأعين و قالوا قد ورد ذلك فى القرآن أيضا فى قوله تعالى وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ

ص : ١١٠

١-١) سورة الأعراف ٢٠.

٢-٢) سورة النساء ١٧٢.

٣-٣) سورة التكوين ١٩-٢٤.

٤-٤) سورة الحجر ٣٠، ٢٩.

٥-٥) سورة الكهف ٥٠.

وَيَبِّئَنَّ الْجِنَّهَ نَسَبًا (١) و الجنة هاهنا هم الملائكة لأنهم قالوا إن الملائكة بنات الله بدليل قوله فَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا (٢) و كتب التفسير تشتمل من هذا على ما لا نرى الإطاله بذكره.

فأما القطب الراوندى فقال فى هذين الفصلين فى تفسير ألفاظهما اللغويّه العذب من الأرض ما ينبت و السبخ ما لا ينبت و هذا غير صحيح لأن السبخ ينبت النخل فيلزم أن يكون عذبا على تفسيره.

و قال فجيل منها صوره أى خلق خلقا عظيما و لفظه جيل فى اللغه تدلّ على خلق سواء كان المخلوق عظيما أو غير عظيم.

و قال الوصول جمع وصل و هو العضو و كل شىء اتصل بشىء فما بينهما وصله و الفصول جمع فصل و هو الشىء المنفصل و ما عرفنا فى كتب اللغه أن الوصل هو العضو و لا قيل هذا.

و قوله بعد ذلك و كل شىء اتصل بشىء فما بينهما وصله لا معنى لذكره بعد ذلك التفسير و الصحيح أن مراده ع أظهر من أن يتكلف له هذا التكلف و مراده ع أن تلك الصوره ذات أعضاء متصله كعظم الساق أو عظم الساعد و ذات أعضاء منفصله فى الحقيقه و إن كانت متصله بروابط خارجه عن ذواتها كاتصال الساعد بالمرفق و اتصال الساق بالفخذ.

ثم قال يقال استخدمته لنفسى و لغيرى و استخدمته لنفسى خاصّه و هذا ممّا لم أعرفه و لعله نقله من كتاب.

ص: ١١١

١-١) سورة الصافات ١٥٨.

٢-٢) سورة الإسراء ٤٠.

ثم قال و الإذعان الانقياد و الخنوع الخضوع و إنما كرر الخنوع بعد الإذعان لأن الأول يفيد أنهم أمروا بالخضوع له فى السجود و الثانى يفيد ثباتهم على الخضوع لتكرمه أبدا.

و لقائل أن يقول إنه لم يكرر لفظه الخنوع و إنما ذكر أولا- الإذعان و هو الانقياد و الطاعة و معناه أنهم سجدوا ثم ذكر الخنوع الذى معناه الخضوع و هو يعطى معنى غير المعنى الأول (١) لأنه ليس كل ساجد خاضعا بقلبه فقد يكون ساجدا بظاهره دون باطنه و قول الراوندى أفاد بالثانى ثباتهم على الخضوع له لتكرمه أبدا تفسيرا لا يدل عليه اللفظ و لا معنى الكلام.

ثم قال قبيل إبليس نسله قال تعالى إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ (٢) و كل جيل من الإنس و الجن قبيل و الصحيح أن قبيله نوعه كما أن البشر قبيل كل بشرى سواء كانوا من ولده أو لم يكونوا و قد قيل أيضا كل جماعه قبيل و إن اختلفوا نحو أن يكون بعضهم روما و بعضهم زنجا و بعضهم عربا و قوله تعالى إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ لا يدل على أنهم نسله.

و قوله بعد: و كل جيل من الإنس و الجن قبيل ينقض دعواه أن قبيله لا يكون إلا نسله.

ثم تكلم فى المعانى فقال إن القياس الذى قاسه إبليس كان باطلا لأنه ادعى أن النار أشرف من الأرض و الأمر بالعكس لأن كل ما يدخل إلى النار ينقص و كل ما يدخل التراب يزيد و هذا عجيب فإننا نرى الحيوانات الميتة إذا دفنت فى الأرض تنقص أجسامها و كذلك الأشجار المدفونه فى الأرض على أن التحقيق أن المحترق بالنار و البالى بالتراب لم تعدم أجزاءه و لا بعضها و إنما استحالت إلى صور أخرى.

ص: ١١٢

١-١) ا: «فإنه».

٢-٢) سورة الأعراف ٢٧.

ثم قال و لما علمنا أن تقديم المفضول على الفاضل قبيح علمنا أن آدم كان أفضل من الملائكة في ذلك الوقت و فيما بعده.

و لقائل أن يقول أ ليس قد سجد يعقوب ليوسف ع أ فيدل ذلك على أن يوسف أفضل من يعقوب و لا يقال إن قوله تعالى وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا (١) لا يدل على سجود الوالدين فلعل الضمير يرجع إلى الإخوة خاصه لأننا نقول هذا الاحتمال مدفوع بقوله وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٢) و هو كناية عن الوالدين.

و أيضا قد بينا أن السجود إنما كان لله سبحانه و أن آدم كان قبله و قبله لا تكون أفضل من الساجد إليها أ لا ترى أن الكعبه ليست أفضل من النبي ع وَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ [إِيْمَانَهُمْ]

لَمَّا يَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَ اجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ (٣) رُسُلَهُ وَ وَاثَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَ يُدَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَ يَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَ يُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَ يُرَوِّهُمُ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سِقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَ مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَ مَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَ آجَالَ تُفْنِيهِمْ وَ أَوْصِيَابٍ تُهْرِمُهُمْ وَ أَحْدَاثٍ [تَتَّبَعُ]

تَتَّبَعُ عَلَيْهِمْ وَ لَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ

ص: ١١٣

١-١) سورة يوسف ١٠٠.

٢-٢) سورة يوسف ٤.

٣-٣) مخطوطه النهج: «إليهم».

أَوْ مَحَجَّهِ قَائِمِهِ رَسُولٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قَلْبُهُ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ .

اجتالتهم الشياطين

أدارتهم تقول اجتال فلان فلانا و اجتاله عن كذا و على كذا أى أداره عليه كأنه يصرفه تاره هكذا و تاره هكذا يحسن له فعله و يغيره به.

و قال الراوندى اجتالتهم عدلت بهم و ليس بشيء .

و قوله ع و اتر إليهم أنبياءه أى بعثهم و بين كل نبين فتره و هذا مما تغلط فيه العامه فتظنه كما ظن الراوندى أن المراد به المرادفه و المتابعه و الأوصاب الأمراض و الغابر الباقي.

و يسأل فى هذا الفصل عن أشياء منها عن قوله ع أخذ على الوحي ميثاقهم .

و الجواب أن المراد أخذ على أداء الوحي ميثاقهم و ذلك أن كل رسول أرسل فمأخوذ عليه أداء الرساله كقوله تعالى يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ (١) .

و منها أن يقال ما معنى قوله ع ليستأدوهم ميثاق فطرته هل هذا

ص: ١١٤

إشاره إلى ما يقوله أهل الحديث في تفسير قوله تعالى وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ (١) .

و الجواب أنه لا حاجة في تفسير هذه اللفظه إلى تصحيح ذلك الخبر و مراده ع بهذا اللفظ أنه لما كانت المعرفة به تعالى و أدله التوحيد و العدل مركزه في العقول أرسل سبحانه الأنبياء أو بعضهم ليؤكدوا (٢) ذلك المركز في العقول و هذه هي الفطره المشار إليها

٥٧

بِقَوْلِهِ ع كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ .

و منها أن يقال إلى ما ذا يشير بقوله أو حجه لازمه هل هو إشاره إلى ما يقوله الإماميه من أنه لا بد في كل زمان من وجود إمام معصوم.

الجواب أنهم يفسرون هذه اللفظه بذلك و يمكن أن يكون المراد بها حجه العقل.

و أما القطب الراوندي فقال في قوله ع و اصطفى سبحانه من ولده أنبياء الولد يقال على الواحد و الجمع لأنه مصدر في الأصل و ليس بصحيح لأن الماضي فعل بالفتح و المفتوح لا يأتي مصدره بالفتح و لكن فعلا مصدر فعل بالكسر كقولك ولهت عليه ولها و حمت المرأه و حما.

ثم قال إن الله تعالى بعث يونس قبل نوح و هذا خلاف إجماع المفسرين و أصحاب السير.

ثم قال و كل واحد من الرسل و الأئمه كان يقوم بالأمر و لا يردعه عن ذلك قله عدد أوليائه و لا كثره عدد أعدائه فيقال له هذا خلاف قولك في الأئمه المعصومين فإنك تجيز عليهم التقيه و ترك القيام بالأمر إذا كثرت أعداؤهم .

و قال في تفسير قوله ع من سابق سمي له من بعده أو غابر عرفه

ص: ١١٥

١-١) سورة الأعراف ١٧٢.

٢-٢) «ليؤكد ذلك المركز».

كان من ألطاف الأنبياء المتقدمين و أوصيائهم أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين و أوصيائهم فعرفهم الله تعالى ذلك و كان من اللطف بالمتأخرين و أوصيائهم أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الأنبياء و الأوصياء فعرفهم الله تعالى ذلك أيضا فتم اللطف لجميعهم.

و لقائل أن يقول لو كان ع قال أو غابر عرف من قبله لكان هذا التفسير مطابقا و لكنه ع لم يقل ذلك و إنما قال عرفه من قبله و ليس هذا التفسير مطابقا لقوله عرفه و الصحيح أن المراد به من نبي سابق عرف من يأتي بعده من الأنبياء أى عرفه الله تعالى ذلك أو نبي غابر نص عليه من قبله و بشر به كبشاره الأنبياء بمحمد ع عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتْ [ذَهَبَتْ]

الْقُرُونُ وَ مَضَتْ الدُّهُورُ وَ سَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَ خَلَفَتِ الْأَبْنَاؤُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا [ص]

رَسُولَ اللَّهِ ص لِإِنجَازِ عِدَّتِهِ وَ إِتْمَامِ (١) تُبَوَّتِهِ مَاخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ مَشْهُورَةً سَمَاتُهُ كَرِيمًا مِيلَادُهُ وَ أَهْلُ الْأَرْضِ [الْأَرْضِيِّينَ]

يَوْمَئِذٍ مِلَّةٌ مُتَّفَرِّقَةٌ وَ أَهْوَاءٌ مُتَنَشِّرَةٌ وَ طَرَائِقُ [طَوَائِفُ]

مُتَشَتِّتَةٌ بَيْنَ مُشَبِّهِهِ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحَدٍ فِي اسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ ص لِقَاءَهُ وَ رَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَ أَكْرَمَهُ (٢) عَنْ دَارِ الدُّنْيَا وَ رَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامٍ [مُقَارَنِهِ مَقَارًا]

الْبُلُوَى فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا ص وَ خَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَاتِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بغيرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ

١-١) مخطوطه النهج: «و تمام».

٢-٢) مخطوطه النهج: «فأكرمه».

وَلَا عِلْمَ قَائِمِ كِتَابِ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًا (١) حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ وَ فَرَائِضَهُ وَ فَضَائِلَهُ وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ وَ رُخْصَهُ وَ عَزَائِمَهُ وَ خَاصَّهُ وَ عَامَّهُ وَ عِبْرَهُ وَ أَمْثَالَهُ وَ مَرْسَلَهُ وَ مَحْدُودَهُ وَ مُحْكَمَهُ وَ مُتَشَابِهَهُ [مُتَسَابِقَهُ]

مُفَسَّرًا [جُمَلَهُ]

مُجْمَلَهُ [جُمَلَهُ]

وَ مُبَيَّنًا عَمَوَامِضَهُ بَيْنَ مَا أَخُوذِ مِيثَاقِ عِلْمِهِ وَ مُوسَعِ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ وَ بَيْنَ مُثَبَّتِ فِي الْكِتَابِ فَوْضُهُ وَ مَعْلُومِ فِي السُّنَنِ نَسِيخُهُ وَ وَاجِبِ فِي السُّنَنِ أَخْذُهُ وَ مَرْخَصِ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ وَ بَيْنَ وَاجِبِ [لَوْفَتِهِ]

بِوَفْتِهِ وَ زَائِلِ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَ مُبَايِنِ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرِ أَوْعِدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ أَوْ صَدَّغِيرِ أَرْضِهِ لَهُ غُفْرَانَهُ وَ بَيْنَ مَقْبُولِ فِي أَدْنَاهُ وَ مُوسَعِ فِي أَفْصَاهُ .

قوله ع نسلت القرون ولدت و الهاء في قوله لإنجاز عدته راجعه إلى الباري سبحانه و الهاء في قوله و إتمام نبوته راجعه إلى محمد ص و قوله مأخوذ على النبيين ميثاقه قيل لم يكن نبي قط إلا و بشر بمبعث محمد ص و أخذ عليه تعظيمه و إن كان بعد لم يوجد .

فأما قوله و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقه فإن العلماء يذكرون أن النبي ص بعث و الناس أصناف شتى في أديانهم يهود و نصارى و مجوس و صائبون و عبده أصنام و فلاسفه و زنادقه

القول في أديان العرب في الجاهلية

إشارة

فأما الأمة التي بعث محمد ص فيها فهم العرب و كانوا أصنافا شتى

ص: ١١٧

(١ - ١) ب: «فيكم».

فمنهم معطله و منهم غير معطله فأما المعطله منهم فبعضهم أنكر الخالق و البعث و الإعاده و قالوا ما قال القرآن العزيز عنهم ^{مَا} هِيَ إِلَّا - حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ (١) فجعلوا الجامع لهم الطبع و المهلك لهم الدهر و بعضهم اعترف بالخالق سبحانه و أنكر البعث و هم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله ^{قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ} (٢) و منهم من أقر بالخالق و نوع من الإعاده و أنكروا الرسل و عبدوا الأصنام و زعموا أنها شفعاء عند الله فى الآخره و حجوا لها و نحروا لها الهدى و قربوا لها القربان و حللوا و حرموا و هم جمهور العرب و هم الذين قال الله تعالى عنهم ^{وَ قَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْشِي} فى الأسواق (٣) .

فممن نطق شعره بإنكار البعث بعضهم يرثى قتلى بدر (٤) فما ذا بالقلب قلب بدر

ص: ١١٨

١-١ (١) سورة الجاثية ٢٤.

٢-٢ (٢) سورة يس ٧٨.

٣-٣ (٣) سورة الفرقان ٧.

٤-٤ (٤) سيره ابن هشام ٢:٤٠٠ مع اختلاف فى الروايه و ترتيب الأبيات و عددها، و نسبها إلى شداد ابن الأسود.

قَالَ ع عَنْهُمْ لَا عَدْوَى وَلَا هَامَهَ وَلَا صَفَرَ (١).

و قال ذو الإصبع يا عمرو إلا تدع شتى و منقصتى أضربك حيث تقول الهامه اسقونى (٢).

و قالوا إن ليلى الأخيلية لما سلمت على قبر توبه بن الحمير خرج إليها هامه من القبر صائحه أفرغت ناقتها فوقصت (٣) بها فماتت و كان ذلك تصديق قوله و لو أن ليلى الأخيلية سلمت

و كان توبه و ليلى فى أيام بنى أمية. و كانوا فى عباده الأصنام مختلفين فمنهم من يجعلها مشاركه للبارئ تعالى و يطلق عليها لفظه الشريك و من ذلك قولهم فى التلبيه لييك اللهم لييك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملكك و منهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك و يجعلها وسائل و ذرائع إلى الخالق سبحانه و هم الذين قالوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى (٤).

و كان فى العرب مشبهه و مجسمه منهم أميه بن أبى الصلت و هو القائل من فوق عرش جالس قد حط رجله إلى كرسية المنصوب.

و كان جمهورهم عبده الأصنام فكان ود لكلب بدومه الجنادل و سواع لهذيل

ص: ١١٩

-
- ١-١) كانت العرب تزعم أن فى البطن حيه يقال لها الصفرة، تصيب الإنسان إذا جاع و تؤذيه. نهايه ابن الأثير ٢:٢٢٦.
 - ١٦٣-٢) من قصيده مفضليه، المفضليات ١٦٣.
 - ٣-٣) و قصت بها، أى سقطت عنها فماتت.
 - ٤-٤) ديوان الحماسه لأبى تمام- بشرح التبريزى ٣:٢٦٧. و الصفائح: الحجاره العراض تكون على القبور.

و نسر لحمير و يغوث لهمدان و اللات لثقيف بالطائف و العزى لکنانه و قريش و بعض بنى سليم و مناه لغسان و الأوس و الخزرج و كان هبل لقريش خاصه على ظهر الكعبه و أساف (١) و نائله على الصفا و المروه و كان فى العرب من يميل إلى اليهوديه منهم جماعه من التبايعه و ملوك اليمن و منهم نصارى كبنى تغلب و العباديين رهط عدى بن زيد و نصارى نجران و منهم من كان يميل إلى الصابئه و يقول بالنجوم و الأنواء.

فأما الذين ليسوا بمعطله من العرب فالقليل منهم و هم المتألهون أصحاب الورع (٢) و التحرج عن القبائح كعبد الله و عبد المطلب و ابنه أبى طالب و زيد بن عمرو بن نفيل و قس بن ساعده الإيادى و عامر بن الظرب العدوانى و جماعه غير هؤلاء.

و غرضنا من هذا الفصل بيان قوله ع بين مشبه لله بخلقه أو ملحد فى اسمه إلى غير ذلك و قد ظهر بما شرحناه .

ثم ذكر ع أن محمدا ص خلف فى الأمه بعده كتاب الله تعالى طريقا واضحا و علما قائما و العلم المنار يهتدى به .

ثم قسم ما بينه ع فى الكتاب أقساما فمنها حلاله و حرامه فالحلال كالنكاح و الحرام كالزنا.

و منها فضائله و فرائضه فالفضائل النوافل أى هى فضله غير واجبه كركعتى الصبح و غيرهما و الفرائض كفريضة الصبح.

و قال الراوندى الفضائل هاهنا جمع فضيله و هى الدرجه الرفيعه و ليس بصحيح ألا- تراه كيف جعل الفرائض فى مقابلتها و قسيما لها فدل ذلك على أنه أراد النوافل.

ص: ١٢٠

١-١) أساف و إساف، كسحاب و كتاب.

٢-٢) ١: «التورع».

و منها ناسخه و منسوخه فالناسخ كقوله فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ (١) و المنسوخ كقوله لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ (٢).

و منها رخصه و عزائمه فالرخص كقوله تعالى فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصِهِ (٣) و العزائم كقوله فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (٤).

و منها خاصه و عامه فالخاص كقوله تعالى وَ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ (٥) و العام كالألفاظ الداله على الأحكام العامه لسائر المكلفين كقوله وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ (٦) و يمكن أن يراد بالخاص العمومات التي يراد بها الخصوص كقوله وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (٧) و بالعام ما ليس مخصوصا بل هو على عمومه كقوله تعالى وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٨).

و منها عبره و أمثاله فالعبر كقصه أصحاب الفيل و كآيات التي تتضمن النكال و العذاب النازل بأمم الأنبياء من قبل و الأمثال كقوله كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا (٩).

و منها مرسله و محدوده و هو عباره عن المطلق و المقيد و سمي المقيد محدودا و هي لفظه فصيحجه جدا كقوله تَخْرِيْرُ رَبِّهِ (١٠) و قال في موضع آخر وَ تَخْرِيْرُ رَبِّهِ مُؤْمِنَةٌ (١١) و منها محكمه و متشابهه فمحكمه كقوله تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١٢) و المتشابهه كقوله إِلَهِي رَبُّهَا نَاطِرَةٌ (١٣).

ثم قسم ع الكتاب قسمه ثانيه فقال إن منه ما لا يسع أحدا جهله

ص: ١٢١

١-١ (١) سورة التوبه ٥.

٢-٢ (٢) سورة البقره ٢٥٦.

٣-٣ (٣) سورة المائده ٣.

٤-٤ (٤) سورة محمّد ١٩.

٥-٥ (٥) سورة الأحزاب ٥٠.

٦-٦ (٦) سورة البقره ١١٠.

٧-٧ (٧) سورة النمل ٢٣.

٨-٨ (٨) سورة البقره ٢٨٢.

٩-٩ (٩) سورة البقره ١٧.

١٠-١٠ (١٠) سورة المجادله ٣.

١١-١١ (١١) سورة النساء ٩٢.

١٢-١٢ (١٢) سورة الإخلاص ١.

١٣-١٣ (١٣) سورة القيامه ٢٣.

و منه ما يسع الناس جهله مثال الأول قوله **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (١)** و مثال الثاني كهيعص حم عسق .

ثم قال و منه ما حكمه مذكور في الكتاب منسوخ بالسنة و ما حكمه مذكور في السنة منسوخ بالكتاب مثال الأول قوله تعالى **فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ (٢)** نسخ بما سنه ع من رجم الزانى المحصن و مثال الثاني صوم يوم عاشوراء كان واجبا بالسنة ثم نسخه صوم شهر رمضان الواجب بنص الكتاب .

ثم قال و بين واجب بوقته و زائل في مستقبله يريد الواجبات الموقته كصلاه الجمعة فإنها تجب في وقت مخصوص و يسقط وجوبها في مستقبل ذلك الوقت .

ثم قال ع و مباين بين محارمه الواجب أن يكون و مباين بالرفع لا بالجر فإنه ليس معطوفا على ما قبله ألا ترى أن جميع ما قبله يستدعى الشيء و ضده أو الشيء و نقيضه و قوله و مباين بين محارمه لا نقيض و لا ضد له لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين أحدهما مباين بين محارمه و الآخر غير مباين فإن ذلك لا يجوز فوجب رفع مباين و أن يكون خبر مبتدأ محذوف ثم فسر ما معنى المباينه بين محارمه فقال إن محارمه تنقسم إلى كبيره و صغيره فالكبيره أوعد سبحانه عليها بالعقاب و الصغيره مغفوره و هذا نص مذهب المعتزله في الوعيد .

ثم عدل ع عن تقسيم المحارم المتباينه و رجع إلى تقسيم الكتاب فقال و بين مقبول في أدناه و موسع في أقصاه كقوله **فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ (٣)** .

فإن القليل من القرآن مقبول و الكثير منه موسع مرخص في تركه

ص: ١٢٢

١-١) سورة البقره ٢٥٥.

٢-٢) سورة النساء ١٥.

٣-٣) سورة المزمل ٢٠.

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلنَّامِ يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَ [يُولَهُونَ]

يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ [وَلَهُ]

وُلُوهُ الْحَمَامِ وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لَتَوَاضَعُ عَنْهُمْ لِعَظَمَتِهِ وَ إِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَ تَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُخْرِزُونَ الْأَرْبَابَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا وَ لِلْعَائِدِينَ حَرَمًا [وَ]

فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ (١) وَ كَتَبَ [عَلَيْهِ]

عَلَيْكُمْ وَ فَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٢).

الوله شده الوجد حتى يكاد العقل يذهب وله الرجل يوله ولها و من روى يألهون إليه ولوه الحمام فسر به بشيء آخر و هو يعكفون عليه عكوف الحمام و أصل أله عبد و منه الإله أى المعبود و لما كان العكوف على الشيء كالعبادة له لملازمته و الانقطاع إليه قيل أله فلان إلى كذا أى عكف عليه كأنه يعبده و لا يجوز أن يقال يألهون إليه فى هذا الموضع بمعنى يولهون و أن أصل الهمزة الواو كما فسر الراءوندى لأن فعولا لا يجوز أن يكون مصدرا من فعلت بالكسر و لو كان يألهون هو يولهون كان أصله أله بالكسر فلم يجز أن يقول ولوه الحمام و أما على ما فسرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الوله مصدرا لأن أله مفتوح فصار كقولك دخل دخولا و باقى الفصل غنى عن التفسير

ص: ١٢٣

(١ - ١) مخطوطه النهج: «فرض حجه، و أوجب حقه».

(٢ - ٢) سوره آل عمران ٩٧.

جَاءَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّ فِي السَّمَاءِ بَيْتًا يَطُوفُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ طَوَافَ الْبَشَرِ بِهَذَا الْبَيْتِ اسْمُهُ الضُّرَّاحُ .

و أن هذا البيت تحته على خط مستقيم و أنه المراد بقوله تعالى وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (١) أقسم سبحانه به لشرفه و منزلته عنده

وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ آدَمَ لَمَّا قَضَى مَنَاسِكَهُ وَ طَافَ بِالْبَيْتِ لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَقَالَتْ يَا آدَمُ لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِالْفَنَى عَامٍ .

قَالَ مُجَاهِدٌ إِنَّ الْحِجَاجَ إِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ اسْتَقْبَلَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ فَسَلَّمُوا عَلَى رُكْبَانِ الْإِبِلِ وَ صَافَحُوا رُكْبَانَ الْحَمِيرِ وَ اعْتَنَقُوا الْمَشَاةَ اعْتِنَاقًا .

من سنه السلف أن يستقبلوا الحجاج و يقبلوا بين أعينهم و يسألوهم الدعاء لهم و يبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالذنوب و الآثام .

وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ وَعَدَّ هَذَا الْبَيْتَ أَنْ يَحُجَّهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتِّمِائَةَ أَلْفٍ فَإِنْ (٢) نَقَصُوا أَتَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ وَ أَنَّ الْكَعْبَةَ تُحَشَّرُ كَالْعُرُوسِ الْمَرْفُوفَةِ وَ كُلُّ مَنْ حَجَّهَا مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِهَا يَسْعَوْنَ حَوْلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا .

وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفَّرُهَا إِلَّا الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ ذَنْبًا مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ .

عمر بن ذر الهمداني لما قضى مناسكه أسند ظهره إلى الكعبه و قال مودعا للبيت ما زلنا نحل إليك عروه و نشد إليك أخرى و نصعد لك أكمه و نهبط أخرى و تخفضنا أرض و ترفعنا أخرى حتى أتيناك فليت شعري بم يكون منصرفنا أ بذنب مغفور فأعظم بها من نعمه أم بعمل مردود فأعظم بها من مصيبه فيا من له خرجنا و إليه

قصدا و بحرمة أنخنا ارحم يا معطى الوفد بفنائك فقد أتيناك بها معراة جلودها ذابله أسنمتها نقبه (١) أخفافها و إن أعظم الرزيه أن نرجع و قد اكتفتنا الخيه اللهم و إن للزائرين حقا فاجعل حقنا عليك غفران ذنوبنا فإنك جواد كريم ماجد لا ينقصك نائل و لا يبخلك سائل.

ابن جريج ما ظننت أن الله ينفع أحدا بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى كنت باليمن فسمعت منشدا ينشد قوله بالله قولاً له في غير معتبه

فحركنى ذلك على ترك اليمن و الخروج إلى مكه فخرجت فحججت.

سمع أبو حازم امرأه حاجه ترفث (٢) فى كلامها فقال يا أمه الله أ لست حاجه أ لا تتقين الله فسفرت عن وجه صبيح ثم قالت له أنا من اللواتى قال فيهن العرجى (٣) أماطت كساء الخز عن حر وجهها

فقال أبو حازم فأنا أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال رحم الله أبا حازم لو كان من عباد (٤) العراق لقال لها اعزبى يا عدوه الله و لكنه ظرف نساك الحجاز (٥)

ص: ١٢٥

١-١) نقبه، من نقب البعير، إذا رقت أخفافه.

٢-٢) ديوانه ٢٨٤، و المعتبه: العتاب.

٣-٣) الديوان: «أو نعمت بها».

٤-٤) الرفث: الفحش فى القول.

٥-٥) فى جميع الأصول عمر بن أبى ربيعه، و الصواب أنهما للعرجى؛ و هما من قصيده فى ديوانه ٧١-٧٥، مطلعها: رأتنى خضيب الرأس شمّرت مثرى و قد عهدتنى أسود الرأس مسبلا و نسبهما إليه أبو الفرج فى الأغانى ١:٤٠٤ (طبعه دار الكتب).

و اعلم أن قوما من أرباب علم البيان عابوا السجع و أدخلوا خطب أمير المؤمنين ع فى جملة ما عابوه لأنه يقصد فيها السجع و قالوا إن الخطب الخاليه من السجع و القرائن و الفواصل هى خطب العرب و هى المستحسنه الخاليه من التكلف

٦٤

كخطبه النَّبِيِّ ص فى حِجَّهِ (١) الْوَدَاعِ وَ هِيَ (٢) الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَ نَسْتَعِينُهُ وَ نَسْتَغْفِرُهُ وَ نَتُوبُ إِلَيْهِ وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَحْتِكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَ أَسْتَفْتِحُ اللَّهَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ اسْمِعُوا مِنِّي أُبَيِّنُ لَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَ أَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُزْمِهِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا أَهْلَ بَلَدِكُمْ أَشْهَدُ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا وَ إِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ (٣) وَ أَوَّلُ رَبِّ أَيْدٍ بِهِ رَبُّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ إِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَ أَوَّلُ دَمٍ أَبْدَأُ بِهِ دَمَ آدَمَ (٤) بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ إِنَّ مَآثِرَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ

ص: ١٢٦

١- ١) اللسان: «و الحجج: المره الواحد؛ و هو من الشواذ؛ لأن القياس بالفتح».

٢- ٢) الخطبه فى سيره ابن هشام ٢:٣٥٠، و البيان و التبيين ٢:٣١، و الطبرى ٣:١٦٨، و إعجاز القرآن للباقلانى ١٩٨، و العقد ٤:٥٧، و ابن الأثير ٢:٢٠٥.

٣- ٣) يقال: وضعت الدين و الجزية عنه و نحوهما، إذا أسقطته.

٤- ٤) كذا فى ب، و هو يوافق ما ذكره السهيلي، قال: اسمه آدم، و كان مسترضعا فى هذيل، و قيل: اسمه تمام؛ و كان سبب قتله حرب كانت بين قبائل هذيل، تقاذفوا فيها بالحجاره، فأصاب الطفل حجر و هو يحبو بين البيوت. و فى «عامر»، و هو يوافق ما فى البيان و التبيين و العقد؛ و فى الطبرى و الباقلانى: «دم ابن ربيعة بن الحارث».

السَّدَانِيهِ وَ السَّقَايَةِ (١) وَ العَمْدُ (٢) قَوْدٌ وَ شِبْهُ العَمْدِ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَ الْحَجَرِ فِيهِ مَائَةٌ بَعِيرٍ فَمَنْ اَزْدَادَ فَهُوَ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَسَ أَنْ يُعِيدَ بِأَرْضِكُمْ هَيْدِهِ وَ لَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيَمَا سِوَى ذَلِكَ فِيَمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا النَّسِيءُ (٣) زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَ يُحَرِّمُونَهُ عَامًا وَ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ وَ وَاحِدٌ فَرُدُّ ذُو الْقَعْدَةِ وَ ذُو الْحِجَّةِ وَ مُحَرَّمٌ وَ رَجَبٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَ شَعْبَانَ أَلَا هَلْ بَلَغَتْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقًّا فَعَلَيْهِنَّ حَقًّا فَعَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ وَ لَا يُدْخِلَنَّ بِيُوتَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ وَ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَقَدْ أَذِنَ (٤) لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ تَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَ أَطْعَمْتُمْ فَعَلَيْكُمْ كِسْوَتُهُنَّ وَ رِزْقُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّمَا النَّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ (٥) لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَ اسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ وَ اسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا

ص: ١٢٧

١-١) السدانه: خدمه الكعبه، بفتح السين و كسرهما. و السقايه: ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزيب المنبوذ في الماء.

٢-٢) القود: القصاص، أى من قتل متعمدا يقتل.

٣-٣) النسيء: تأخير حرمه شهر إلى آخر؛ وذلك أن العرب في الجاهليه كانوا إذا جاء شهر حرام و هم محاربون أحلوه و حرموا مكانه شهرا آخر، فيحلون المحرم و يحرمون صفرًا، فإن احتاجوا أحلوه و حرموا ربيعا الأول، و هكذا حتى استدار التحريم على شهور السنه كلها، و كانوا يعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصيه الأشهر المعلومه؛ و أول من أحدث ذلك جناده بن عوف الكنانى. و انظر تفسير الألوسى ٣:٣٠٥.

٤-٤) أذن، بالفتح: أباح.

٥-٥) عوان: أسيرات.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ وَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ مَالٌ أَخِيهِ إِلَّا عَلَى طَيْبِ نَفْسٍ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ أَلَا لَا تَزْجِعُوا بَعْدِي كَفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضَلُّوا كِتَابَ اللَّهِ رَبِّكُمْ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنِ آبَاكُمْ وَاحِدٌ كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ إِنِ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ وَ لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَلَا- فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ وَلَا تَجُوزُ وَصِيَّتُهُ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثُّلْثِ وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاسِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صِرْفًا وَلَا عَدْلًا (١) وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.

و اعلم أن السجع لو كان عيبا لكان كلام الله سبحانه معيبا لأنه مسجوع كله ذو فواصل و قرائن و يكفى هذا القدر وحده مبطلا لمذهب هؤلاء فأما خطبه رسول الله ص هذه فإنها و إن لم تكن ذات سجع فإن أكثر خطبه مسجوع

٦٥

كَقَوْلِهِ إِنَّ مَعَ الْعِزِّ ذُلًّا وَإِنَّ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتًا وَإِنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابًا وَ لِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَابًا وَ لِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَابًا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ قَرِينٍ يُدْفِنُ مَعَكَ هُوَ حَيٌّ وَ أَنْتَ مَيِّتٌ فَإِنْ كَانَ كَرِيمًا أَكْرَمَكَ وَ إِنْ كَانَ لَيْمًا أَسْلَمَكَ ثُمَّ لَا يُحْشَرُ إِلَّا مَعَكَ وَ لَا تُبْعَثُ إِلَّا مَعَهُ وَ لَا تُسْأَلُ إِلَّا عَنْهُ فَلَا تَجْعَلْهُ إِلَّا صَالِحًا فَإِنَّهُ إِنْ صَلَحَ أَنْسَتَ بِهِ وَ إِنْ فَسَدَ لَمْ تَسْتَوْحِشْ إِلَّا مِنْهُ وَ هُوَ عَمَلُكَ.

فأكثر هذا الكلام مسجوع كما تراه و كذلك خطبه الطوال كلها و أمّا كلامه

ص: ١٢٨

(١- ١) أى لا يقبل منهم شىء، و أصل العدل أن يقتل الرجل الرجل، و الصرف: أن ينصرف عن الدم إلى أخذ الدية.

القصير فإنه غير مسجوع لأنه لا- يحتمل السجع و كذلك القصير من كلام أمير المؤمنين ع. فأما قولهم إن السجع يدل على التكلف فإن المذموم هو التكلف الذي تظهر سماجته و ثقله للسامعين فأما التكلف المستحسن فأى عيب فيه ألا ترى أن الشعر نفسه لا بد فيه من تكلف إقامه الوزن و ليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك.

و احتج عائبو السجع

٦٦

بِقَوْلِهِ ع لِبَعْضِهِمْ مُنْكَرًا عَلَيْهِ أَسْجَعًا كَسَجْعِ الْكُهَّانِ.

و لو لا أن السجع منكر لما أنكر ع سجع الكهان و أمثاله فيقال لهم إنما أنكر ع السجع الذى يسجع الكهان أمثاله لا السجع على الإطلاق و صورته الواقعة أنه ع أمر فى الجنين بغره (١) فقال قائل أ أدى من لا شرب و لا أكل و لا نطق و لا استهل و مثل هذا يطل (٢) فأنكر ع ذلك لأن الكهان كانوا يحكمون فى الجاهلية بألفاظ مسجوعه كقولهم حبه بر فى إحليل مهر و قولهم عبد المسيح على جمل مشيح (٣) لرؤيا الموبدان و ارتجاس الإيوان و نحو ذلك من كلامهم و كان ع قد أبطل الكهانه و التنجيم و السحر و نهى عنها فلما سمع كلام ذلك القائل أعاد الإنكار و مراده به تأكيد تحريم العمل على أقوال الكهنة و لو كان ع قد أنكر السجع لما قاله و قد بينا أن كثيرا من كلامه مسجوع و ذكرنا خطبته.

و من كلامه ع المسجوع

٦٧

١٤- حَبْرُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَقُلْنَا إِنَّا لَنَشْتَحِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَيْسَ ذَلِكَ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَ إِنَّمَا الْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ

ص: ١٢٩

١- (١) الغره: ما بلغ ثمنه نصف عشر الدين من العبيد و الإماماء. انظر النهايه لابن الأثير (٣: ١٥٥).

٢- (٢) الطل: هدر الدم.

٣- (٣) جمل مشيح: جاد مسرع.

وَمَا وَعَىٰ وَ الْبَطْنَ وَ مَا حَوَىٰ وَ تَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَ الْبَلَىٰ وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

و من ذلك

٦٨

كَلَامُهُ الْمَشْهُورُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ عَ أَوَّلِ قُدُومِهِ إِلَيْهَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَ صِلُوا الْأَرْحَامَ وَ صِلُوا بِاللَّيْلِ وَ النَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ .

٦٩

١٤,٢- وَ عَوَّذَ الْحَسَنَ عَ فَقَالَ أُعِيدُكَ مِنَ الْهَمِّ وَ السَّامَةِ وَ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ .

و إنما أراد ملمه فقال لامة لأجل السجع .

و كذلك

٧٠

قَوْلُهُ ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرِ مَأْجُورَاتٍ .

و إنما هو موزورات بالواو

ص : ١٣٠

اشاره

صفين

اسم الأرض التي كانت فيها الحرب و النون فيها أصله ذكر ذلك صاحب الصحاح (١) فوزنها على هذا فعيل كفسيق و خمير و صريع و ظليم و ضليل.

فإن قيل فاشتقاقه ممّا ذا يكون.

قيل لو كان اسما لحيوان لأمكن أن يكون من صفن الفرس إذا قام على ثلاث و أقام الرابعه على طرف الحافر يصفن بالكسر صفونا أو من صفن القوم إذا صفوا أقدامهم لا يخرج بعضها من بعض (٢).

فإن قيل أ يمكن أن يشتق من ذلك و هو اسم أرض.

قيل يمكن على تعسف و هو أن تكون تلك الأرض لما كانت ممّا تصفن فيها الخيل أو تصطف فيها الأقدام سميت صفين. فإن قيل أ يمكن أن تكون النون زائده مع الياء كما هما في غسلين و عفرين.

قيل لو جاء في الأصل صف بكسر الصاد لأمكن أن تتوهم الزيادة كالزيادة

ص: ١٣١

١ - ١) الصحاح، ٢١٥؛ أي أنه ذكرها في مادة «صفن».

٢ - ٢) ١: «عن بعض».

فى غسل و هو ما يغتسل به نحو الخطمى و غيره فقيل غسلىن لما يسىل من صدىد أهل النار و دماهم و كالزىاده فى عفر و هو الخىث الداى (١) فقيل عفرىن لمأسده بعىنها و قىل عفرىت للداهىه هكذا ذكروه و لقائل أن ىقول لهم أ لىس قد قالوا للأسد عفرنى بفتح العىن و أصله العفر بالكسر فقد بان أنهم لم ىراعوا فى اشتقاقهم و تصرىف كلامهم الحركه المخصوصه و إنما ىراعون الحرف و لا كل الحروف بل الأصلى منها فغىر ممتنع على هذا عندنا أن تكون الىاء و النون زائدتىن فى صفىن .

و صفىن اسم غىر منصرف للتأنىث و التعرىف قال (٢) إنى أدىن بما دان الوصى به أحمده أسىتتماماً لنعمته و أسىتسىلاماً لعزته و أسىتعصاماً من معصىته و أسىتعىنه فاقه إلى كفاىته إنّه لا ىضل من هداه و لا ىئل من عاده و لا ىفتقر من كفاه فأنه أرىج ما ورن و أفضل ما خرن و أشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شرىك له (٣) شهاده ممتحناً إىلاصها معتقداً مصاصها تتمسك بها أبداً

ص : ١٣٢

١- ١) ىقال: رجل داه و داهىه؛ بمعنى .

٢- ٢) هو السىد الحمىرى؛ و الأىبات بنسبها إىله فى الكامل ٧: ١٧٧- بشرح المرصفى .

٣- ٣) الخرىبه: موضع بالبصره؛ كانت عنده وقعه الجمل؛ ذكره ىاقوت؛ و استشهد بالىبت، و فى الأصول: «الخرىبه»، بالحاء؛ تصحىف. و فى الكامل: «ىوم النخىله» .

مَا أَبْقَانَا وَ نَدَّخِرُهَا [نَدَّخِرُهَا]

لِأَهْوِيلٍ مَا يَلْقَانَا فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ وَ فَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ وَ مَرَضَاءُ الرَّحْمَنِ وَ مَدْحَرُهُ [مَهْلِكُهُ]
الشَّيْطَانِ .

وأل أى نجا يئل و المصاص خالص الشىء و الفاقه الحاجه و الفقر الأهويل جمع أهوال و الأهوال جمع هول فهو جمع الجمع كما قالوا أنعام و أنواع و قيل أهويل أصله تهاويل و هى ما يهولك من شىء أى يروعك و إن جاز هذا فهو بعيد لأن التاء قل أن تبدل همزه و العزيمه النيه المقطوع عليها و مدحره الشيطان أى تدحره أى تبعده و تطرده.

و قوله ع استتماما و استسلاما و استعصاما من لطيف الكنايه و بديعها فسبحان من خصه بالفضائل التى لا تنتهى ألسنه الفصحاء إلى وصفها و جعله إمام كل ذى علم و قدوه كل صاحب خصيصه .

و قوله فإنه أرجح الهاء عائده إلى ما دل عليه قوله أحمده يعنى الحمد و الفعل يدل على المصدر و ترجع الضمائر إليه كقوله تعالى بَلْ هُوَ شَرٌّ (١) و هو ضمير البخل الذى دل عليه قوله يَخْلُونَ (٢)

باب لزوم ما لا يلزم و إيراد أمثله منه

و قوله ع وزن و خزن بلزوم الزاى من الباب المسمى لزوم ما لا يلزم و هو أحد أنواع البديع و ذلك أن تكون الحروف التى قبل الفاصله حرفا واحدا هذا

ص: ١٣٣

-
- ١-١) سورة آل عمران ١٨٠، والآيه بتمامها وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ .
- ١-٢) سورة آل عمران ١٨٠، والآيه بتمامها وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ .

فى المنثور و أمّيا فى المنظوم فأن تتساوى الحروف التى قبل الروى مع كونها ليست بواجبه التساوى مثال ذلك قول بعض شعراء الحماسه (١) بيضاء باكرها النعيم فصاغها

ألا تراه كيف قد لزم اللام الأولى من اللامين اللذين صارا حرفا مشددا فالثانى منهما هو الروى و اللام الأول الذى قبله التزام ما لا يلزم فلو قال فى القصيده وصلها و قبلها و فعلها لجاز.

و احترزنا نحن بقولنا مع كونها ليست بواجبه التساوى عن قول الراجز و هو من شعر الحماسه أيضا و فيشه ليست كهذى الفيش فإن لزوم الياء قبل حرف الروى ليس من هذا الباب لأنه لزوم واجب ألا ترى أنه لو قال فى هذا الرجز البطش و الفرش و العرش لم يجز لأن الردف (٢) لا يجوز أن يكون حرفا خارجا عن حروف العله و قد جاء من اللزوم فى الكتاب العزيز مواضع

ص: ١٣٤

١ - ١) من أبيات أربعه؛ أولها: إنّ ألتى زعمت فؤادك ملّها خلقت هواك كما خلقت هوى لها و هى فى الحماسه-بشرح المرزوقى ١٢٣٥، و أمالى القالى (١:١٥٦) من غير نسبه، و نقل التبريزى عن أبى رياش أنّها لعروه بن أذينه.
٢ - ٢) أدقها و أجملها، أى أتى بها دقيقه العين و الأنف و الثغر و الخصر، جليله الساق و الفخذ و الصدر.

ليست بكثيره فمنها قوله سبحانه فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَرَّعْتَ غِيَابَ آيَاتِ الْكُرْآنِ يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَتَّبِعِ الْآرْجَمَانَكِ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (١) وقوله تعالى وَ لِكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢) وقوله إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٣) وقوله وَالطُّورِ وَ كِتَابِ مَسِّيطُورٍ (٤) وقوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَيْبَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْ يَكُنُونَ عَلَىٰ سُرُورٍ بِالَّذِي هُمْ يَصْنَعُونَ (٥) وقوله فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَ طَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٦) وقوله فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الْمَنَّانُ الَّذِي يَرِيكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ السَّمَاءُ مِنَ الْمَوَالِي وَ نِعْمَ النَّاصِرُ (٧) والظاهر أن ذلك غير مقصود قصده.

و مِمَّا وَرَدَ مِنْهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ لَقِيْطَ بْنَ زُرَّارَةَ تَزَوَّجَ ابْنَةَ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ الشَّيْبَانِيِّ فَأَحْبَبْتُهُ فَلَمَّا قَتَلَ عَنْهَا تَزَوَّجَ غَيْرَهُ فَكَانَتْ تَذْكُرُ لَقِيْطًا فَسَأَلَهَا عَنْ حَبْلِهَا لَه فَقَالَتْ أَذْكَرُهُ وَقَدْ خَرَجَ تَارَهُ فِي يَوْمِ دَجْنٍ وَقَدْ تَطَيَّبَ وَ شَرِبَ الْخَمْرَ وَ طُرِدَ بَقْرًا فَصَرَاعَ بَعْضَهَا ثُمَّ جَاءَنِي وَ بِهِ نَضْحَ دَمٍ وَ عَيْبِرَ فُضْمَنِي ضَمَهُ وَ شَمْنِي شَمَهُ فَلَيْتَنِي كُنْتُ مَتَّئِمًا بِهِ.

وقد صنع أبو العلاء المعري كتابا في اللزوم من نظمه فأتى فيه بالجيد والردىء وأكثره متكلف ومن جیده قوله لا تطلبن بآله لك حاله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْذِّكْرِ الْمَشْهُورِ وَالْعِلْمِ الْمَأْثُورِ

ص: ١٣٥

١-١) سورة مريم ٤٤،٤٥.

٢-٢) سورة ق ٢٧،٢٨.

٣-٣) سورة العلق ١،٢.

٤-٤) سورة الطور ١،٢.

٥-٥) سورة الطور ٢٩،٣٠.

٦-٦) سورة الواقعة ٢٨،٢٩.

٧-٧) سورة الأنفال ٣٩،٤٠.

وَ الْكُتَابِ الْمَسْطُورِ وَ النُّورِ السَّاطِعِ وَ الضِّيَاءِ اللَّامِعِ وَ الْأَمْرِ الصَّادِعِ إِزَاحَهُ لِلسُّبُهَاتِ وَ اخْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ وَ تَحْذِيراً بِالْآيَاتِ وَ تَخْوِيفاً بِالْمَثَلَاتِ وَ النَّاسِ فِي فِتْنٍ أَنْجَذَمَ [أَنْجَذَمَ]

فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَ تَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ وَ اخْتَلَفَ النَّجْرُ وَ تَشَتَّتَ الْأَمْرُ وَ ضَاقَ الْمَخْرُجُ وَ عَمِيَ الْمَصْدَرُ فَالْهُدَى خَامِلٌ وَ الْعَمَى شَامِلٌ عَصِيَ الرَّحْمَنُ وَ نُصِرَ الشَّيْطَانُ وَ حُذِلَ الْإِيمَانُ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَ تَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ [أَعْلَامُهُ]

وَ دَرَسَتْ سُبُلُهُ وَ عَفَتْ شُرُكُهُ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسِيلَ الْكُفْرِ وَ وَرَدُوا مَنَاهِلَهُ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَ قَامَ لَوَاؤُهُ فِي فِتْنٍ دَاسٍ تَهُمُّ بِأَخْفَافِهَا وَ وَطِئَتْهُمْ بِأَطْلَافِهَا وَ قَامَتْ عَلَى سِنَابِكِهَا فَهَمُّ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِزُونَ جَاهِلُونَ مَقْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَ شَرِّ جِيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ [سُهَادٌ]

وَ كُحِلُّهُمْ دُمُوعٌ بَارِضٌ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَ جَاهِلُهَا مُكْرَمٌ .

قوله ع و العلم المأثور يجوز أن يكون عنى به القرآن لأن المأثور المحكى و العلم ما يهتدى به و المتكلمون يسمون المعجزات أعلاما و يجوز أن يريد به أحد معجزاته غير القرآن فإنها كثيرة و مأثوره و يؤكد هذا قوله بعد و الكتاب المسطور فدل على تغايرهما و من يذهب إلى الأول يقول المراد بهما واحد و الثانيه تؤكد الأولى على قاعده الخطاب و الكتابه.

و الصادع الظاهر الجلى قال تعالى فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ (١) أى أظهره و لا تخفه .

و المثلات بفتح الميم و ضم الثاء العقوبات جمع مثله قال تعالى وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ (٢) .

و انجذم انقطع و السوارى جمع ساريه و هى الدعامة يدعم بها السقف و النجر

ص: ١٣٦

١-١) سورة الحجر ٩٤.

٢-٢) سورة الرعد ٦.

الأصل و مثله النجار و انهارت تساقطت و الشرك الطرائق جمع شراك و الأخفاف للإيل و الأظلاف للبقر و المعز .

و قال الراوندى فى تفسير قوله خير دار و شر جيران خير دار الكوفه و قيل الشام لأنها الأرض المقدسه و أهلها شر جيران يعنى أصحاب معاويه و على التفسير الأول يعنى أصحابه ع .

قال و قوله نومهم سهود يعنى أصحاب معاويه لا ينامون طول الليل بل يرتبون أمره و إن كان وصفا لأصحابه ع بالكوفه و هو الأقرب فالمعنى أنهم خائفون يسهرون و يبكون لقله موافقتهم إياه و هذا شكايه منه ع لهم .

و كحلهم دموع

أى نفاقا فإنه إذا تم نفاق المرء ملك عينيه .

و لقائل أن يقول لم يجر فيما تقدم ذكر أصحابه ع و لا أصحاب معاويه و الكلام كله فى وصف أهل الجاهليه قبل مبعث محمد ص ثم لا يخفى ما فى هذا التفسير من الركاكه و الفجاجة و هو أن يريد بقوله نومهم سهود أنهم طوال الليل يرتبون أمر معاويه لا ينامون و أن يريد بذلك أن أصحابه يبكون من خوف معاويه و عساكره أو أنهم يبكون نفاقا و الأمر أقرب من أن يتمحل له مثل هذا .

و نحن نقول إنه ع لم يخرج من صفه أهل الجاهليه و قوله فى خير دار يعنى مكه و شر جيران يعنى قريشا و هذا لفظ النبى ص حين حكى بالمدينه حاله كانت فى مبدأ البعثه

٧١

فَقَالَ كُنْتُ فِي خَيْرِ دَارٍ وَ شَرِّ جِيرَانٍ . ثم حكى ع ما جرى له مع عقبه بن أبى معيط و الحديث مشهور .

و قوله نومهم سهود و كحلهم دموع مثل أن يقول جودهم بخل و أمنهم خوف أى لو استماحهم محمد ع النوم لجادوا عليه بالسهود عوضا عنه و لو استجدهم الكحل لكان كحلهم الذى يصلونه به الدموع .

ص : ١٣٧

ثم قال بأرض عالمها ملجم أى من عرف صدق محمد ص و آمن به فى تقيه و خوف و جاهلها مكرم أى من جحد نبوته و كذبه فى عز و منعه و هذا ظاهر و منها [و]

يَعْنِي آلَ النَّبِيِّ ص هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجِئاً أَمْرِهِ وَ عَيْبُهُ عِلْمِهِ وَ مَوْثِلُ حُكْمِهِ وَ كُهُوفُ كُتُبِهِ وَ جِبَالُ دِينِهِ بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ اِرْتِعَادَ فَرَائِصِهِ .

اللجأ ما تلتجئ إليه كالوزر ما تعتصم به و الموثل ما ترجع إليه يقول إن أمر النبي ص أى شأنه ملتجئ إليهم و علمه مودع عندهم كالثوب يودع العيبه.

و حكمه أى شرعه يرجع و يؤول إليهم و كتبه يعنى القرآن و السنه عندهم فهم كالكهوف له لاحتوائهم عليه و هم جبال دينه لا يتحلحلون عن الدين أو أن الدين ثابت بوجودهم كما أن الأرض ثابتة بالجبال و لو لا الجبال لمادت بأهلها .

و الهاء فى ظهره ترجع إلى الدين و كذلك الهاء فى فرائصه و الفرائص جمع فريصه و هى اللحمه بين الجنب و الكتف لا تزال ترعد من الدابه و منها [فى المُنَافِقِينَ]

يَعْنِي قَوْمًا آخِرِينَ زَرَعُوا الْفُجُورَ وَ سَيَقُوهُ الْغُرُورَ وَ حَصَّ دُؤَا الثُّبُورَ لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ ص مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَ لَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ

التَّالِي وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَ الْوَرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَ نُقِلَ إِلَى مُتَّقِلِهِ .

جعل ما فعلوه من القبيح بمنزله زرع زرعه ثم سقوه فالذى زرعه الفجور ثم سقوه بالغرور و الاستعاره واقعه موقعها لأن تماديهم و ما سكنت إليه نفوسهم من الإمهال هو الذى أوجب استمرارهم على القبائح التى واقعوها فكان ذلك كما يسقى الزرع و يربى بالماء و يستحفظ.

ثم قال و حصدوا الثبور أى كانت نتيجة ذلك الزرع و السقى حصاد ما هو الهلاك و العطب.

و إشارته هذه ليست إلى المنافقين كما ذكر الرضى رحمه الله و إنما هى إشاره إلى من تغلب عليه و جحد حقه كمعاويه و غيره و لعل الرضى رحمه الله تعالى عرف ذلك و كنى عنه .

ثم عاد إلى الثناء على آل محمّد ص فقال: هم أصول الدين إليهم يفيء الغالى و بهم يلحق التالى جعلهم كمقنب يسير فى فلاه فالغالى منه أى الفارط المتقدم الذى قد غلا فى سيره يرجع إلى ذلك المقنب إذا خاف عدوا و من قد تخلف عن ذلك المقنب فصار تاليا له يلتحق به إذا أشفق من أن يتخطف .

ثم ذكر خصائص حقّ الولاية و الولاية الإيمره فأما الإماميه فيقولون أراد نص النبى ص عليه و على أولاده و نحن نقول لهم خصائص حقّ ولاية الرسول ص على الخلق.

ثم قال ع و فيهم الوصيه و الوراثه أما الوصيه فلا ريب عندنا أن عليا ع كان وصى رسول الله ص و إن خالف فى ذلك من هو منسوب

عندنا إلى العناد و لسنا نعنى بالوصيه النصّ و الخلافه و لكن أموراً أخرى لعلها إذا لمحت أشرف و أجل.

و أما الوراثه فالإماميه يحملونها على ميراث المال و الخلافه و نحن نحملها على وراثه العلم .

ثمّ ذكر ع أن الحق رجع الآن إلى أهله و هذا يقتضى أن يكون فيما قبل فى غير أهله و نحن نتأول ذلك على غير ما تذكره الإماميه و نقول إنّه ع كان أولى بالأمر و أحق لا على وجه النصّ بل على وجه الأفضليه فإنّه أفضل البشر بعد رسول الله ص و أحق بالخلافه من جميع المسلمين لكنه ترك حقه لما علمه من المصلحه و ما تفرس فيه هو و المسلمون من اضطراب الإسلام و انتشار الكلمه لحسد العرب له و ضغنهم عليه و جائز لمن كان أولى بشىء فتركه ثمّ استرجعه أن يقول قد رجع الأمر إلى أهله.

و أمّا قوله و انتقل إلى منتقله ففيه مضاف محذوف تقديره إلى موضع منتقله و المنتقل بفتح القاف مصدر بمعنى الانتقال كقولك لى فى هذا الأمر مضطرب أى اضطراب قال قد كان لى مضطرب واسع فى الأرض ذات الطول و العرض (1).

و تقول ما معتقدك أى ما اعتقادك قد رجع الأمر إلى نصابه و إلى الموضع الذى هو على الحقيقه الموضع الذى يجب أن يكون انتقاله إليه .

فإن قيل ما معنى قوله ع لا يقاس بأل محمد من هذه الأمه أحد و لا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا .

قيل لا شبهه أن المنعم أعلى و أشرف من المنعم عليه و لا ريب أن محمدا ص

ص : ١٤٠

١- ١) ديوان الحماسه ١:٢٨٧- بشرح المرزوقى، من أبيات نسبها إلى خطاب بن المعلى، و اسمه فى التبريزى: «حطان بن المعلى».

و أهله الأذنين من بنى هاشم لا سيما علياً أنعموا على الخلق كافة بنعمه لا يقدر قدرها و هى الدعاء إلى الإسلام و الهدايه إليه فمحمد ص و إن كان هدى الخلق بالدعوه التى قام بها بلسانه و يده و نصره الله تعالى له بملائكته و تأييده و هو السيد المتبوع و المصطفى المنتجب الواجب الطاعه إلا أن لعلى ع من الهدايه أيضاً و إن كان ثانياً لأول و مصلياً على إثر سابق ما لا يجحد و لو لم يكن إلا جهاده بالسيف أولاً و ثانياً و ما كان بين الجهادين من نشر العلوم و تفسير القرآن و إرشاد العرب إلى ما لم تكن له فاهمه و لا متصوره لكفى فى وجوب حقه و سبوغ نعمته ع.

فإن قيل لا-ريب فى أن كلامه هذا تعريض بمن تقدم عليه فأى نعمه له عليهم قيل نعمتان الأولى منهما الجهاد عنهم و هم قاعدون فإن من أنصف علم أنه لو لا سيف على ع لاصطلم المشركون من أشار إليه و غيرهم من المسلمين و قد علمت آثاره فى بدر و أحد و الخندق و خيبر و حنين و أن الشرك فيها فغرفاه فلو لا أن سده بسيفه لالتهم المسلمين كافة و الثانيه علومه التى لولاه لحكم بغير الصواب فى كثير من الأحكام و قد اعترف عمر له بذلك

٧٢

١- وَ الْخَبْرُ مَشْهُورٌ لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ .

و يمكن أن يخرج كلامه على وجه آخر و ذلك أن العرب تفضل القبيله التى (١) منها الرئيس الأعظم على سائر القبائل و تفضل الأذنى منه نسبا فالأذنى على سائر آحاد تلك القبيله فإن بنى دارم يفتخرون بحاجب و إخوته و بزواره أبيهم على سائر بنى تميم و يسوغ للواحد من أبناء بنى دارم أن يقول لا يقاس ببنى دارم أحد من بنى تميم و لا يستوى بهم من جرت رئاستهم عليه أبداً و يعنى بذلك أن واحداً من بنى دارم قد رأس على بنى تميم فكذلك لما كان رسول الله ص رئيس الكل

ص: ١٤١

(١ - ١) ا: «فيها».

و المنعم على الكل جاز لواحد من بنى هاشم لا سيما مثل على ع أن يقول هذه الكلمات و اعلم أن عليا ع كان يدعى التقدم على الكل و الشرف على الكل و النعمة على الكل بابن عمه ص و بنفسه و بأبيه أبي طالب فإن من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لو لا أبو طالب لم يكن شيئا مذكورا.

و ليس لقائل أن يقول كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى بإظهاره سواء كان أبو طالب موجودا أو معدوما لأننا نقول فينبغي على هذا ألا يمدح رسول الله ص و لا يقال إنه هدى الناس من الضلالة و أنقذهم من الجهالة و إن له حقا على المسلمين و إنه لولاه لما عبد الله تعالى في الأرض و ألا يمدح أبو بكر و لا يقال إن له أثرا في الإسلام و إن عبد الرحمن و سعدا و طلحة و عثمان و غيرهم من الأولين في الدين اتبعوا رسول الله ص لاتباعه له و إن له يدا غير مجوده في الإنفاق و اشتراء المعذبين و إعتاقهم و إنه لولاه لاستمرت الردة بعد الوفاة و ظهرت دعوه مسيلمه و طليحه و إنه لو لا- عمر لما كانت الفتوح و لا جهزت الجيوش و لا قوى أمر الدين بعد ضعفه و لا انتشرت الدعوه بعد خمولها.

فإن قلت في كل ذلك إن هؤلاء يحمدون و يثنى عليهم لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم و وفقهم لها و الفاعل بذلك بالحقيقه هو الله تعالى و هؤلاء آله مستعمله و وسائط تجرى الأفعال على أيديها فحمدهم و الثناء عليهم و الاعتراف لهم إنما هو باعتبار ذلك.

قيل لكم في شأن أبي طالب مثله (1).

ص: ١٤٢

١- (١): «قيل لهم».

و اعلم أن هذه الكلمات و هي قوله ع الآن إذ رجع الحق إلى أهله إلى آخرها يبعد عندي أن تكون مقوله عقيب انصرافه ع من صفين لأنه انصرف عنها وقتئذ مضطرب الأمر منتشر الجبل بواقعه التحكيم و مكيدة ابن العاص و ما تمّ لمعاويه عليه من الاستظهار و ما شاهد في عسكره من الخذلان و هذه الكلمات لا تقال في مثل هذه الحال و أخلق بها أن تكون قيلت في ابتداء بيعته قبل أن يخرج من المدينة إلى البصره و أن الرضى رحمه الله تعالى نقل ما وجد و حكى ما سمع و الغلط من غيره و الوهم سابق له و ما ذكرناه واضح

ما ورد في الوصايه من الشعر

و ممّا روينا من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كونه ع وصى رسول الله قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و منا على ذاك صاحب خبير

و قال عبد الرحمن بن جعيل لعمرى لقد بايعتم ذا حفيظه

و قال أبو الهيثم بن التيهان و كان بدر يا قل للزبير و قل لطلحه إننا

ص: ١٤٣

١- وَقَالَ عُمَرُ بْنُ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ يَوْمَ الْجَمَلِ وَقَدْ لَامَهُ أَبُوهُ عَ لَمَّا أَمَرَهُ بِالْحَمَلِ فَتَقَاعَسَ أَبُو حَسَنِ أَنْتَ فَضْلُ الْأُمُورِ

و قال رجل من الأزد يوم الجمل هذا على و هو الوصى

و خرج يوم الجمل غلام من بنى ضبه شاب معلم (٢) من عسكر عائشه و هو يقول نحن بنى ضبه أعداء على

و قال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل و كان فى عسكر على ع أية حرب أضرمت نيرانها و كسرت يوم الوغى مرانها (٣)

١- ١) برح الخفاء، أى ظهر ما كان خافيا و انكشف، مأخوذ من براح؛ و هو البارز الظاهر.

٢- ٢) المعلم، بكسر اللام: الذى علم مكانه فى الحرب بعلامه أعلمها.

٣- ٣) المران: الرماح الصلبة اللدنه، واحده مرانه.

قل للوصى أقبلت قحطانها

فادع بها تكفيكها همدانها هم بنوها و هم إخوانها.

و قال زياد بن ليلى الأنصارى يوم الجمل و كان من أصحاب على ع كيف ترى الأنصار فى يوم الكلب

و قال حجر بن عدى الكندى فى ذلك اليوم أيضا يا ربنا سلم لنا عليا

و قال خزيمة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين و كان بدرىا فى يوم الجمل أيضا ليس بين الأنصار فى جحمة الحرب

ص: ١٤٥

وقال خزيمه أيضا في يوم الجمل أ عائش خلى عن على و عيبه

وقال ابن بديل بن ورقاء الخزاعي يوم الجمل أيضا يا قوم للخطه العظمى التي حدثت

٧٤

٢- وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أُحْيَحَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ فِي خُطْبِهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَ بَعْدَ خُطْبِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ حَسَنَ الْخَيْرِ يَا شَبِيهَ أَبِيهِ

ص: ١٤٦

و قال زحر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضا أضربكم حتى تقروا لعلي

ذكر هذه الأشعار و الأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى (١) في كتاب وقعه الجمل و أبو مخنف من المحدثين و ممن يرى صحه الإمامه بالاختيار و ليس من الشيعة و لا معدودا من رجالها.

و ممّا روينا من أشعار صفين التي تتضمن تسميته ع بالوصى ما ذكره نصر بن مزاحم (٢) بن يسار المنقرى في كتاب صفين و هو من رجال الحديث قال نصر بن مزاحم قال زحر (٣) بن قيس الجعفي فصلى الإله على أحمد

قال نصر و من الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس (٤) أتانا الرسول رسول الإمام (٥)

ص: ١٤٧

١ - ١) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى؛ كان راويه أخبار و صاحب تصانيف في الفتوح و حروب الإسلام، توفى سنة ١٥٧. معجم الأدباء ١٧:٤١، الفهرست ٩٣.

٢ - ٢) ذكره ابن حجر في لسان الميزان ١٥٧:٦؛ و قال: إنه توفى سنة ٢١٢.

٣ - ٣) زحر، ضبطه صاحب القاموس بفتح الزاى و سكون الحاء المهملة؛ و الذى فى كتاب صفين ص ٢٢، أنها لجرير بن عبد الله البجلي، ضمن عشرة أبيات.

٤ - ٤) كتاب صفين ٢٧.

٥ - ٥) صفين: «رسول على».

و من الشعر المنسوب إلى الأشعث أيضا أتانا الرسول رسول الوصي

٧٥

قَالَ نَضْرُ بْنُ مُزَاحِمٍ مِنْ شِعْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي صِفِّينَ

يَا عَجَبًا لَقَدْ سَمِعْتُ مُنْكَرًا

ص: ١٤٨

وقال جرير بن عبد الله البجلي كتب بهذا الشعر إلى شرحبيل بن السمط الكندي رئيس اليمانيه من أصحاب معاويه نصحتك يا ابن السمط لا تتبع الهوى

وقال النعمان بن عجلان الأنصاري (١) كيف التفرق و الوصى إمامنا

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي ألا أبلغ معاويه بن حرب

وقال المغيره بن الحارث بن عبد المطلب يا عصبه الموت صبرا لا يهولكم

ص: ١٤٩

١-١) كتاب صفين ص ٥٣،٥٤، وروايته هناك: «شرحبيل يا بن السمط».

فيكم وصى رسول الله قائدكم

و صهره و كتاب الله قد نشرنا.

و قال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (1) وصى رسول الله من دون أهله

و الأشعار التي تتضمن هذه اللفظه كثير جدا و لكننا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قيل في هذين الحزينين فأما ما عداهما فإنه يجمل عن
الحصر و يعظم عن الإحصاء و العد و لو لا خوف الملاله و الإضجار لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقا كثيره

ص : ١٥٠

١ - ١) صفين: ٤٧٤، و نسبها إلى الفضل بن عباس.

٣ و من خطبه له و هي المعروفه بالشقشقيه (١)

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ [إِبْنُ أَبِي قُحَافَةَ]

(٢) [إِبْنُ أَبِي قُحَافَةَ]

وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَزْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثُوبًا وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا
وَطَفِئْتُ أَرْثِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَاءٍ [جِدًّا]

أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيهِ [ظَلْمِهِ]

عَمِيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَ يَشْتَبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَ يَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ (٣) حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبْرْتُ وَ
فِي الْعَيْنِ قَدَى وَ فِي الْحَلْقِ شَجَا أَرَى تُرَائِي نَهْبًا .

سدلت دونها ثوبا

أى أرخيت يقول ضربت بينى و بينها حجابا فعل الزاهد فيها الراغب عنها و طويت عنها كشحا أى قطعتها و صرمتها و هو مثل
قالوا لأن من كان إلى جانبك الأيمن ماثلا فطويت كشحك الأيسر فقد ملت عنه و الكشح ما بين الخاصره و الجنب و عندى
أنهم أرادوا غير ذلك و هو أن من أجاع نفسه فقد طوى كشحه كما أن من أكل و شبع فقد ملأ كشحه فكأنه أراد أنى أجعت
نفسى عنها و لم ألقمها و اليد الجذاء بالذال المهمله و بالذال المعجمه و الحاء المهمله مع الذال المعجمه كله بمعنى المقطوعه و
الطخيه قطعه من الغيم و السحاب و قوله عمياء تأكيد لظلام الحال و اسودادها يقولون مفازه عمياء أى يعمى فيها الدليل

ص: ١٥١

١-١) مخطوطه النهج: «الشقشقيه و المقمصه».

٢-٢) مخطوطه النهج: «فلان».

٣-٣) مخطوطه النهج: «المؤمن».

و يكدح يسعى و يكد مع مشقه قال تعالى إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا (١) و هاتا بمعنى هذه ها للتنبيه و تا للإشارة و معنى تا ذى و هذا أحجى من كذا أى أليق بالحجا و هو العقل .

و فى هذا الفصل من باب البديع فى علم البيان عشره ألفاظ.

أولها قوله لقد تقمصها أى جعلها كالقميص مشتمله عليه و الضمير للخلافه و لم يذكرها للعلم بها كقوله سبحانه حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٢) و كقوله كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٣) و كقول حاتم أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر (٤) .

و هذه اللفظه مأخوذه من كتاب الله تعالى فى قوله سبحانه وَبِاسْمِ التَّقْوَىٰ (٥) و قول النابغه (٦) تسربل سربالا من النصر و ارتدى عليه بعضب فى الكريهه قاصل .

الثانيه قوله ينحدر عنى السيل يعنى رفعه منزلته ع كأنه فى ذروه جبل أو يفاع مشرف ينحدر السيل عنه إلى الوهاد و الغيطان قال الهذلى و عيطاء يكثر فيها الزليل و ينحدر السيل عنها انحدارا (٧) .

الثالثه قوله ع و لا يرقى إلى الطير هذه أعظم فى الرفعه و العلو من التى قبلها لأن السيل ينحدر عن الرايبه و الهضبه و أما تعذر رقى الطير فربما يكون للقلال الشاهقه جدا بل ما هو أعلى من قلال الجبال كأنه يقول إننى لعلو منزلتى كمن فى السماء التى يستحيل أن يرقى الطير إليها قال أبو الطيب فوق السماء و فوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايه نزلوا (٨) .

ص : ١٥٢

١-١) سورة الانشقاق ٦.

٢-٢) سورة ص ٣٢.

٣-٣) سورة الرحمن ٢٦.

٤-٤) ديوانه ١١٨.

٥-٥) سورة الأعراف ٢٦.

٦-٦) كذا فى الأصول، و الصواب أنه لأبى تمام، كما فى ديوانه ٣:٨٢.

٧-٧) عيطاء: مرتفعه. و الزليل: الزلل.

٨-٨) ديوانه ٣:٣١٠.

و قال حبيب مكارم لجت فى علو كأنما تحاول تأرا عند بعض الكواكب (١).

الرابعه قوله سدلت دونها ثوبا قد ذكرناه.

الخامسه قوله و طويت عنها كشحا قد ذكرناه أيضا.

السادسه قوله أصول بيد جذاء قد ذكرناه.

السابعه قوله أصبر على طخيه عمياء قد ذكرناه أيضا .

الثامنه قوله و فى العين قذى أى صبرت على مضض كما يصبر الأرمدم.

التاسعه قوله و فى الحلق شجا و هو ما يعترض فى الحلق أى كما يصبر من غص بأمر فهو يكابد الخنق .

العاشره قوله أرى تراثى نهبا كنى عن الخلافه بالتراث و هو الموروث من المال.

فأما قوله ع إن محلى منها محل القطب من الرحى فليس من هذا النمط الذى نحن فيه و لكنه تشبيه محض خارج من باب الاستعاره و التوسع يقول كما أن الرحى لا تدور إلا على القطب و دورانها بغير قطب لا ثمره له و لا فائده فيه كذلك نسبتى إلى الخلافه فإنها لا تقوم إلا بى و لا يدور أمرها إلا على.

هكذا فسروه و عندى أنه أراد أمرا آخر و هو أنى من الخلافه فى الصميم و فى وسطها و بحبوحتها كما أن القطب وسط دائره

الرحى قال الراجز (٢)

ص: ١٥٣

١-١) ديوانه ٢١٧:١.

٢-٢) هو جرير بن عطيه، ديوانه ٥٢٠؛ و الأبيات أيضا فى الكامل ١٩١:٣، ١١٢:٢، بقولها فى الحكم بن أيوب بن أبى عقيل الثقفى؛ ابن عم الحجاج، و كان عامله على البصره.

وقال أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان فحللت منها بالبطاح و حل غيرك بالظواهر (٢).

و أميا قوله يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير فيمكن أن يكون من باب الحقائق و يمكن أن يكون من باب المجازات و الاستعارات أما الأول فإنه يعنى به طول مده و لايه المتقدمين عليه فإنها مده يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير.

و أميا الثانى فإنه يعنى بذلك صعوبه تلك الأيام حتى أن الكبير من الناس يكاد يهرم لصعوبتها و الصغير يشيب من أهوالها كقولهم هذا أمر يشيب له الوليد و إن لم يشب على الحقيقه.

ص: ١٥٤

١-١) القلاص: جمع قلوص؛ و هى الناقه الفتيه. و الخيطان: جمع خوط؛ و هو الغصن الناعم. و السلم: شجر، واحده سلمه. و بعده فى روايه الديوان: قد طويت بطونها على الأدم بعد انفضاج البدن و اللحم الزيم.

٢-٢) بعده فى روايه الديوان: *فهنّ بحثا كمضلات الخدم*

و اعلم أن فى الكلام تقديمًا و تأخيرًا و تقديره و لا- يرقى إلى الطير فطفقت أرتنى بين كذا و كذا فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فسدت دونها ثوبا و طويت عنها كشحا ثم فصبرت و فى العين قذى إلى آخر القصة لأنه لا يجوز أن يسدل دونها ثوبا و يطوى عنها كشحا ثم يطفق يرتى بين أن يباذهم أو يصبر أ لا- ترى أنه إذا سدل دونها ثوبا و طوى عنها كشحا فقد تركها و صرمها و من يترك و يصرم لا يرتى فى المنابذه و التقديم و التأخير طريق لاحب و سبيل مهيع فى لغة العرب قال سبحانه الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً قِيماً (١) أى أنزل على عبده الكتاب قيماً و لم يجعل له عوجاً و هذا كثير.

و قوله ع حتى يلقى ربه بالوقف و الإسكان كما جاءت به الروايه فى قوله سبحانه ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٢) بالوقف أيضاً

نسب أبى بكر و نبذه من أخبار أبيه

ابن أبى قحافه المشار إليه

٧٦

١٤- هُوَ أَبُو بَكْرٍ وَ اسْمُهُ الْقَدِيمُ عَبْدُ الْكَعْبَةِ فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ص عَبْدَ اللَّهِ وَ اخْتَلَفُوا فِي عَتِيقِ فَقِيلَ كَانَ اسْمَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقِيلَ بَلْ سَمَّاهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص . و اسم أبى قحافه عثمان و هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب و أمه ابنة عم أبيه و هى أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد

٧٧

١٤- أَسْلَمَ أَبُو قَحَّافَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ جَاءَ بِهِ ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ص وَ هُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ رَأْسُهُ كَالثَّغَامَةِ (٣) الْبَيْضَاءِ فَأَسْلَمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص غَيَّرُوا شَيْبَتَهُ .

ص: ١٥٥

١- ١) سورة الكهف ١، ٢.

٢- ٢) سورة البينه ٨.

٣- ٣) أورد الخبر ابن الأثير فى النهايه (١: ١٢٩): «أتى بأبى قحافه يوم الفتح و كأن رأسه ثغامه». و قال: «هو نبت أبيض الزهر و الثمر، يشبه به الشيب. و قيل: هى شجره تبيض كأنها الثلج».

و ولي ابنه الخلافه و هو حى منقطع فى بيته مكفوف عاجز عن الحركه فسمع ضوضاء الناس فقال ما الخبر فقالوا ولى ابنك الخلافه فقال رضيت بنو عبد مناف بذلك قالوا نعم قال اللهم لا مانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت.

و لم يل الخلافه من أبوه حى إلا أبو بكر و أبو بكر عبد الكريم (١) الطائع لله ولى الأمر و أبوه المطيع حى خلع نفسه من الخلافه و عهد بها إلى ابنه و كان المنصور يسمى عبد الله بن الحسن بن الحسن (٢) أبا قحافه تهكما به لأن ابنه (٣) محمدا ادعى الخلافه و أبوه حى.

و مات أبو بكر و أبو قحافه حى فسمع الأصوات فسأل فقل مات ابنك فقال رزء جليل و توفى أبو قحافه فى أيام عمر فى سنه أربع عشره للهجره و عمره سبع و تسعون سنه و هى السنه التى توفى فيها نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم (٤). إن قيل بينوا لنا ما عندكم فى هذا الكلام أليس صريحه دالا على تظليم القوم و نسبتهم إلى اغتصاب الأمر فما قولكم فى ذلك إن حكمتهم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم و إن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم فى المتظلم المتكلم عليهم.

قيل أما الإماميه من الشيعة فتجرى هذه الألفاظ على ظواهرها و تذهب إلى أن النبى ص نص على أمير المؤمنين ع و أنه غضب حقه.

ص: ١٥٦

١ - ١) أصيب المطيع لله بالفالج، و لما قوى عليه و ثقل لسانه، خلع نفسه. و بويح لولده الطائع؛ و كان ذلك فى سنه ٣٦٤. الفخرى ص ٢٥٣.

٢ - ٢) كان عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، شيخ بنى هاشم فى وقته، و المقدم فيهم. و انظر أخباره فى مقاتل الطالبين ص ١٧٩-١٨٥.

٣ - ٣) كان علماء آل أبي طالب يرون فى محمدا بن عبد الله بن الحسن أنه النفس الزكية؛ و كان أفضل أهل بيته فى علمه بكتاب الله و حفظه له، مع فقهه فى الدين و شجاعته وجوده و بأسه و كل أمر يجمل بمثله. و انظر ترجمته و أخباره فى مقاتل الطالبين ص ٢٣٢-٢٩٩.

٤ - ٤) هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ له صحبه؛ و كان أسن من أسلم من بنى هاشم؛ حتى من عميه حمزه و العباس. الإصابه ٢٥٨: ٦.

و أمّا أصحابنا رحمهم الله فلهم أن يقولوا إنه لما كان أمير المؤمنين ع هو الأفضل والأحق و عدل عنه إلى من لا يساويه في فضل و لا يوازيه في جهاد و علم و لا يماثله في سؤدد و شرف ساغ إطلاق هذه الألفاظ و إن كان من وسم بالخلافه قبله عدلا تقيا و كانت بيعته ببعه صحيحه أ لا ترى أن البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيره فيجعل السلطان الأنقص علما منهما قاضيا فيتوجد الأعلم (١) و يتألم و ينفث أحيانا بالشكوى و لا يكون ذلك طعنا في القاضى و لا تفسيقا له و لا حكما منه بأنه غير صالح بل للعدول عن الأحق و الأولى و هذا أمر مركز في طباع البشر و مجبول في أصل الغريزه و الفطره فأصحابنا رحمهم الله لما أحسنوا الظنّ بالصحابه و حملوا ما وقع منهم على وجه الصواب و أنهم نظروا إلى مصلحه الإسلام و خافوا فتنه لا تقتصر على ذهاب الخلافه فقط بل و تفضى إلى ذهاب النبوه و المله فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحق إلى فاضل آخر دونه فعدلوا له احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصادره عن معتقدونه في الجلاله و الرفعه قريبا من منزله النبوه فتأولوها بهذا التأويل و حملوها على التألم للعدول عن الأولى.

و ليس هذا بأبعد من تأويل الإماميه قوله تعالى وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (٢) و قولهم معنى عصى أنه عدل عن الأولى لأن الأمر بترك أكل الشجره كان أمرا على سبيل الندب فلما تركه آدم كان تاركا للأفضل و الأولى فسمى عاصيا باعتبار مخالفه الأولى و حملوا غوى على خاب لا- على الغوايه بمعنى الضلال و معلوم أن تأويل كلام أمير المؤمنين ع و حملة على أنه شكاً من تركهم الأولى أحسن من حمل قوله تعالى وَ عَصَى آدَمُ عَلَى أَنَّهُ تَرَكَ الْأُولَى.

ص: ١٥٧

١-١) ب: «الأعظم»، و الأجود ما أثبتته من ا.

٢-٢) سورة طه ١٢١.

إن قيل لا تخلو الصحابه إما أن تكون عدلت عن الأفضل لعله و مانع فى الأفضل أو لا لمانع فإن كان لا لمانع كان ذلك عقدا للمفضول بالهوى فيكون باطلا و إن كان لمانع و هو ما تذكرونه من خوف الفتنة و كون الناس كانوا يبغضون عليا و يحسدونه فقد كان يجب أن يعذرهم أمير المؤمنين ع فى العدول عنه و يعلم أن العقد لغيره هو المصلحه للإسلام فكيف حسن منه أن يشكوهم بعد ذلك و يتوجد عليهم.

و أيضا فما معنى قوله فطفقت أرتنى بين أن أصول بيد جذاء على ما تأولتم به كلامه فإن تارك الأولى لا يصل عليه بالحرب.

قيل يجوز أن يكون أمير المؤمنين ع لم يغلب على ظنه ما غلب على ظنون الصحابه من الشغب و ثوران الفتنة و الظنون تختلف باختلاف الأمارات فرب إنسان يغلب على ظنه أمر يغلب على ظن غيره خلافة و أما قوله أرتنى بين أن أصول فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب بل صيال الجدل و المناظره يبين ذلك أنه لو كان جادلهم و أظهر ما فى نفسه لهم فربما خصموه بأن يقولوا له قد غلب على ظنوننا أن الفساد يعظم و يتفاقم إن وليت الأمر و لا يجوز مع غلبه ظنوننا لذلك أن نسلم الأمر إليك فهو ع قال طفقت أرتنى بين أن أذكر لهم فضائلهم و أحاجهم بها فيجيئونى بهذا الضرب من الجواب الذى تصير حجتي به جذاء (1) مقطوعه و لا قدره لى على تشييدها و نصرتها و بين أن أصبر على ما منيت به و دفعت إليه.

إن قيل إذا كان ع لم يغلب على ظنه وجود العله و المانع فيه و قد استراب الصحابه و شكاهم لعدولهم عن الأفضل الذى لا عله فيه عنده فقد سلمتم أنه ظلم الصحابه و نسبهم إلى غضب حقه فما الفرق بين ذلك و بين أن يستظلمهم لمخالفة النص و كيف

ص: ١٥٨

هربتم من نسبته لهم إلى الظلم لدفع النصّ و وقعتم في نسبته لهم إلى الظلم لخلاف الأولى من غير عله في الأولى و معلوم أن مخالفه الأولى من غير عله في الأولى كتارك النصّ لأن العقد في كلا الموضوعين يكون فاسدا.

قيل الفرق بين الأمرين ظاهر لأنّه ع لو نسبهم إلى مخالفه النصّ لوجب وجود النصّ و لو كان النصّ موجودا لكانوا فساقا أو كفّارا لمخالفته و أمّا إذا نسبهم إلى ترك الأولى من غير عله في الأولى فقد نسبهم إلى أمر يدعون فيه خلاف ما يدعى ع و أحد الأمرين لازم و هو إمّا أن يكون ظنهم صحيحا أو غير صحيح فإن كان ظنهم هو الصحيح فلا كلام في المسأله و إن لم يكن ظنهم صحيحا كانوا كالمجتهد إذا ظنّ و أخطأ فإنّه معذور و مخالفه النصّ أمر خارج عن هذا الباب لأن مخالفه غير معذور بحال فافترق المحملان

مرض رسول الله و امره أسامه بن زيد على الجيش

٧٨

١٤,١- لَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضَ الْمَوْتِ دَعَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَقَالَ سِرْ إِلَى مَقْتَلِ أَبِيكَ (١) فَأَوْطَيْتُهُمُ الْخَيْلَ فَقَدَّ وَ لَيْتِكَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ وَ إِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِالْعِدُوِّ فَأَقْلِلِ اللَّبْثَ وَ بُثِّ الْعَيْونَ وَ قَدِّمِ الطَّلَاعَ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ وُجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ إِلَّا كَانَتْ فِي ذَلِكِ الْجَيْشِ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ فَتَكَلَّمَتْ قَوْمٌ وَ قَالُوا يَسْتَعْمَلُ هَذَا الْغُلَامَ عَلَى جُلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ وَ خَرَجَ عَاصِبًا بِرَأْسِهِ فَصَبَّ عِدَّ الْمُنْتَبِرِ وَ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ (٢) فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَا مَقَالَهُ بَلَّغْتَنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي تَأْمِيرِ أُسَامَةَ لَنْ طَعَنْتُمْ فِي تَأْمِيرِي أُسَامَةَ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي تَأْمِيرِي أَبَاهُ مِنْ قَبْلِهِ وَ أَيُّمُ اللَّهُ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا بِالْإِمَارَةِ وَ ابْنُهُ مِنْ (٣) بَعْدِهِ لَخَلِيقٌ بِهَا

ص: ١٥٩

١-١) قتل زيد بن حارثه بمؤته؛ إحدى قرى البلقاء؛ و تفصيل الخبر في الطبري، (حوادث السنه الثامنه).

٢-٢) القطيفه: كساء له أهداب.

٣-٣) «و إن ابنه من بعده الخليق بها».

وَإِنَّهُمَا لَمِنَ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا فَإِنَّهُ مِنْ خِيَارِكُمْ ثُمَّ نَزَلَ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ يُودِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَ وَ يَمْضُونَ إِلَى عَشِيرَةِ أُسَامَةَ بِالْحِزْفِ (١).

وَ ثَقَلُ (٢) رَسُولَ اللَّهِ صَ وَ اشْتَدَّ مَا يَجِدُهُ فَأَرْسَلَ بَعْضَ نِسَائِهِ إِلَى أُسَامَةَ وَ بَعْضَ مَنْ كَانَ مَعَهُ يُعَلِّمُونَهُمْ ذَلِكَ فَدَخَلَ أُسَامَةَ مِنْ مَعْشَرِهِ وَ النَّبِيُّ صَ مَغْمُورٌ وَ هُوَ الْيَوْمَ الَّذِي لَعْدُوهُ (٣) فِيهِ فَتَطَأَتْ أُسَامَةَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَدْ أَسِيكَتَ فَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهُمَا عَلَى أُسَامَةَ كَالدَّاعِي لَهُ ثُمَّ أَشَارَ إِلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى عَشِيرَتِهِ وَ التَّوَجُّهِ لِمَا بَعَثَهُ فِيهِ فَرَجَعَ أُسَامَةَ إِلَى عَشِيرَتِهِ ثُمَّ أَرْسَلَ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَ إِلَى أُسَامَةَ يَأْمُرُنَّهُ بِالدُّخُولِ وَ يَقْلُنَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَدْ أَصِيحَ بَارِئًا فَدَخَلَ أُسَامَةَ مِنْ مَعْشَرِهِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ربيعِ الْأَوَّلِ فَوَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَ مُفِيحًا فَأَمَرَهُ بِالخُرُوجِ وَ تَعْجِيلِ النُّفُوزِ وَ قَالَ اغْدُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَ جَعَلَ يَقُولُ أَنْفَدُوا بَعَثَ أُسَامَةَ وَ يُكْرَرُ ذَلِكَ فَوَدَّعَ رَسُولَ اللَّهِ صَ وَ خَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ فَلَمَّا رَكِبَ جَاءَهُ رَسُولُ أُمِّ أَيْمَنَ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ يَمُوتُ فَأَقْبَلْ وَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَأَتَتْهُوَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ وَ هُوَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَ قَدْ مَاتَ وَ اللَّوَاءُ مَعَ بَرِيدَةَ بِنِ الْحُصَيْنِ فَدَخَلَ بِاللَّوَاءِ فَرَكَرَهُ عِنْدَ بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ هُوَ مُعْلَقٌ وَ عَلِيٌّ عَ وَ بَعْضُ بَنِي هَاشِمٍ مُسْتَعْلِقُونَ بِأَعْدَادِ جِهَازِهِ وَ غَسِيلَهُ فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِعَلِيٍّ وَ هُمَا فِي الدَّارِ امْأِدُدْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ فَيَقُولُ النَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَ بَايَعَ ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَ فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ

ص: ١٦٠

١- (١) الحزف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

٢- (٢) ثقل، بالكسر: اشتد مرضه.

٣- (٣) يقال: لد المريض، بالبناء للمجهول أي دووى باللدود؛ بالفتح؛ و هو من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم؛ و انظر النهاية لابن الأثير ٣: ٥٥، و اللسان ٣٩٣: ٤.

اثنان فقال له أ و يطمع يا عم فيها طامع غيري قال سي تعلم فلم يلبثا أن جاءتهما الأخبار بأن الأنصار أقدت سيعدا لبيعه و أن عمر حياء بأبي بكر في بيعه و سيق الأنصار بالبيعه فنديم علي ع على تفريطه في أمر البيعه و تقاعده عنها و أنشده العباس قول دريد أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

(١)

و تزعم الشيعة أن رسول الله ص كان يعلم موته و أنه سير أبا بكر و عمر في بعث أسامه لتخلو دار الهجرة منهما فيصفو الأمر لعلي ع و يبايعه من تخلف من المسلمين بالمدينة على سكون و طمأنينه فإذا جاءهما الخبر بموت رسول الله ص و بيعه الناس لعلي ع بعده كانا عن المنازعة و الخلاف أبعد لأن العرب كانت تلتزم بإتمام تلك البيعه و يحتاج في نقضها إلى حروب شديده فلم يتم له ما قدر و ثاقل أسامه بالجيش أياما مع شدة حث رسول الله ص على نفوذه و خروجه بالجيش حتى مات ص و هما بالمدينة فسبقا عليا إلى البيعه و جرى ما جرى.

و هذا عندي غير منقذ لأنه إن كان ص يعلم موته فهو أيضا يعلم أن أبا بكر سيلي الخلافة و ما يعلمه لا يحترس منه و إنما يتم هذا و يصح إذا فرضنا أنه ع كان يظن موته و لا يعلمه حقيقة و يظن أن أبا بكر و عمر يتمالآن على ابن عمه و يخاف وقوع ذلك منهما و لا يعلمه حقيقة فيجوز إن كانت الحال هكذا أن ينقذ هذا التوهم و يتطرق هذا الظن كالواحد منا له ولدان يخاف من أحدهما

ص: ١٦١

١-١) ديوان الحماسه- بشرح المرزوقى ٢:٨١٤، و روايته: «فلم يستبينوا الرشد».

أن يتغلب بعد موته على جميع ماله ولا يوصل أخاه إلى شيء من حقه فإنه قد يخطر له عند مرضه الذي يتخوف أن يموت فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسفر إلى بلد بعيد في تجاره يسلمها إليه يجعل ذلك طريقاً إلى دفع تغلبه على الولد الآخر حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان [ابن الخطاب]

بعده (١) ثم تمثل بقول الأعمشى إلى ابن الخطاب شتاناً ما يومى على كورها و يوم حيان أخى جابر فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدة ما تشطراً ضرعتها فصيرها في حوزة حشناء يعلظ كلمها [كلامها]

و يحسن مسها و يكثر العثار فيها و الإغذار منها فصاحبها كراكب الصعبي إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تفحم فمضى الناس لعمر الله بخبط و شماس و تلون و اغراض فصبرت على طول المده و شدده المحنه .

مضى لسبيله مات و السبيل الطريق و تقديره مضى على سبيله و تجيء اللام بمعنى على كقوله (٢) فخر صريعا للبين و للفم.

و قوله فأدلى بها من قوله تعالى و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل

ص: ١٦٢

١- ١) في مخطوطه النهج: «ثم تمثل بقول الأعمشى». و كذلك في حواشى ب.

٢- ٢) لجابر بن حنى التغلبى، و صدره: * تناوله بالزرمح ثم اثنى له * من قصيده له مفضليه ٢٠٨-٢١٢، و البيت من شواهد المغنى ١: ٢١٢، على وضع اللام موضع «على».

وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ (١) أى تدفعوها إليهم رشوه و أصله من أدليت الدلو فى البئر أرسلتها.

فإن قلت فإن أبا بكر إنما دفعها إلى عمر حين مات و لا معنى للرشوه عند الموت.

قلت لما كان ع يرى أن العدول بها عنه إلى غيره إخراج لها إلى غير وجهه الاستحقاق شبه ذلك بإدلاء الإنسان بماله إلى الحاكم فإنه إخراج للمال إلى غير وجهه فكان ذلك من باب الاستعاره-

عهد أبى بكر بالخلافه إلى عمر بن الخطاب

و ابن الخطّاب هو أبو حفص عمر الفاروق و أبوه الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب و أم عمر حنتمه بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

لما احتضر أبو بكر قال للكاتب اكتب هذا ما عهد عبد الله بن عثمان (٢) آخر عهده بالدنيا و أول عهده بالآخرة فى الساعه التى يبر فيها الفاجر و يسلم فيها الكافر ثم أغمى عليه فكتب الكاتب عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ ما كتبت فقرأ و ذكر اسم عمر فقال أنى لك هذا قال ما كنت لتعدوه فقال أصبت ثم قال أتم كتابك قال ما أكتب قال اكتب و ذلك حيث أجال رأيه و أعمل فكره فرأى أن هذا الأمر (٣) لا- يصلح آخره إلا بما يصلح به أوله (٤) و لا- يحتمله إلا- أفضل العرب مقدره و أملاكهم لنفسه و أشدهم فى حال الشده و أسلسهم فى حال اللين و أعلمهم برأى ذوى الرأى لا يتشاغل بما لا يعنيه و لا يحزن لما لم ينزل به

ص: ١٦٣

١-١ (١) سورة البقره ١٨٨.

٢-٢ (٢) عثمان اسم أبى قحافه.

٣-٣-٣ (٣) كذا فى ب،ج،فى ا: «لا يصلح آخره إلا بما أوله به صلح».

٣-٣-٤ (٣) كذا فى ب،ج،فى ا: «لا يصلح آخره إلا بما أوله به صلح».

و لا يستحى من التعلم و لا يتحير عند البديهة قوى على الأمور لا يجوز بشيء منها حده عدوانا و لا تقصيرا يرصد لما هو آت عتاده من الحذر.

فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابه منهم طلحه فقال له (١) ما أنت قائل لربك غدا و قد وليت علينا فظا غليظا تفرق منه النفوس و تنفض عنه القلوب.

فقال أبو بكر أسندوني و كان مستلقيا فأسندوه فقال لطلحه أ بالله تخوفنى إذا قال لى ذلك غدا قلت له وليت عليهم خير أهلك.

و يقال (٢) أصدق الناس فراسه ثلاثه العزيز فى قوله لامرأته عن يوسف ع وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَنَوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (٣) و ابنه شعيب حيث قالت لأبيها فى موسى يا أبتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٤) و أبو بكر فى عمر .

و روى كثير من الناس أن أبا بكر لما نزل به الموت (٥) دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرنى عن عمر فقال إنّه أفضل من رأيك [فيه]

(٦) إلا- أن فيه غلظه فقال أبو بكر ذاك لأنّه يرانى رقيقا و لو قد أفضى الأمر إليه لترك كثيرا ممّا هو عليه و قد رمقته إذا أنا غضبت على رجل أرانى الرضا عنه و إذا لنت له أرانى الشده عليه ثمّ دعا عثمان بن عفان فقال أخبرنى عن عمر فقال سريرته خير من علانيته (٧) و ليس فينا مثله فقال لهما لا تذكراممّا قلت لكما شيئا و لو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان و الخيره لك ألا تلى من أمورهم شيئا و لوددت أنى كنت من أموركم خلوا و كنت فيمن مضى من سلفكم و دخل طلحه بن عبيد الله على أبى بكر فقال إنّه بلغنى أنك يا خليفه

ص: ١٦٤

١-١ (١) كلمه «له» ساقطه من ب.

٢-٢ (٢) ا: «و يقال إنّه».

٣-٣ (٣) سوره يوسف ٢١.

٤-٤ (٤) سوره القصص ٢٦.

٥-٥ (٥) ساقطه من ب.

٦-٦ (٦) تكمله من تاريخ الطبرى ٣:٤٢٨، و فى ج: «أفضل من رأيت».

٧-٧ (٧) ا: «تقصر عن علانيته».

رسول الله استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه و أنت معه فكيف به إذا خلا- بهم و أنت غدا لاق ربك فيسألك عن رعيتك فقال أبو بكر أجلسوني ثم قال أ بالله تخوفني إذا لقيت ربي فسألني قلت استخلفت عليهم خير أهلك فقال طلحه أ عمر خير الناس يا خليفه رسول الله فاشتد غضبه و قال إي و الله هو خيرهم و أنت شرهم أما و الله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك و لرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها أتيتني و قد دلكت عينك تريد أن تفتنني عن ديني و تزيلني عن رأيي قم لا- أقام الله رجلك أما و الله لئن عشت فواق ناقة و بلغني أنك غمصته فيها أو ذكرته بسوء لألحقنك بمحمضات قنه (١) حيث كنتم تسقون و لا تروون و ترعون و لا تشبعون و أنتم بذلك بجحون (٢) راضون فقام طلحه فخرج.

□
أحضر أبو بكر عثمان و هو وجود بنفسه فأمره أن يكتب عهدا و قال اكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما عهد عبد الله بن عثمان (٣) إلى المسلمين أما بعد ثم أغمى عليه و كتب عثمان قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب و أفاق أبو بكر فقال اقرأ فقرأه فكبر أبو بكر و سر و قال أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي قال نعم قال جزاك الله خيرا عن الإسلام و أهله ثم أتم العهد و أمر أن يقرأ على الناس فقرئ عليهم ثم أوصى عمر فقال له إن لله حقا بالليل لا يقبله في النهار و حقا في النهار لا- يقبله بالليل و إنّه لا- يقبل نافله ما لم تؤد الفريضة و إنّما ثقلت موازين من اتبع الحق مع ثقله عليه و إنّما خفت موازين من اتبع الباطل لخفته عليه إنّما أنزلت آيه الرخاء مع آيه الشده لئلا يرغب المؤمن رغبه يتمنى فيها على الله ما ليس له و لئلا

ص: ١٦٥

١- ١) الموضع الذي ترعى فيه الإبل الحمض. و قنه: موضع بعينه.

٢- ٢) البجع: الفرع و السرور.

٣- ٣) الطبري ٤٢٩:٣: «أبو بكر من أبي قحافه».

يرهب رهبه يلقي فيها بيده فإن حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت و لست معجزه ثم توفي أبو بكر .

دعا أبو بكر عمر يوم موته بعد عهده إليه فقال إني لأرجو أن أموت في يومى هذا فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى بن حارثه و إن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس معه و لا تشغلنكم مصيبي عن دينكم و قد رأيتنى متوفى رسول الله ص كيف صنعت.

و توفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة .

و أما البيت الذى تمثل به ع فإنه للأعشى الكبير أعشى قيس و هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل من القصيدة التى قالها فى منافره علقمه بن علاثة و عامر بن الطفيل و أولها علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار و الواتر (1).

يقول فيها و قد أسلى الهم إذ يعترى

شرخا الرحل مقدمه و مؤخره و الميس شجر يتخذ منه الرحال و رحل قاتر جيد الوقوع على ظهر البعير

ص: ١٦٦

١-١) ديوانه ١٠٤-١٠٨؛ و يقع هذا البيت الخامس عشر منها، و أولها: شاقتك من قتله أطلالها بالشطّ فالوتر إلى حاجر.

شتان ما يومى على كورها و يوم حيان أخى جابر

تقول شتان ما هما و شتان هما و لا يجوز شتان ما بينهما إلا على قول ضعيف.

و شتان أصله شتت كوشكان ذا خروجا من وشك و حيان و جابر ابنا السمين الحنفيان و كان حيان صاحب شراب و معاقره خمرة و كان نديم الأعشى و كان أخوه جابر أصغر سنا منه فيقال إن حيان قال للأعشى نسبتنى إلى أخى و هو أصغر سنا منى فقال إن الروى اضطرنى إلى ذلك فقال و الله لا نازعتك كأسا أبدا ما عشت يقول شتان يومى و أنا فى الهاجره و الرمضاء أسير على كور هذه الناقه و يوم حيان و هو فى سكره الشراب ناعم البال مرفه من الأكدار و المشاق و القرو شبه حوض يتخذ من جذع أو من شجر ينبذ فيه و العاصر الذى يعتصر العنب و المجدل الحصن المنيع.

و شبهه بهذا المعنى قول الفضل بن الربيع فى أيام فتنه الأمين يذكر حاله و حال أخيه المأمون إنما نحن (1) شعب من أصل إن قوى قوينا و إن ضعف ضعفنا و إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمه الوكعاء يشاور النساء و يقدم على الرؤيا قد أمكن أهل الخساره و اللهو من سمعه فهم يمنونه الظفر و يعدونه عقب الأيام و الهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل ينام نوم الظربان و ينتبه انتباه الذئب همه بطنه و فرجه لا يفكر فى زوال نعمه و لا يروى فى إمضاء رأى و لا مكيدته قد شمر له عبد الله

ص: ١٦٧

١- ١) لم يرد هذا البيت فى ديوانه، و هو فى اللسان ٣٤: ٢٠، و روايته: *أرمى بها البیداء إذ أعرضت*

عن ساقه و فوق إليه أسد سهامه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ و الموت القاصد قد عبأ له المنايا على متون الخيل و ناط له
البلايا بأسنه الرماح و شفار السيوف فهو كما قال الشاعر (١) لشتان ما بيني و بين ابن خالد أميّه

و أميه المذكور في هذا الشعر هو أميه بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أميه بن عبد شمس كان والي خراسان و
حارب الترك و الشعر للبعيث .

يقول أمير المؤمنين ع شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض على من الأمر و منيت به من انتشار الجبل و اضطراب أركان
الخلافة و بين يوم عمر حيث وليها على قاعده ممهده و أركان ثابتة و سكون شامل فانتظم أمره و اطرده حاله و سكنت أيامه .

قوله ع فيا عجبا أصله فيا عجبي كقولك يا غلامي ثم قلبوا الياء ألفا فقالوا يا عجبا كقولهم يا غلاما فإن وقفت و قفت على هاء
السكت فقلت يا عجباه و يا غلاماه قال العجب منه و هو يستقبل المسلمين من الخلافة أيام حياته فيقول أقيلوني ثم يعقدها عند
وفاته لآخر و هذا يناقض الزهد فيها و الاستقاله منها و قال شاعر من شعراء الشيعة حملوها يوم السقيفه أوزارا تخف الجبال و هي
ثقال

ص: ١٦٨

١- (١) الطبري: «و تمثل بشعر البعيث».

ثم جاءوا من بعدها

يستقبلون و هيات عشره لا تقال.

و قد اختلف الرواه فى هذه اللفظه فكثير من الناس رواها أقيلونى فلست بخيركم و من الناس من أنكر هذه اللفظه و لم يروها و إنما روى قوله وليتكم و لست بخيركم و احتج بذلك من لم يشترط الأفضليه فى الإمامه و من رواها اعتذر لأبى بكر فقال إنما قال أقيلونى ليثور (١) ما فى نفوس (٢) الناس من بيعته و يخبر ما عندهم من ولايته فيعلم مريدهم و كارهمهم و محبهم و مبغضهم فلما رأى النفوس إليه ساكنه و القلوب لبيعته مدعنه استمر على إمارته و حكم حكم الخلفاء فى رعيته و لم يكن منكرا منه أن يعهد إلى من استصلحه لخلافته.

قالوا و قد جرى مثل ذلك لعلى ع

٧٩

١,٢- فَإِنَّهُ قَالَ لِلنَّاسِ بَعِيدَ قَتْلِ عُثْمَانَ دَعُونِي وَ التَّمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا لَكُمْ وَ زِيْرًا خَيْرٌ مِنِّي لَكُمْ أَمِيرًا وَ قَالَ لَهُمْ أَتُرْكُونِي فَإِنَّا كَأَحَدِكُمْ بَلْ أَنَا أَسْمَعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَ لِيَتِمُّوهُ أَمْرُكُمْ فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَ بَايَعُوهُ فَكَرِهَهَا أَوْلًا ثُمَّ عَاهَدَ بِهَا إِلَى الْحَسَنِ عِندَ مَوْتِهِ

قالت الإماميه هذا غير لازم و الفرق بين الموضوعين ظاهر لأن عليا ع لم يقل إننى لا أصلح و لكنه كره الفتنة و أبو بكر قال كلاما معناه أنى لا أصلح لها لقوله لست بخيركم و من نفى عن نفسه صلاحيته للإمامه لا يجوز أن يعهد بها إلى غيره.

و اعلم أن الكلام فى هذا الموضوع مبنى على أن الأفضليه هل هى شرط فى الإمامه أم لا و قد تكلمنا فى شرح الغرر لشيخنا أبى الحسين (٣) رحمه الله تعالى فى هذا البحث بما لا يحتمله هذا الكتاب

ص: ١٦٩

١-١ (١) يثور: يبيح.

٢-٢ (٢) ا: «قلوب».

٣-٣ (٣) هو أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب المتكلم المعتزلى؛ توفى سنة ٤٣٦، و كتابه «غرر الأدله». ذكره ابن خلكان ١: ٤٨٢.

وقوله ع لشد ما تشطرا ضرعيها شد أصله شدد كقولك حبّ في حبذا أصله حب و معنى شد صار شديدا جدا و معنى حبّ صار حبيبا قال البحتري شد ما أغريت ظلوم بهجري بعد وجدى بها و غله صدرى (١).

و للناقه أربعة أخلاف خلفان قادمان و خلفان آخران و كل اثنين منهما شطر و تشطرا ضرعيها اقتسما فائدتهما و نفعهما و الضمير للخلافه و سمى القادمين معا ضرعا و سمى الآخرين معا ضرعا لما كانا لتجاورهما و لكونهما لا يحلبان إلا معا كشيء واحد .

قوله ع فجعلها فى حوزة خشناء أى فى جهه صعبه المرام شديده الشكيمه و الكلم الجرح.

و قوله يغلظ من الناس من قال كيف قال يغلظ كلمها و الكلم لا- يوصف بالغلظ و هذا قله فهم بالفصاحه أ لا ترى كيف قد وصف الله سبحانه العذاب بالغلظ فقال وَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢) أى متضاعف لأن الغليظ من الأجسام هو ما كثف و جسم فكان أجزاءه و جواهره متضاعفه فلما كان العذاب أعادنا الله منه متضاعفا سمي غليظا و كذلك الجرح إذا أمعن و عمق فكأنه قد تضاعف و صار جروحا فسمى غليظا.

إن قيل قد قال ع فى حوزة خشناء فوصفها بالخشونه فكيف أعاد ذكر الخشونه ثانيه فقال يخشن مسها .

قيل الاعتبار مختلف لأن مراده بقوله فى حوزة خشناء أى لا ينال ما عندها و لا يرام يقال إن فلانا لخشن الجانب و وعر الجانب و مراده بقوله يخشن

ص : ١٧٠

١-١) ديوانه ٩٧٠:٢ (طبعه المعارف).

٢-٢) سورة هود ٥٨.

أى تؤذى و تضر و تنكى من يمسا يصف جفاء أخلاق الوالى المذكور و نفور طبعه و شده بادرته.

قوله ع و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها يقول ليست هذه الجبهه جددا مهيعا بل هى كطريق كثير الحجاره لا يزال الماشى فيه عاثرا.

و أما منها فى قوله ع و الاعتذار منها فيمكن أن تكون من على أصلها يعنى أن عمر كان كثيرا ما يحكم بالأمر ثم ينقضه و يفتى بالفتيا ثم يرجع عنها و يعتذر ممّا أفتى به أولا و يمكن أن تكون من هاهنا للتعليل و السببيه أى و يكثر اعتذار الناس عن أفعالهم و حركاتهم لأجلها قال أ من رسم دار مربع و مصيف لعينيك من ماء الشئون و كيف (١).

أى لأجل أن رسم المربع و المصيف هذه الدار و كف دمع عينيك .

و الصعبه من النوق ما لم تركب و لم ترض إن أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها و إن أسلس زمامها تقحم فى المهالك فألقته فى مهواه أو ماء أو نار أو ندت فلم تقف حتى ترديه عنها فهلك.

و أشنق الرجل ناقته إذا كفها بالزمام و هو راكبها و اللغه المشهوره شنق ثلاثيه و فى الحديث أن طلحه أشد قصيده فما زال شانقا راحلته حتى كتبت له (٢) و أشنق البعير نفسه إذا رفع رأسه يتعدى و لا يتعدى و أصله من الشناق و هو خيط يشد به فم القربه .

و قال الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى إنما قال ع أشنق لها و لم يقل أشنقها لأنه جعل ذلك فى مقابله قوله أسلس لها و هذا حسن فإنهم إذا

ص: ١٧١

١- ١) و كيف الدمع: سيلانه.

٢- ٢) الخبر فى الفائق ١: ٦٧٧، و قال فى شرحه: «هو أن يجذب رأسها بزمامها، حتى يدانى قفاها قادمه الرحل؛ و قد شنقها و أشنقها».

قصدوا الازدواج فى الخطابہ فعلوا مثل هذا قالوا الغدايا والعشايا والأصل الغدوات جمع غدوه

٨٠

وَ قَالَ ص اَرْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ.

و أصله موزورات بالواو لأنه من الوزر.

و قال الرضى رحمه الله تعالى و ممّا يشهد على أن أشنق بمعنى شنق قول عدى بن زيد العبادى ساءها ما لها تبين فى الأيدى و إشناقها إلى الأعناق.

قلت تبين فى هذا البيت فعل ماض تبين يتبين تبينا و اللام فى لها تتعلق بتبين يقول ظهر لها ما فى أيدينا فساءها و هذا البيت من قصيده أولها ليس شىء على المنون بباق غير وجه المسيح الخلاق (١).

و قد كان زارته بنيه له صغيره اسمها هند و هو فى الحبس حبس النعمان و يداه مغلولتان إلى عنقه فأنكرت ذلك و قالت ما هذا الذى فى يدك و عنقك يا أبت و بكت فقال هذا الشعر و قبل هذا البيت و لقد غمنى زياره ذى قبرى

أى ساءها ما ظهر لها من ذلك و يروى ساءها ما بنا تبين أى ما بان و ظهر و يروى ما بنا تبين بالرفع على أنه مضارع.

و يروى إشناقها بالرفع عطفا على ما التى هى بمعنى الذى و هى فاعله و يروى بالجر عطفا على الأيدى .

ص: ١٧٢

١-١) الأغانى ١١٦:٢، اللسان(شنق).

وقال الرضى رحمه الله تعالى أيضا و يروى أن رسول الله ص خطب الناس و هو على ناقه قد شقق لها و هى تقصع بجرتها .

قلت الجره ما يعلو من الجوف و تجتره الإبل و الدرره ما يسفل و تقصع بها تدفع و قد كان للرضى رحمه الله تعالى إذا كانت الروايه قد وردت هكذا أن يحتج بها على جواز أشنق لها فإن الفعل فى الخبر قد عدى باللام لا بنفسه قوله ع فمنى الناس أى بلى الناس قال منيت بزمرده كالعصا (١) .

و الخطب السير على غير جاده و الشمساس النفار و التلون التبدل و الاعتراض السير لا على خطّ مستقيم كأنه يسير عرضا فى غضون سيره طولا و إنما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط و بعير عرضى يعترض فى مسيره لأنه لم يتم رياضته و فى فلان عرضيه أى عجرفه و صعوبه

طرف من أخبار عمر بن الخطاب

و كان عمر بن الخطاب صعبا عظيم الهيئه شديد السياسه لا يحابى أحدا و لا يراقب شريفا و لا مشروفا و كان أكابر الصحابه يتحامون و يتفادون من لقائه

٨١

١- كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي مَجْلِسِ عُمَرَ وَ هُنَاكَ زِيَادُ ابْنِ سَيْمِيَّةَ وَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَتَكَلَّمَ زِيَادٌ فَأَحْسَنَ وَ هُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَقَالَ عَلِيٌّ ع وَ كَانَ حَاضِرًا لِأَبِي سُفْيَانَ وَ هُوَ إِلَى جَانِبِهِ لِلَّهِ هَذَا الْغُلَامُ لَوْ كَانَ قُرَشِيًّا لَسَاقَ الْعَرَبَ بَعْصَاهُ فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُ أَيْبَاهُ لَعَرَفْتُ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَهْلِكَ قَالَ وَ مَنْ أَبِيُّهُ قَالَ أَنَا وَ ضَعُفْتُهُ وَ اللَّهُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ فَقَالَ عَلِيٌّ ع فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ اسْتِلْحَاقِهِ قَالَ أَخَافُ هَذَا الْعَيْزَ (٢) الْجَالِسِ أَنْ يَخْرِقَ عَلَيَّ إِهَابِي .

ص: ١٧٣

١ - ١) لأبى الغطمش الحنفى؛ ذكره أبو تمام فى الحماسه ١٨٨١- بشرح المرزوقى، و رواه: «بزمرده»، و قال: هو حجز يملأ الكف»، و بعده: *ألصّ و أخبث من كندش*
٢- ٢) عير القوم: سيدهم.

وقيل لابن عباس لما أظهر قوله في العول (١) بعد موت عمر و لم يكن قبل يظهره هلا قلت هذا و عمر حى قال هبته و كان امرأ مهابا (٢) .

٨٢

١- وَ اسْتَدْعَى عُمَرُ امْرَأَهُ لِيَسْأَلَهَا عَنْ أَمْرٍ وَ كَانَتْ حَامِلًا فَلِشِدَّةِ هَيْبَتِهِ أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا فَأَجْهَضَتْ بِهِ جَنِينًا مَيِّتًا فَاسْتَفْتَى عُمَرُ أَكَابِرَ الصَّخْرَةِ فِي ذَلِكَ فَقَالُوا لَا شَيْءَ عَلَيْكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُؤَدِّبٌ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَ إِنَّ كَانُوا رَاقِبُونَكَ فَقَدْ عَشُوكَ وَ إِنْ كَانَ هَذَا جَهْدَ رَأْيِهِمْ فَقَدْ أَخْطَأُوا عَلَيْكَ عُرَّةٌ يَعْنِي عَتَقَ رَقَبَهُ فَرَجَعَ عُمَرُ وَ الصَّحَابَةُ إِلَى قَوْلِهِ .

و عمر هو الذى شد بيعه أبى بكر و وقم (٣) المخالفين فيها فكسر سيف الزبير لما جرده و دفع فى صدر المقداد و وطئ فى السقيفه سعد بن عباد و قال اقتلوا سعدا قتل الله سعدا و حطم أنف الحباب بن المنذر الذى قال يوم السقيفه أنا جدي لها (٤) المحكك و عذيقها المرجب

٨٣

١٥- وَ تَوَعَّدَ مَنْ لَجَأَ إِلَى دَارِ فَاطِمَةَ عَ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ وَ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا . وَ لَوْلَاهُ لَمْ يَثْبِتْ لِأَبِي بَكْرٍ أَمْرٌ وَ لَا قَامَتْ لَهُ قَائِمَةٌ .

و هو الذى ساس العمال و أخذ أموالهم فى خلافته و ذلك من أحسن السياسات.

و روى الزبير بن بكار قال لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق و صامت (٥) فكتب إليه أما بعد فقد ظهر لى من مالك ما لم يكن فى رزقك و لا كان لك مال قبل أن أستعملك فأنى لك هذا فوالله لو لم يهمنى فى ذات الله إلا من اختان فى مال الله لكثير همى و انتثر أمرى و لقد كان عندى من المهاجرين الأولين من هو خير منك و لكنى قلدتك رجاء غنائك فاكتب إلى من أين لك هذا المال و عجل.

ص: ١٧٤

١-١) عول الفريضة، و هو أن تزيد سهامها، فيدخل النقصان على أهل الفرائض.

٢-٢) كذا فى ا، و فى ب: «و كان امرأ مهيبا».

٣-٣) و قم البعير: كواه؛ و المراد أذله.

٤-٤) الفائق ا: ١٨٠، و بقيه الخبر فيه: «منا أمير و منكم أمير». الجذيل: تصغير الجذل، بالكسر، و هو فى الأصل عود ينصب للجربى تحتك به فتستشفى. و المحكك: الذى كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا. و المرجب: المدعوم بالرجبه، و هى خشبه ذات شعبتين؛ قال الزمخشري فى تفسيره: «إنى ذو رأى يشفى بالاستضاءه به كثيرا فى مثل هذه الحادته، و أنا فى كثره التجارب و العلم بموارد الأحوال فيها و فى أمثالها و مصادرها كالتخله الكثيره الحمل».

٥-٥) قولهم: ما له صامت و لا ناطق. فالناطق: الحيوان و الصامت: ما سواه.

فكتب إليه عمرو أما بعد فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين فأما ما ظهر لي من مال فأنا قدمنا بلادا رخيصه الأسعار كثيره الغزو فجعنا ما أصابنا في الفضول التي اتصل بأمر المؤمنين نبؤها و والله لو كانت خيانتك حلالا ما خنتك و قد ائتمنتني فإن لنا أحسابا إذا رجعنا إليها أغتتنا عن خيانتك و ذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني فإذا كان ذاك فوالله ما دقت لك يا أمير المؤمنين بابا و لا فتحت لك قفلا فكتب إليه عمر أما بعد فإنني لست من تسطيرك الكتاب و تشقيقك الكلام في شيء و لكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال و لن تعدموا عذرا و إنما تأكلون النار و تتعجلون العار و قد وجهت إليك محمد بن مسلمه فسلم إليه شطر مالك.

فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاما و دعاه فلم يأكل و قال هذه تقدمه الشر و لو جئتنى بطعام الضيف لأكلت فنجح عنى طعامك و أحضر لي مالك فأحضره فأخذ شطره فلما رأى عمرو كثره ما أخذ منه قال لعن الله زمانا صرت فيه عاملا لعمر و الله لقد رأيت عمر و أباه على كل واحد منهما عباءه قطوانيه (١) لا تجاوز مابض (٢) ركبتيه و على عنقه حزمه حطب و العاص بن وائل في مزررات الديباج فقال محمد إيهما عنك يا عمرو فعمر و الله خير منك و أمّا أبوك و أبوه فإنهما في النار و لو لا الإسلام لألفيت معتلقا شاه يسرك غزرها و يسوؤك بكوؤها (٣) قال صدقت فاكنتم على قال أفعل قال الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا (٤) لأبي موسى الأشعري على البحرين

ص: ١٧٥

-
- ١-١) قطوانيه: منسوبه إلى قطوان، موضع بالكوفه، تنسب إليه الأكسيه.
 - ٢-٢) المأبض: باطن الركبه.
 - ٣-٣) يقال: بكأت الناقه بكوء؛ إذا قل لبنها.
 - ٤-٤) الخبر في الكامل ١٥٣، ١٥٢: ١.

فكتب إليه عمر بالقدوم عليه هو و عماله و أن يستخلفوا جميعا فلما قدمنا المدينة أتيت يرفاً حاجب عمر فقلت يا يرفاً مسترشد و ابن سبيل أى الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأوماً إلى بالخشونه فاتخذت خفين مطارقين (١) و لبست جبه صوف و لثت عمامتى على رأسى ثم دخلنا على عمر فصفنا بين يديه فصعد بصره فينا و صوب فلم تأخذ عينه أحدا غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثى قال و ما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع به قلت أتقوت منه شيئا و أعود بباقيه على أقارب لى فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين قال لا بأس ارجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعى من الصف فصعد فينا و صوب فلم تقع عينه إلا على فدعانى فقال كم سنك قلت خمس و أربعون فقال الآن حيث استحكمت ثم دعا بالطعام و أصحابى حديث عهدهم بلىن العيش و قد تجوعت له فأتى بخبز يابس و أكسار (٢) بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك و جعلت آكل فأجيد و أنا أنظر إليه و هو يلحظنى من بينهم ثم سبقت منى كلمه تمنيت لها أنى سخت فى الأرض فقلت يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى طعام ألىن من هذا فزجرنى ثم قال كيف قلت فقلت يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين فيخبز قبل إرادتك إياه بيوم و يطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لنا و باللحم غريضا فسكن من غربه و قال أهاهنا غرت (٣) قلت نعم فقال يا ربيع إنا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق (٤) و سبائك (٥) و صناب (٦) و لكنى رأيت الله نعى على قوم شهواتهم فقال أذَهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ

ص: ١٧٦

-
- ١-١) لبس خفين مطارقين، أى مطبقين، واحدا فوق الآخر.
 - ٢-٢) أكسار الإبل: أعضاؤها، واحدا كسر؛ بالفتح و الكسر.
 - ٣-٣) غرت: ذهبت، و فى الأصول: «غرب» تحريف.
 - ٤-٤) الصلائق: ما عمل بالنار طبخا و شيا.
 - ٥-٥) السبائك: ما سبك من الدقيق و نخل فأخذ خالصه؛ يعنى الحوارى؛ و كانوا يسمون الرقاق السبائك.
 - ٦-٦) الصناب: صباغ يؤتدم به.

١٤- أسلم عمر بعيد جماعه من الناس و كان سبب إسلامه أن أخته و بعلها أسلما سراً من عمر فدخل إليهما خباب بن الارت يعلمهما الدين خفيته فوشى بهم و أش إلى عمر فجاء دار أخته فتوارى خباب منه داخل البيت فقال عمر ما هذيه الهينمه عندكم قالت أخته ما عدا حديثاً تحادثناه بيننا قال أراكما قد صبوئتما قال ختنه أ رأيت إن كان هو الحق فوثب عليه عمر فوطئه و طناً شديداً فجاءت أخته فدفعته عنه فنفحها بيده فدمى وجهها ثم ندم و رق و جلس واجماً فخرج إليه خباب فقال أبشرو يا عمر فإنى أرجو أن تكون دعوه رسول الله لك الليله فإنه لم يزل يدعو منذ الليله اللهم أعز الأسيلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام فقال فانطلق عمر متقلداً سيفه حتى أتى إلى الدار التى فيها رسول الله ص يومئذ و هى الدار التى فى أصل الصفا و على الباب حمزه و طلحه و ناس من المسلمين فوجل القوم من عمر إلا حمزه فإنه قال قد جاءنا عمر فإن يرد الله به خيراً يهديه و إن يرد غير ذلك كان قتله علينا هيناً و النبى ص داخل الدار يوحي إليه فسمع كلامهم فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه و حمائل سيفه و قال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي و النكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة اللهم هدا عمر اللهم أعز الأسيلام بعمر فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله

مر يوماً عمر فى بعض شوارع المدينه فناداه إنسان ما أراك إلا- تستعمل عمالك و تعهد إليهم العهود و ترى أن ذلك قد أجزاءك كلا و الله إنك المأخوذ بهم إن لم تتعهدهم

ص: ١٧٧

قال ما ذاك قال عياض بن غنم يلبس اللين و يأكل الطيب و يفعل كذا و كذا قال أ ساع (١) قال بل مؤد ما عليه فقال لمحمد بن مسلمة الحق بعياض بن غنم فأنتى به كما تجده فمضى محمد بن مسلمة حتى أتى باب عياض و هو أمير على حمص و إذا عليه بواب فقال له قل لعياض على بابك رجل يريد أن يلقاك قال ما تقول قال قل له ما أقول لك فقام كالمعجب فأخبره فعرف عياض أنه أمر حدث فخرج فإذا محمد بن مسلمة فأدخله فرأى على عياض قميصا رقيقا و رداء لنا فقال إن أمير المؤمنين أمرنى ألا أفارقك حتى آتية بك كما أجذك فأقدمه على عمر و أخبره أنه وجد في عيش ناعم فأمر له بعصا و كساء و قال اذهب بهذه الغنم فأحسن رعيها فقال الموت أهون من ذلك فقال كذبت و لقد كان ترك ما كنت عليه أهون عليك من ذلك فساق الغنم بعصاه و الكساء فى عنقه فلما بعد رده و قال أ رأيت إن رددتك إلى عملك أ تصنع خيرا قال نعم و الله يا أمير المؤمنين لا يبلغك منى بعدها ما تكره فرده إلى عمله فلم يبلغه عنه بعدها ما ينقمه عليه. كان الناس بعد وفاه رسول الله ص يأتون الشجره التى كانت يبعه الرضوان تحتها فيصلون عندها فقال عمر أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد ثم أمر بها فقطعت. لما مات رسول الله ص و شاع بين الناس موته طاف عمر على الناس قائلا إنه لم يمت و لكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه و ليرجعن فليقطعن أيدي رجال و أرجلهم يزعمون أنه مات فجعل لا يمر بأحد يقول إنه مات إلا و يخطه و يتوعده حتى جاء أبو بكر فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات

ص: ١٧٨

(١-١) الساعى هنا:الواشى.

و من كان يعبد ربَّ محمد فإنه حتى لم يمّت ثم تلا- قوله تعالى أ فإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أُغْثَابِكُمْ (١) قالوا فو الله لكان الناس ما سمعوا هذه الآية حتى تلاها أبو بكر و قال عمر لما سمعته يتلوها هويت إلى الأرض و علمت أن رسول الله قد مات.

لما قتل خالد مالك بن نويرة و نكح امرأته كان في عسكره أبو قتاده الأنصاري فركب فرسه و التحق بأبي بكر و حلف ألا يسير في جيش تحت لواء خالد أبدا فقص على أبي بكر القصة فقال أبو بكر لقد فتن الغنائم العرب و ترك خالد ما أمر به فقال عمر إن عليك أن تقيده بمالك فسكت أبو بكر و قدم خالد فدخل المسجد و عليه ثياب قد صدئت من الحديد و في عمامته ثلاثه أسهم فلما رآه عمر قال أ رياء يا عدو الله عدوت على رجل من المسلمين فقتلته و نكحت امرأته أما و الله إن أمكنني الله منك لأرجمنك ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها و خالد ساكت لا يرد عليه ظنا أن ذلك عن أمر أبي بكر و رأيه فلما دخل إلى أبي بكر و حدثه صدقه فيما حكاه و قبل عذره فكان عمر يحرض أبا بكر على خالد و يشير عليه أن يقتص منه بدم مالك فقال أبو بكر إيها يا عمر ما هو بأول من أخطأ فارفع لسانك عنه ثم ودى مالكا من بيت مال المسلمين .

لما صالح خالد أهل اليمامة و كتب بينه و بينهم كتاب الصلح و تزوج ابنه مجاعه بن مراره الحنفي و صل إليه كتاب أبي بكر لعمرى يا ابن أم خالد إنك لفارغ حتى تزوج النساء و حول حجرتك دماء المسلمين لم تجف بعد في كلام أغلظ له فيه فقال خالد هذا الكتاب ليس من عمل أبي بكر هذا عمل الأيسر يعني عمر

ص: ١٧٩

(١-١) سورة آل عمران ١٤٤.

عزل عمر خالد عن إماره حمص فى سنه سبع عشره و أقامه للناس و عقله بعمامته و نزع قلنسوته عن رأسه و قال أعلمنى من أين لك هذا المال و ذلك أنه أجاز الأشعث بن قيس بعشره آلاف درهم فقال من الأنفال و السهمان فقال لا و الله لا تعمل لى عملا بعد اليوم و شاطره ماله و كتب إلى الأمصار بعزله و قال إن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه و أحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع.

لما أسر الهرمزان حمل إلى عمر من تستر إلى المدينه و معه رجال من المسلمين منهم الأحنف بن قيس و أنس بن مالك فأدخلوه المدينه فى هيئته و تاجه و كسوته فوجدوا عمر نائما فى جانب المسجد فجلسوا عنده ينتظرون انتباهه فقال الهرمزان أين عمر قالوا ها هو ذا قال أين حرسه قالوا لا حاجب له و لا حارس قال فينبغى أن يكون هذا نبيا قالوا إنه يعمل بعمل الأنبياء و استيقظ عمر فقال الهرمزان فقالوا نعم قال لا أكلمه أو لا يبقى عليه من حليته شىء فرموا ما عليه و ألبسوه ثوبا صفيقا فلما كلمه عمر أمر أبا طلحه أن ينتضى سيفه و يقوم على رأسه ففعل ثم قال له ما عذرک فى نقض الصلح و نكث العهد و قد كان الهرمزان صالح أولا ثم نقض و غدر فقال أخبرك قال قل قال و أنا شديد العطش فاسقنى ثم أخبرك فأحضر له ماء فلما تناوله جعلت يده ترعد قال ما شأنك قال أخاف أن أمد عنقى و أنا أشرب فيقتلنى سيفك قال لا بأس عليك حتى تشرب فألقى الإناء عن يده فقال ما بالك أعيديا عليه الماء و لا تجمعوا عليه بين القتل و العطش قال إنك قد أمتنتى قال كذبت قال لم أكذب قال أنس صدق يا أمير المؤمنين قال ويحك يا أنس أنا أو من قاتل مجزأه بن ثور و البراء بن مالك و الله لتأتينى بالمخرج أو لأعاقبك قال أنت يا أمير المؤمنين قلت لا بأس عليك حتى تشرب و قال له ناس من المسلمين

مثل قول أنس فقال للهزمران وىحك أآءءءنى و الله لأءءلئك إلا أن آسلم آم أوأ إلى أبى طلحه فقال الهزمران أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن مؤمدا رسول الله فأمنه و أنزله المءىنه .

سأل عمر عمرو بن معءىكرب عن السلاح فقال له ما آقول فى الرمش قال أءوك و ربما آانك قال فالنبى قال رسل المنىآ آءطى و آصىب قال فالءرع قال مشغله للفارس آعبه للراجل و إنها مع ذلك لآصن آصىن قال فالآرس قال هو المشن و علىه آءور الءوائر قال فالسىف قال هناك قارعت أمك الهبل قال بل أمك قال و الحمى أضرءنى لك (١) .

و أول من ضرب عمر بالءره أم فروه بنت أبى قحافه مات أبو بكر فناح النساء علىه و فىهن آخته أم فروه فناهن عمر مرارا و هن يعاوءن فأآرء أم فروه من بىهن و علاها بالءره فهربن و آفرقن .

كان يقال ءره عمر أهىب من سىف الآءاء

٨٥

١٤- وَ فى الصّآىء أن نساءه كنن عنء رسول الله ص قءء كآثر لآطهن فآاء عمرفه ربن هىبه له فقال لهن آا عىءآآ أنفسهن آ آهنبنى و لا آهنن رسول الله قلن نعم أنت أآظ و أفظ

و كان عمر يفتى كآىرا بالآكم آم ىنقضه و يفتى بضءه و آلافه قضى فى الآء مع الإآوه قضىآ كآىره مؤآلفه آم آاف من الآكم فى هءه المسأله فقال من أراء أن ىآقآم آراآىم آهنم فىلقل فى الآء برأىه .

ص: ١٨١

١- ١) الحمى أضرءنى لك؛ مثل ىضرب فى الءل عنء الآاءه آنزل؛ و ورد المآل مؤرفا فى الأصول، و آآصىب من المىءانى ١:٢٠٥، و عىون الآآبار ١:١٣٠، و العقء ١:٢١٠ .

و قال مره لا يبلغنى أن امرأه تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا ارتجعت ذلك منها فقالت له امرأه ما جعل الله لك ذلك إنه تعالى قال وَ آتَيْتُمْ إِخِدَانًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أ تَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثماً مُبِيناً (١) فقال كل الناس أفته من عمر حتى ربات الحجال ألا تعجبون من إمام أخطأ و امرأه أصابت فاضلت إمامكم فضلته.

و مر يوماً بشاب من فتیان الأنصار و هو ظمان فاستسقاها فجدح (٢) له ماء بعسل فلم يشربه و قال إن الله تعالى يقول أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا فقال له الفتى يا أمير المؤمنين إنها ليست لك و لا لأحد من هذه القبيله اقرأ ما قبلها وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا (٣) فقال عمر كل الناس أفته من عمر .

و قيل إن عمر كان يعس بالليل فسمع صوت رجل و امرأه في بيت فارتاب فتسور الحائط فوجد امرأه و رجلا و عندهما زق خمر فقال يا عدو الله أ كنت ترى أن الله يتركك و أنت على معصيته قال يا أمير المؤمنين إن كنت أخطأت في واحده فقد أخطأت في ثلاث قال الله تعالى وَ لا تَجَسَّسُوا (٤) و قد تجسس و قال وَ اتُّوا النَّبِيُّوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (٥) و قد تسورت و قال فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا (٦) و ما سلمت.

و قال متعتان كانتا على عهد رسول الله و أنا محرهما و معاقب عليهما متعه النساء و متعه الحجج و هذا الكلام و إن كان ظاهره منكراً فله عندنا مخرج و تأويل و قد ذكره أصحابنا الفقهاء في كتبهم.

ص: ١٨٢

١-١ (١) سورة النساء ٢٠.

٢-٢ (٢) جدح: خلط.

٣-٣ (٣) سورة الأحقاف ٢٠.

٤-٤ (٤) سورة الحجرات ١٢.

٥-٥ (٥) سورة البقرة ١٨٩.

٦-٦ (٦) سورة النور ٦١.

و كان فى أخلاق عمر و ألفاظه جفاء و عنجهيه ظاهره يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد و يتوهم من تحكى له أنه قصد بها ظاهرا ما لم يقصده فمنها الكلمه التى قالها فى مرض رسول الله ص و معاذ الله أن يقصد بها ظاهرها و لكنه أرسلها على مقتضى خشونه غريزته و لم يتحفظ منها و كان الأ-حسن أن يقول مغمور أو مغلوب بالمرض و حاشاه أن يعنى بها غير ذلك.

و لجفاه الأعراب من هذا الفن كثير سمع سليمان بن عبد الملك أعرابيا يقول فى سنه قحط رب العباد ما لنا و ما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا القطر لا أبا لكا.

فقال سليمان أشهد أنه لا أب له و لا صاحبه و لا ولد فأخرجه أحسن مخرج (١).

و على نحو هذا يحتمل كلامه فى صلح الحديبيه لما قال للنبي ص أ لم تقل لنا ستدخلونها فى ألفاظ نكره حكايتها حتى شكاه النبي ص إلى أبى بكر و حتى قال له أبو بكر الزم بغرزه (٢) فوالله إنه لرسول الله.

و عمر هو الذى أغلظ على جبله بن الأيهم حتى اضطره إلى مفارقه دار الهجره بل مفارقه دار الإسلام كلها و عاد مرتدا داخلا فى دين النصرانيه لأجل لطمه لطمها و قال جبله بعد ارتداده متندما على ما فعل تنصرت الأشراف من أجل لطمه

ص: ١٨٣

١- ١) الخبر فى الكامل ٧: ١٤٥- بشرح المرصفي.

٢- ٢) الغرز فى الأصل: ركاب الرحل، و فى الكلام استعاره، و المراد هنا: اتبع قوله. و فى اللسان و النهايه: «استمسك بغرزه»، و روايه ابن هشام: «الزم غرزه».

حَتَّى إِذَا مَضَىٰ لِسَيْبِهِ جَعَلَهَا فِي [سِتِّهِ]

جَمَاعِهِ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لَلَّهِ وَ لِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُفْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُؤُوا وَ طَرَبْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِعْنِهِ وَ مَالَ الْأَخْرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هُنِّ وَ هَنْ .

اللام فى يا لله مفتوحه و اللام فى و للشورى مكسوره لأن الأولى للمدعو و الثانيه للمدعو إليه قال يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يحدث لى بعد النهى طربا (١).

اللام فى للرجال مفتوحه و فى ليوم مكسوره و أسف الرجل إذا دخل فى الأمر الدنىء أصله من أسف الطائر إذا دنا من الأرض فى طيرانه و الضغن الحقد.

و قوله مع هن و هن أى مع أمور يكنى عنها و لا- يصرح بذكرها و أكثر ما يستعمل ذلك فى الشر قال (٢) على هنوات شرها متتابع.

يقول ع إن عمر لما طعن جعل الخلافه فى سته هوع أحدهم ثم تعجب من ذلك فقال متى اعترض الشك فى مع أبى بكر حتى أقرن بسعد بن أبى وقاص و عبد الرحمن بن عوف و أمثالهما لكنى طلبت الأمر و هو موسوم بالأصاغر منهم كما طلبته أولا و هو موسوم بأكابرهم أى هو حتى فلا أستتكف من طلبه إن كان المنازع فيه جليل القدر أو صغير المنزله.

و صغا الرجل بمعنى مال الصغو الميل بالفتح و الكسر

ص: ١٨٤

١- ١) لعبد الله بن مسلم بن جندب فى الكامل ٣:٢٧٠ من غير نسبه، و هو أيضا من أبيات له رواها ثعلب فى المجالس ٤٧٤، و هى فى معجم البلدان ١:١٣٦.

٢- ٢) البيت فى اللسان (٢٠:٢٤٣) من غير نسبه، و أوله: *أرى ابن نزار قد جفانى و ملنى*.

١٤، ١- أَنْ عُمَرَ لَمَّا طَعَنَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ وَ عَلِمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ اسْتَشَارَ فِيمَنْ يُؤَلِّيه الْأَمْرَ بَعْدَهُ فَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَا هَا اللَّهُ إِذَا لَا يَلِيهَا رَجُلَانِ مِنْ وُلْدِ الْأَخْطَابِ حَسْبُ عُمَرَ مَا حُمِلَ حَسْبُ عُمَرَ مَا اخْتَفَبَ لَا هَا اللَّهُ لَا أَتَحْمَلُهَا حَيًّا وَ مَيِّتًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ وَ هُوَ رَاضٍ عَنْ هَيْدِهِ السُّتَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ عَلِيٍّ وَ عُثْمَانَ وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ سَعِيدٍ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَهَا سُورَى بَيْنَهُمْ لِيُخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَسَدِي تَخَلَّفَ فَقَدْ اسْتَخَلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَ إِنْ أَتَزَكَّ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ص ثُمَّ قَالَ ادْعُوهُمْ لِي فَدَعَوْهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَ هُوَ مُلْقَى عَلَى فِرَاشِهِ يَجُودُ بِنَفْسِهِ.

فَنظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَكُلُّكُمْ يَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ بَعْدِي فَوَجِمُوا فَقَالَ لَهُمْ ثَانِيَةً فَأَحْبَبَهُ الزُّبَيْرُ وَ قَالَ وَ مَا الَّذِي يُبِعِدُنَا مِنْهَا وَلِيَّتَهَا أَنْتَ فَقُمْتَ بِهَا وَ لَسْنَا دُونَكَ فِي قُرَيْشٍ وَ لَا فِي السَّابِقَةِ وَ لَا فِي الْقَرَابَةِ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ وَ اللَّهُ لَوْ لَا عِلْمُهُ أَنَّ عُمَرَ يَمُوتُ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ لَمْ يُقَدِّمَ عَلَى أَنْ يَفُوهَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ بِكَلِمَةٍ وَ لَا أَنْ يَنْبَسَ مِنْهُ بِلَفْظِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ قَالَ قُلْ فَإِنَّا لَوِ اسْتِغْفَيْنَاكَ لَمْ تُغْفِنَا فَقَالَ أَمَا أَنْتَ يَا زُبَيْرُ فَوَعَى لَقَسَ (١) مُؤْمِنُ الرِّضَا كَافِرُ الْغَضَبِ يَوْمًا إِنْ سَانَ وَ يَوْمًا شَيْطَانٌ وَ لَعَلَّهَا لَوْ أَفْضَتْ إِلَيْكَ ظَلَّتْ يَوْمَكَ تُلَاطِمٌ بِالْبَطْحَاءِ عَلَى مُيِّدٍ مِنْ شَعِيرٍ أَفْرَأَيْتَ إِنْ أَفْضَتْ إِلَيْكَ فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَكُونُ لِلنَّاسِ يَوْمَ تَكُونُ شَيْطَانًا وَ مَنْ يَكُونُ يَوْمَ تَغْضَبُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَ لَكَ أَمْرَ هَيْدِهِ الْأُمَّةِ وَ أَنْتَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى طَلْحَةَ وَ كَانَ لَهُ مُبْغِضًا مُنْذُ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَ وَفَاتِهِ مَا قَالَ فِي عُمَرَ فَقَالَ لَهُ أَقُولُ أَمْ أَسِيكَتُ قَالَ قُلْ فَإِنَّكَ لَا تَقُولُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا قَالَ أَمَا إِنِّي أَعْرِفُكَ مُنْذُ أُصِيبَتْ إِصْبَعُكَ يَوْمَ أَحَدٍ وَ الْبَأْوُ (٢) الَّذِي حَدَّثَ لَكَ وَ لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص

١- (١) الودع: الضجر المتبرم، و اللقس: من لا يستقيم على وجهه.

٢- (٢) البأو: الكبر و الفخر. و نقل صاحب اللسان عن الفقهاء: «في طلحه بأواء».

سَاحِطًا عَلَيْكَ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتَهَا يَوْمَ أَنْزَلْتَ آيَةَ الْحِجَابِ .

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَلِمَةُ الْمَذْكُورَةُ أَنَّ طَلَحَهُ لَمَّا أَنْزَلْتَ آيَةَ الْحِجَابِ قَالَ بِمَحْضَرٍ مِمَّنْ نَقَلَ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِجَابُهُنَّ الْيَوْمَ وَ سَيَمُوتُ غَدًا فَتَنَكُّهُنَّ قَالَ أَبُو عُثْمَانَ أَيْضًا لَوْ قَالَ لِعُمَرَ قَائِلُ أَنْتَ قُلْتَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَاضٍ عَنِ السُّتَةِ فَكَيْفَ تَقُولُ الْآنَ لَطَلَحَهُ إِنَّهُ مَاتَ عَ سَاحِطًا عَلَيْكَ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتَهَا لَكَانَ قَدْ رَمَاهُ بِمَشَاقِصِهِ (١) وَ لَكِنْ مِنَ الَّذِي كَانَ يَجْسُرُ عَلَى عُمَرَ أَنْ يَقُولَ لَهُ مَا دُونَ هَذَا فَكَيْفَ هَذَا.

قَالَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ إِنَّمَا أَنْتَ صَاحِبُ مِقْنَبٍ (٢) مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ تُقَاتِلُ بِهِ وَ صَاحِبُ قَنْصٍ وَ قَوْسٍ وَ أَنَسِهِمْ وَ مَا زُهرَهُ (٣) وَ الْخِلَافَةَ وَ أُمُورَ النَّاسِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ وَ أَمَا أَنْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَلَوْ وُزِنَ نِصْفُ إِيْمَانِ الْمُسْلِمِينَ بِإِيْمَانِكَ لَرَجَحَ إِيْمَانُكَ بِهِ وَ لَكِنْ لَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ لِمَنْ فِيهِ ضَعْفٌ كَضَعْفِكَ وَ مَا زُهرَهُ وَ هَذَا الْأَمْرُ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيِّ ع فَقَالَ لِلَّهِ أَنْتَ لَوْ لَا دُعَابُهُ فِيكَ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ وُلِّيْتَهُمْ لَتَحْمِلْتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ وَ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ هَيْهَاتُ إِلَيْكَ كَأَنِّي بِكَ قَدْ قَلَّدْتُكَ قُرَيْشُ هَذَا الْأَمْرَ لِجُبَّهَا إِيَّاكَ فَحَمَلَتْ بَيْنِي أُمَّيَّةَ وَ بَيْنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَ آثَرْتَهُمْ بِالْفَيْءِ فَسَارَتْ إِلَيْكَ عِصَابُهُ مِنْ ذُؤَبَانَ الْعَرَبِ فَذَبْحُوكَ عَلَى فِرَاشِكَ ذُبْحًا وَ اللَّهُ لَئِنْ فَعَلُوا لَتَفْعَلَنَّ وَ لَئِنْ فَعَلْتَ لَيَفْعَلَنَّ ثُمَّ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهِ فَقَالَ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَادْكُرْ قَوْلِي فَإِنَّهُ كَأَنَّ .

ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ كُلَّهُ شَيْخُنَا أَبُو عُثْمَانَ فِي كِتَابِ السُّفِيَانِيَّةِ (٤) وَ ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ غَيْرُهُ فِي بَابِ فِرَاسِهِ عُمَرَ وَ ذَكَرَ أَبُو عُثْمَانَ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَقِيبَ رِوَايَةِ هَذَا الْخَبَرِ قَالَ وَ رَوَى

ص: ١٨٦

١- (١) المشاقص: جمع مشقص؛ وهو نصل السهم إذا كان طويلا.

٢- (٢) المقنب: جماعة الخيل.

٣- (٣) زهره: قبيله سعد بن أبي وقاص.

٤- (٤) في المسعودي ٣: ٢٥٣ أن الجاحظ ألف كتابا في نصره معاوية بن أبي سفيان.

مُعَمَّرُ بْنُ سَيْلِمَانَ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَيِّدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِأَهْلِ الشُّوْرَى إِنَّكُمْ إِنْ تَعَاوَيْتُمْ وَتَوَارَزْتُمْ وَتَنَاصَيْتُمْ أَكَلْتُمُوهَا وَأَوْلَادُكُمْ وَإِنْ تَحَاسَدْتُمْ وَتَقَاعَدْتُمْ وَتَدَابَرْتُمْ وَتَبَاغَضْتُمْ غَلَبَكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ مُعَاوِيَةُ حِينَئِذٍ أَمِيرَ الشَّامِ .

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْكَلَامِ إِلَى تَمِيمِ قِصَّةِ الشُّوْرَى ثُمَّ قَالَ ادْعُوا إِلَيَّ أَيُّهَا الْإِنصَارِيُّ فَدَعَاؤُهُ لَهُ فَقَالَ انظُرْ يَا أَبَا طَلْحَةَ إِذَا عِيدْتُمْ مِنْ حُفْرَتِي فَكُنْ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ الْإِنصَارِ حَامِلِي سُيُوفِكُمْ فَخُذْ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ بِإِمصَاءِ الْأَمْرِ وَتَعْجِيلِهِ وَاجْمَعُهُمْ فِي بَيْتٍ وَقِفْ بِأَصْبَحَابِكَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ لِيَتَشَاوَرُوا وَيَخْتَارُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ فَإِنْ اتَّفَقَ خَمْسَةٌ وَأَبِي وَاحِدًا فَاضْرِبْ عُنُقَهُ وَإِنْ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ وَأَبِي اثْنَانِ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمَا وَإِنْ اتَّفَقَ ثَلَاثَةٌ وَخَالَفَ ثَلَاثَةٌ فَانظُرِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَارْجِعْ إِلَى مَا قَدْ اتَّفَقْتَ عَلَيْهِ فَإِنْ أَصِيرْتَ الثَّلَاثَةُ الْمَآخِرَى عَلَى خِلَافِهَا فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمَا وَإِنْ مَضَتْ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ وَلَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى أَمْرِ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَ السَّبْتِ وَدَعِ الْمُسْلِمِينَ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ .

فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ جَمَعَهُمْ أَبُو طَلْحَةَ وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ بِالسَّيْفِ فِي خَمْسِينَ مِنَ الْإِنصَارِ حَامِلِي سُيُوفِهِمْ ثُمَّ تَكَلَّمَ الْقَوْمُ وَتَنَازَعُوا فَأَوْلُ مَا عَمِلَ طَلْحَةُ أَنَّهُ أَشْهَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ وَهَبَ حَقَّهُ مِنَ الشُّوْرَى لِعُثْمَانَ وَذَلِكَ لِعِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعِيدُونَ بِهِ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَ أَنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَخْلُصُ لَهُ وَ هَذَا مِنْ مَوْجُودَاتِ فَارَادَ تَقْوِيَةَ أَمْرِ عُثْمَانَ وَ إِضْعَافَ جَانِبِ عَلِيٍّ عِ بِيهِ أَمْرٌ لَا انْتِفَاعَ لَهُ بِهِ وَ لَا تَمَكَّنَ لَهُ مِنْهُ .

فَقَالَ الزُّبَيْرُ فِي مُعَارَضَتِهِ وَ أَنَا أَشْهَدُكُمْ عَلَى نَفْسِي أَنِّي قَدْ وَهَبْتُ حَقِّي مِنَ الشُّوْرَى لِعَلِيٍّ وَ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا رَأَى عَلِيًّا قَدْ ضَعِيفَ وَ انخزلَ بِهِ طَلْحَةَ حَقَّهُ لِعُثْمَانَ دَخَلَتْهُ حَمِيَّةُ النَّسَبِ لِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ هِيَ صَدِيقَتُهُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ أَبُو طَالِبٍ خَالُهُ وَ إِنَّمَا مَالَ طَلْحَةَ إِلَى عُثْمَانَ لِأَنِحْرَافِهِ عَنْ عَلِيٍّ عِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ

تَيْمِيٌّ وَابْنُ عَمِّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَقَدْ كَانَ حَصَلَ فِي نُفُوسِ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ حَقٌّ شَدِيدٌ لِأَجْلِ الْخِلَافَةِ وَكَذَلِكَ صَارَ فِي صُدُورِ تَيْمٍ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَهَذَا أَمْرٌ مَوْكُوزٌ فِي طَبِيعَةِ الْبَشَرِ وَخُصُوصًا طِينَةِ الْعَرَبِ وَطِبَاعِهَا وَالتَّجْرِبَةُ إِلَى الْآنَ تَحَقَّقَتْ ذَلِكَ فَبَقِيَ مِنَ السُّتَةِ أَرْبَعَةٌ.

فَقَالَ سَيِّدُ بَنِي أَبِي وَقَّاصٍ وَأَنَا قَدْ وَهَبْتُ حَقِّي مِنَ الشُّورَى لِابْنِ عَمِّي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَذَلِكَ لِأَنَّهِمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَلِعَلِمِ سَيِّدِ أَنْ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ لَهُ فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الثَّلَاثَةُ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِعَلِيِّ وَعُثْمَانَ أَنْ يُكْمِلَا يُخْرِجُ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَيَكُونُ إِلَيْهِ الْإِخْتِيَارُ فِي الْإِثْنَيْنِ الْبَاقَيْنِ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ مِنْهُمَا أَحَدٌ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أُشْهِدُكُمْ أَنَّي قَدْ أَخْرَجْتُ نَفْسِي مِنَ الْخِلَافَةِ عَلَى أَنْ أُخْتَارَ أَحَدُهُمَا فَأَمْسَكَ فَبَدَأَ بِعَلِيِّ عَ وَقَالَ لَهُ أَبَايُعُكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَسِيرَةِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ بَلْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاجْتِهَادِ رَأْيِي فَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى عُثْمَانَ فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَالَ نَعَمْ فَعَادَ إِلَى عَلِيِّ عَ فَأَعَادَ قَوْلَهُ فَعَلَّ ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثَلَاثًا فَلَمَّا رَأَى أَنَّ عَلِيًّا غَيْرُ رَاجِعٍ عَمَّا قَالَهُ وَأَنَّ عُثْمَانَ يُنْعِمُ (١) لَهُ بِالْإِجَابَةِ (٢) صَفَّقَ عَلَى يَدِ عُثْمَانَ وَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيُقَالُ إِنَّ عَلِيًّا عَ قَالَ لَهُ وَاللَّهِ مَا فَعَلْتَهَا إِلَّا لِأَنَّكَ رَجَوْتَ مِنْهُ مَا رَجَا صَاحِبُكُمْ مِنْ صَاحِبِهِ دَقَّ اللَّهُ بَيْنَكُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٣)

قِيلَ فَفَسَدَ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَلَمْ يُكَلِّمَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

ص: ١٨٨

١- (١) أَنْعَمَ لَهُ؛ إِذَا قَالَ مَجِيئًا «نَعَمْ».

٢- (٢) يُقَالُ: صَفَّقَ يَدَهُ بِالْبَيْعَةِ وَ عَلَى يَدِهِ صَفَقًا، أَيْ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِهِ.

٣- (٣) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مَنْشَمٌ، بِكسْرِ الشَّيْنِ: اسْمُ امْرَأَةٍ كَانَتْ بِمَكَّةَ عَطَّارَةً، وَكَانَتْ خِزَاعَةً وَجَرَهُمْ إِذَا أَرَادُوا الْقِتَالَ تَطْيَبُوا مِنْ طَيِّبِهَا، وَكَانُوا إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ كَثُرَتِ الْقَتْلَى فِيهَا بَيْنَهُمْ، فَكَانَ يُقَالُ: أَشَامَ مِنْ عِطْرِ مَنْشَمٍ؛ فَصَارَ مَثَلًا. صحاح الجوهري: ٢٠٤١.

ثم نرجع إلى تفسير ألفاظ الفصل أما قوله ع فصغا رجل منهم لضغنه فإنه يعنى طلحه و قال القطب الراوندى يعنى سعد بن أبى وقاص لأن عليا ع قتل أباه يوم بدر و هذا خطأ فإن أباه أبو وقاص و اسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب مات فى الجاهليه حتف أنفه.

و أمّا قوله و مال الآخر لصهره يعنى عبد الرحمن مال إلى عثمان لأن أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط كانت تحته و أم كلثوم هذه هى أخت عثمان من أمه أروى بنت كرز .

٨٧

١٤، ١- و روى القطب الراوندى أن عمر لما قال كونا مع الثلاثة التى عبىد الرحمن فيها قال ابن عباس لعلى ع ذهب الأمر منا الرجل يريد أن يكون الأمر فى عثمان فقال على ع و أنا أعلم ذلك و لكنى أدخل معهم فى الشورى لأن عمر قد أهلى الآن للخلافه و كان قبل ذلك (١) يقول إن رسول الله ص قال إن النبوة و الإمامة لا يجتمعان فى بيت فأننا (٢) أدخل فى ذلك لأظهر للناس مناقضة فعله لروايته .

الذى ذكره (٣) الراوندى غير معروف-و لم ينقل عمر هذا عن رسول الله ص و لكنه قال لعبد الله بن عباس يوما يا عبد الله ما تقول منع قومكم منكم (٤) قال لا- أعلم يا أمير المؤمنين قال اللهم غفرا إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة و الخلافة فتذهبون فى السماء بذخا و شمخا لعلكم تقولون إن أبابكر أراد الإمرة عليكم و هضمكم كلا لكنه حضره أمر لم يكن عنده أحزم ممّا فعل و لو لا رأى أبى بكر

ص: ١٨٩

١- ١) كلمه «ذلك» ساقطه من ب.

٢- ٢) ا: «و أنا».

٣- ٣) ب «رواه».

٤- ٤) كذا فى الأصول، و ربما كانت كلمه «تقول» مقحمه، أو تكون بمعنى الظن. و فى تاريخ الطبرى: «أ تدرى ما منع قومكم منكم».

فَيَّ بعد موته لأعاد أمركم إليكم و لو فعل ما هناكم مع قومكم إنهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره.

فأما الرواية التي جاءت بأن طلحه لم يكن حاضرا يوم الشورى فإن صحت فذو الضغن هو سعد بن أبي وقاص لأن أمه حمته بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس و الضغينه التي عنده على على ع من قبل أخواله الذين قتل صناديدهم و تقلد دماءهم و لم يعرف أن عليا ع قتل أحدا من بنى زهره لينسب الضغن إليه.

و هذه الرواية هي التي اختارها

٨٨

١٤,١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ قال لما طعن عمر (١) قيل له لو استخلفت يا [أمير المؤمنين]

(٢) فقال [من استخلف]

(٣) لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته (٤) و قلت لربي لو سألتني سمعت نبيك يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة (٥) و لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته و قلت لربي إن سألتني (٦) - سمعت نبيك ع يقول إن سألتني شديدا الحُب لله فقال له رجل ول (٧) عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله و الله ما الله أردت بهذا الأمر [ويحك]

(٨) كيف استخلف رجلا - عجز عن طلاق امرأته لا أرب لعمر في خلافكم (٩) ما حمدها فأزعب فيها لأحد من أهل بيتي إن تك خيرا فقد أصبنا منه و إن تك شرا يصرف عنا (١٠) حسب آل عمر أن يحاسب منهم [رجل]

(١١) واحد و يسأل عن أمر أمه محمد .

فخرج الناس من عنده ثم راحوا إليه فقالوا له لو عهدت عهدا قال قد كنت أجمعت بعد مقاتلي [لكم]

(١٢) أن أولي أمركم رجلا هو أحرأكم أن يحملكم على الحق

ص: ١٩٠

١-١) تاريخ الطبري ٤:٢٢٧ و ما بعدها (طبع دار المعارف) مع تصرف و اختصار.

٢-٢) تكمله من تاريخ الطبري.

٢-٣) تكمله من تاريخ الطبري.

٤-٤) الطبري: «أدلك عليه؟ عبد الله بن عمر».

٥-٥) الطبري: «فإن سألتني ربي قلت...».

٦-٦) الطبري: «إنه أمين هذه الأمة».

٧-٧) الطبري: «أموركم».

٨-٢) تكمله من تاريخ الطبرى.

-٩

-١٠

١١-٢) تكمله من تاريخ الطبرى.

١٢-١) تاريخ الطبرى ٤:٢٢٧ و ما بعدها (طبع دار المعارف) مع تصرف و اختصار.

وَ أَشَارَ إِلَى عَلِيٍّ عَ فَرِهَقْتَنِي غَشِيَهُ فَرَأَيْتَ رَجُلًا يَدْخُلُ جَنَّهُ [قَدْ غَرَسَهَا]

(١) فَجَعَلَ يَقْطِفُ كُلَّ غَضَبِهِ وَ يَابَعَهُ فَيَضُمُّهَا إِلَيْهِ وَ يُصَيِّرُهَا تَحْتَهُ فَخِنْتُ أَنْ أُنْحَمَلَهَا حَيًّا وَ مَيِّتًا وَ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ أَمْرِهِ عَلَيْكُمْ بِالرَّهْطِ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ ذَكَرَ خَمْسَةَ عَلِيًّا وَ عُثْمَانَ وَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَ الزُّبَيْرَ وَ سَعْدًا .

قَالَ وَ لَمْ يَذْكُرْ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ طَلْحَةَ وَ لَا كَانَ طَلْحَهُ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ انْهَضُوا إِلَى حُجْرِهِ عَائِشَةَ فَتَشَاوَرُوا فِيهَا وَ وَضَعَ رَأْسَهُ وَ قَدَّمَ نَزْفَةَ الدَّمِّ فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِعَلِيٍّ عَ لَا تَدْخُلْ مَعَهُمْ وَ ارْزُقْ نَفْسَكَ عَنْهُمْ قَالَ إِنِّي أَكْرَهُ الْخِلَافَ قَالَ إِذَنْ تَرَى مَا تَكْرَهُ فَدَخَلُوا الْحُجْرَةَ فَتَنَاجَوْا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَمُتْ بَعْدَ فَصِيمِ هَذَا اللَّعْطِ وَ انْتَبَهَ عُمَرُ وَ سَمِعَ الْأَصْوَاتَ فَقَالَ لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ صِيْهَيْبٌ وَ لَا يَأْتِيَنَّ الْيَوْمَ الرَّابِعُ مِنْ يَوْمِ مَوْتِي إِلَّا وَ عَلَيْكُمْ أَمِيرٌ وَ لِيُحْضِرْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مُشِيرًا وَ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرِ وَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ شَرِيكُكُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِنْ قَدِمَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَأُحْضِرُوهُ أَمْرَكُمْ وَ إِلَّا فَأَرْضُوهُ وَ مَنْ لِي بِرِضَا طَلْحَةَ فَقَالَ سَعْدٌ أَنَا لَكَ بِهِ وَ لَنْ يُخَالِفَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ ذَكَرَ وَصِيَّتَهُ لِأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَ مَا خَصَّ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مِنْ كَوْنِ الْحَقِّ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا وَ أَمْرَهُ بِقَتْلِ مَنْ يُخَالِفُ ثُمَّ خَرَجَ النَّاسُ فَقَالَ عَلِيٌّ عَ لِقَوْمٍ مَعَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِنْ أَطِيعَ فِيكُمْ قَوْمُكُمْ مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ تُؤَمَّرُوا أَبَدًا وَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ عُمَيْدًا بِالْأَمْرِ عَنِّي يَا عَمُّ قَالَ وَ مَا عَلِمَكَ قَالَ قُرْنٌ بِي عُثْمَانَ وَ قَالَ عُمَرُ كُونُوا مَعَ الْأَكْثَرِ فَإِنْ رَضِيَ رَجُلَانِ رَجُلًا وَ رَجُلَانِ رَجُلًا فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَسَعِدٌ لَا يُخَالِفُ ابْنَ عَمِّهِ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَ هُرُّ عُمَيْرَانَ لَا يَخْتَلِفَانِ فَيَوْلِيهَا أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَلَوْ كَانَ الْآخِرَانِ مَعِي لَمْ يُغْنِيَا شَيْئًا فَقَالَ الْعَبَّاسُ لَمْ أَدْفَعَكَ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيَّ

ص: ١٩١

مُسِيئَةً تَأْخِرًا بِمَا أَكْرَهُ أَشْرَتْ عَلَيْكَ عِنْدَ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ فِيمَنْ هُوَ فَأَبَيْتَ وَأَشْرَتْ عَلَيْكَ عِنْدَ وَفَاتِهِ أَنْ تُعَاجِلَ الْبَيْعَةَ (١) فَأَبَيْتَ وَقَدْ أَشْرَتْ عَلَيْكَ حِينَ سَمَاكَ عُمَرُ فِي الشُّورَى الْيَوْمَ أَنْ تَزْفَعَ نَفْسَكَ عَنْهَا وَلَا تَدْخُلَ مَعَهُمْ فِيهَا فَأَبَيْتَ فَاحْفَظْ عَنِّي وَاحِدَةً كَلِمًا عَرَضَ عَلَيْكَ الْقَوْمُ الْأَمْرَ فَقُلْ لَا إِلَّا أَنْ يُؤَلُّوكَ وَاعْلَمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَبْرَحُونَ يَدْفَعُونَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقُومَ لَكَ بِهِ غَيْرُكَ وَأَيْمُ اللَّهِ لَا تَنَالُهُ إِلَّا بِشَرٍّ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ خَيْرٌ فَقَالَ عَ مَا إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَبُولُونَ عُثْمَانَ وَيُحَدِّثَنَّ الْبِدْعَ وَالْأَحْيَادَ وَلَئِنْ بَقِيَ لَأَذْكَرَنَّكَ وَإِنْ قُتِلَ أَوْ مَاتَ لَيَتَّيَدَأُولُنَّهَا بَنُو أُمَّتِهِ بَيْنَهُمْ وَإِنْ كُنْتُ حَيًّا لَتَجِدُنِي حَيْثُ تَكْرَهُونَ ثُمَّ تَمَثَّلَ حَلْفَتُ بَرِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً .

قَالَ ثُمَّ التفت فرأى أبا طلحة الأنصاري فكره مكانه فقال أبو طلحة لا ترع أبا حسن فلما مات عمر و دفن و حلوا بأنفسهم للمشاورة في الأمر و قام أبو طلحة يحجبهم بباب البيت جاء عمرو بن العاص و المغيره بن شعبه فجلسا بالباب فحص بهما سيد و أقامهما و قال إنما تريدان أن تقولوا حضرنا و كنا في أصحاب الشورى .

فَتَنَافَسَ الْقَوْمُ فِي الْأَمْرِ وَ كَثُرَ بَيْنَهُمُ الْكَلَامُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَنَا كُنْتُ لَأَنْ تَدَافَعُوهَا أَخَوْفَ مِنِّي عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوهَا أَمَا وَاللَّذِي ذَهَبَ بِنَفْسِ عُمَرَ لَا أَزِيدُكُمْ عَلَى الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي وَقَفْتُ لَكُمْ فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ .

قَالَ ثُمَّ إِنَّ عَبِيدَ الرَّحْمَنِ قَالَ لِابْنِ عَمِّهِ سَيِّدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ إِنِّي قَدْ كَرِهْتُهَا وَ سَأَخْلَعُ نَفْسِي مِنْهَا لِأَنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَوْضَهُ خَضِرَاءَ كَثِيرَةَ الْعُشْبِ فَدَخَلَ فَحَلَّ مَا رَأَيْتُ

ص: ١٩٢

أَكْرَمَ مِنْهُ فَمَرَّ كَأَنَّهُ سِيَهُمْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا حَتَّى قَطَعَهَا لَمْ يُعْرِجْ وَ دَخَلَ بَعِيرٌ يَتْلُوهُ تَابِعَ أَثَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا ثُمَّ دَخَلَ فَحُلُّ
عَبْقَرِيٍّ يَجْرُ خَطَامُهُ وَ مَضَى قَصِيدَ الْأَوْلَيْنِ ثُمَّ دَخَلَ بَعِيرٌ رَابِعٌ فَوَقَعَ فِي الرُّوضَةِ يَزْبَعُ وَ يَخْضَمُ وَ لَا وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ الرَّابِعَ وَ إِنْ أَحَدًا
لَا يَقُومُ مَقَامَ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ فَيَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ خَلَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يُؤَلِّيَهَا أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ وَ أَنَّ عُثْمَانَ أَحَابَبَ إِلَى ذَلِكَ وَ أَنَّ عَلِيًّا عَسَيْتَ فَلَمَّا
رُوجِعَ رَضِيَ عَلَى مَوْثِقٍ أَعْطَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْ يُؤَثِّرَ الْحَقَّ وَ لَا- يَتَّبِعَ الْهَوَى وَ لَا- يَخْضَمُ ذَا رَحِمٍ وَ لَا- يَأْلُو الْأُمَّةَ نُضِيحًا وَ أَنَّ عَبْدَ
الرَّحْمَنِ رَدَّدَ الْقَوْلَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَ عُثْمَانَ مُتَلَوِّمًا وَ أَنَّهُ خَلَا بِسَعْدِ تَارَةً وَ بِالْمِسْوَرِ بْنِ مَحْرَمَةَ الزُّهْرِيِّ تَارَةً أُخْرَى وَ أَجَالَ فِكْرَهُ وَ أَعْمَلَ
نَظْرَهُ وَ وَقَفَ مَوْقِفَ الْحَائِرِ بَيْنَهُمَا قَالَ قَالَ عَلِيُّ عَسَيْتَ عَبْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ يَا سَعْدُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ أَسْأَلُكَ بِرَحِمِ
أَبْنِي هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ بِرَحِمِ عَمِّي حَمْزَةَ مِنْكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِعُثْمَانَ ظَهِيرًا .

قلت رحم حمزه من سعد هي أن أم حمزه هاله بنت أهيب بن عبد مناف بن زهره و هي أيضا أم المقوم و حجفل و اسمه المغيرة
و الغيداق أبناء عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف هؤلاء الأربعة بنو عبد المطلب من هاله و هاله هذه هي عمه سعد بن أبي
وقاص فحمزه إذن ابن عمه سعد و سعد ابن خال حمزه .

٨٩

١- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا أَتَى الْيَوْمَ الثَّلَاثُ جَمَعَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَ اجْتَمَعَ النَّاسُ كَمَا فَهَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيُّهَا النَّاسُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي
هَيْدَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ إِنْ أَرَدْتَ أَلَّا يَخْتَلِفَ النَّاسُ فَبَايِعْ عَلِيًّا فَقَالَ الْمُقَمِّدَادُ صَدَقَ عَمَّارٌ وَ إِنْ بَايَعْتَ عَلِيًّا سَجَعْنَا وَ
أَطَعْنَا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ إِنْ أَرَدْتَ أَلَّا تَخْتَلِفَ قُرَيْشٌ

ص: ١٩٣

فَبَايَعَ عُمَانَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ صَدَقَ إِنْ بَايَعْتَ عُثْمَانَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا فَشَتِمَ عَمَارُ بْنُ أَبِي سَيْرِحٍ وَقَالَ لَهُ مَتَى كُنْتَ تَنْصَحُ الْإِسْلَامَ (١).

فَتَكَلَّمَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو أُمَيَّةَ وَقَامَ عَمَارٌ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَكُمْ بِبَنِيهِ وَأَعَزَّكُمْ بِدِينِهِ فَإِلَى مَتَى تَصِيرُونَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ لَقَدْ عَدَوْتُ طُورَكَ يَا ابْنَ سَمِيَّةَ وَمَا أَنْتَ وَتَأْمِيرَ قُرَيْشٍ لَأَنْفُسِهَا فَقَالَ سَعْدُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ افْرُغْ مِنْ أَمْرِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْتِنَ النَّاسَ فَحِينَئِذٍ عَرَضَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى عَلِيٍّ عِ الْوَعْلَ بِسَيْرِهِ الشَّيْخِينَ فَقَالَ بَلْ أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي فَبَايَعَ عُثْمَانَ بَعْدَ أَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ عَلِيٌّ ع لَيْسَ هَذَا بِأَوَّلِ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ وَاللَّهُ مَا وَلَّيْتَهُ الْأَمْرَ إِلَّا لِيُرِدَّهُ إِلَيْكَ وَاللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا تَجْعَلَنَّ عَلَيَّ نَفْسِكَ سَبِيلًا يَا عَلِيُّ يَغْنَى أَمْرَ عُمَرَ أَبَا طَلْحَةَ أَنْ يَضْرِبَ عُتْقَ الْمُخَالِفِ فَقَامَ عَلِيٌّ ع فَخَرَجَ وَقَالَ سَيَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ فَقَالَ عَمَارُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتَهُ وَ إِنَّهُ مِنَ الدِّينِ يَقْضُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ فَقَالَ الْمِقْدَادُ تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أَتَى إِلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ بَعِيدَ نَبِيَّهِمْ وَاعْجَبًا لِقُرَيْشٍ لَقَدْ تَرَكْتُ رَجُلًا مَا أَقُولُ وَلَا أَعْلَمُ أَنْ أَحِيدًا أَفْضَى بِالْعَدْلِ وَلَا أَعْلَمُ وَلَا أَتَقَى مِنْهُ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَحَدٌ أَعْوَانًا فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اتَّقِ اللَّهَ يَا مِقْدَادُ فَإِنِّي خَائِفٌ عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ.

وَقَالَ عَلِيٌّ ع إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَى قُرَيْشٍ وَ قُرَيْشٍ تَنْظُرُ فِي صَلَاحِ شَأْنِهَا فَتَقُولُ إِنْ وُلِّيَ الْأَمْرَ بَنُو هَاشِمٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ أَبَدًا وَ مَا كَانَ فِي غَيْرِهِمْ فَهُوَ مُتَدَاوِلٌ فِي بَطُونِ قُرَيْشٍ .

قَالَ وَقَدِمَ طَلْحَةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي بُويعَ فِيهِ لِعُثْمَانَ فَتَلَكَأَ سَاعَهُ ثُمَّ بَايَعَ

وَرَوَى أَبُو جَعْفَرٍ رَوَايَةً أُخْرَى أَطَالَهَا وَذَكَرَ خُطْبَ أَهْلِ الشُّورَى وَ مَا قَالَهُ كُلُّ مَنْهُمْ وَ ذَكَرَ كَلَامًا قَالَهُ عَلِيُّ ع فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ هُوَ الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ مُحَمَّدًا مِّنَّا نَبِيًّا وَ ابْتَعَثَهُ إِلَيْنَا رَسُولًا فَخَنُّنُ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ وَ مَعِيدُنَا الْحَكِيمَ أَمَانًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَ نَجَاهًا لِمَنْ طَلَبَ إِنَّ لَنَا حَقًّا إِنْ نَعَطَهُ تَأْخُذُهُ وَ إِنْ نُمْنَعُهُ نَزَكَبَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَ إِنْ طَالَ الشَّرَى لَوْ عَهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ص عَهْدًا لَأَنْفَذْنَا عَهْدَهُ وَ لَوْ قَالَ لَنَا قَوْلًا لَجَالِدْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ لَنْ يُسِيرَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوِهِ حَقٌّ وَ صِلَمِهِ رَحِمٌ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ اسْمِعُوا كَلَامِي وَ عُوا مَنُطْقِي عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ هَذَا الْجَمْعِ تُتَنَصَّى فِيهِ السُّيُوفُ وَ تُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَكُمْ جَمَاعَةٌ وَ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَ شِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ .

قُلْتُ:

وَ قَدْ ذَكَرَ الْهَرَوِيُّ (١) فِي كِتَابِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْغَرِيِّينَ قَوْلَهُ

وَ إِنْ نُمْنَعُهُ نَزَكَبَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ .

و فسرهُ على وجهين أحدهما: أن من ركب عجز البعير يعانى مشقه و يقاسى جهدا فكأنه قال و إن نمنعه نصبر على المشقه كما يصبر عليها راكب عجز البعير.

و الوجه الثانى أنه أراد نتبع غيرنا كما أن راكب عجز البعير يكون رديفا لمن هو أمامه فكأنه قال و إن نمنعه نتأخر و نتبع غيرنا كما يتأخر راكب البعير.

ص: ١٩٥

(١- ١) هو أبو عبيد أحمد بن محمد الهروى، صنف كتابه فى الجمع بين غريب القرآن و الحديث.

١٤,١- وَقَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسِيكِرِيُّ فِي كِتَابِ الْأَوَائِلِ اسْتَجِيبَتْ دَعْوُهُ عَلِيٌّ ع فِي عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَمَا مَاتَا إِلَّا مُتَهَاجِرِينَ مُتَعَادِلِينَ أَرْسَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى عُثْمَانَ يُعَاتِبُهُ وَقَالَ لِرَسُولِهِ قُلْ لَهُ لَقَدْ وَلَّيْتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ وَإِنَّ لِي لَأُمُورًا مَا هِيَ لَكَ شَهِدْتُ بِدْرًا وَمَا شَهِدْتُهَا وَشَهِدْتُ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ وَمَا شَهِدْتُهَا وَفَرَزْتُ يَوْمَ أُحُدٍ وَصَبَرْتُ فَقَالَ عُثْمَانُ لِرَسُولِهِ قُلْ لَهُ أَمَا يَوْمَ بَيْدْرِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص رَدَّنِي إِلَى ابْنَتِهِ لَمَّا بَهَا مِنَ الْمَرَضِ وَقَدْ كُنْتُ خَرَجْتُ لِلَّذِي خَرَجْتُ لَهُ وَلَقِيْتُهُ عِنْدَ مَنْصَرِفِهِ فَبَشَّرَنِي بِأَجْرِ مِثْلِ أَجُورِكُمْ وَأَعْطَانِي سَيِّهَمًا مِثْلَ سَهَامِكُمْ وَمَا بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ فَإِنَّهُ ص بَعَثَنِي أَسْتَأْذِنُ قُرَيْشًا فِي دُخُولِهِ إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ إِنِّي قَتَلْتُ بَايَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمَوْتِ لَمَّا سَمِعَهُ عَنِّي وَقَالَ إِنْ كَانَ حَيًّا فَأَنَا أَبَايَعُ عَنْهُ وَصَفَّقَ بِأُحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَقَالَ يَسَارِي خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ عُثْمَانَ فَيَدُكَ أَفْضَلُ أَمْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَأَمَا صَبْرُكَ يَوْمَ أُحُدٍ وَفَرَارِي فَلَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَفْوَ عَنِّي فِي كِتَابِهِ فَعَيَّرْتَنِي بِذَنْبِ غَفْرَةِ اللَّهِ لِي وَنَسِيتَ مِنْ ذُنُوبِكَ مَا لَا تَدْرِي أَعْفَرَ لَكَ أَمْ لَمْ يُغْفَرَ.

لَمَّا بَنَى عُثْمَانُ قَصْرَهُ طَمَارَ (١) بِالزُّورَاءِ وَصَنَعَ طَعَامًا كَثِيرًا وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ كَانَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَلَمَّا نَظَرَ لِلْبِنَاءِ وَالطَّعَامِ قَالَ يَا ابْنَ عَفَّانَ لَقَدْ صَدَّقْنَا عَلَيْكَ مَا كُنَّا نَكْذِبُ فِيكَ وَإِنِّي أَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ بَيْعَتِكَ فَغَضِبَ عُثْمَانُ وَقَالَ أَخْرِجْهُ عَنِّي يَا غُلَامُ فَأَخْرَجُوهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أَلَّا يُجَالِسُوهُ فَلَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ أَحَدٌ إِلَّا ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ يَأْتِيهِ فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْقُرْآنَ وَالْفَرَائِضَ وَمَرِضَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَعَادَهُ عُثْمَانُ وَكَلَّمَهُ فَلَمْ يُكَلِّمَهُ حَتَّى مَاتَ

ص: ١٩٦

إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ بَيْنَ نَشِيلِهِ وَ مُعْتَلِفِهِ وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ [خَضَمَ]

خَضَمَهُ الْإِبِلُ نَبْتَهُ الرَّبِيعِ إِلَى أَنْ انْتَكثَ عَلَيْهِ فَتَلَّهُ وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ وَ كَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ .

نافجا حضييه

رافعا لهما و الحضن ما بين الإبط و الكشح يقال للمتكبر جاء نافجا حضييه و يقال لمن امتلأ بطنه طعاما جاء نافجا حضييه و مراده ع هذا الثانى و النشيل الروث و المعتلف موضع العلف يريد أن همه الأكل و الرجيع و هذا من ممض الدم و أشد من قول الحطيئه الذى قيل إنّه أهجى بيت للعرب دع المكارم لا ترحل لبغيها و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى (1).

و الخضم أكل بكل الفم و ضده القضم و هو الأكل بأطراف الأسنان و قيل الخضم أكل الشىء الرطب و القضم أكل الشىء اليابس و المراد على التفسيرين لا يختلف و هو أنهم على قدم عظيمه من النهم و شده الأكل و امتلاء الأفواه و قال أبو ذر رحمه الله تعالى إن بنى أميه يخضمون و نقضم و الموعد لله و الماضى خضمت بالكسر و مثله قضمت.

و النبتة بكسر النون كالنبات تقول نبت الرطب نباتا و نبتة و انتكث فتله انتقض و هذه استعاره و أجهز عليه عمله تمم قتله يقال أجهزت على الجريح مثل ذففت إذا أتممت قتله و كبت به بطنته كبا الجواد إذا سقط لوجهه و البطنه الإسراف فى الشبع ديوانه

ص: ١٩٧

١ - ١ (١) ٥٤.

و ثالث القوم هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كنيته أبو عمرو و أمه أروى بنت كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

بايعه الناس بعد انقضاء الشورى و استقرار الأمر له و صحت فيه فراسه عمر فإنه أوطأ بنى أمية رقاب الناس و ولاهم الولايات و أقطعهم القطائع و افتتحت إفريقيه فى أيامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان فقال عبد الرحمن بن حنبل الجمحى أحلف بالله ربّ الأنام

الأمينان أبو بكر و عمر .

و طلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صله فأعطاه أربعمائه ألف درهم.

و أعاد الحكم بن أبى العاص بعد أن كان (١) رسول الله ص قد سيره ثم لم يرده أبو بكر و لا عمر و أعطاه مائه ألف درهم.

٩٣

١٤- وَ تَصَيَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِمَوْضِعِ سُوقِ بِالْمَدِينَةِ يُعْرَفُ بِمَهْزُورٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَقْطَعَهُ عُثْمَانُ الْخَارِثُ بْنُ الْحَكَمِ أَخَا مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ .

٩٤

١٥- وَ أَقْطَعَ مَرْوَانَ فَدَكَ (٢) وَ قَدْ كَانَتْ فَاطِمَةُ ع طَلَبَتْهَا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهَا ص

ص: ١٩٨

١- (١) كلمه «كان» ساقطه من ب.

٢- (٢) فدك: قريه بالحجاز بينها و بين المدينة يومان؛ أفاءها الله على رسوله فى سنه سبع صلحا، و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم لما نزل خيبر، و فتح حصونها، و لم يبق إلا ثلاث، و اشتد بهم الحصار، راسلوا رسول الله صلى الله عليه و سلم يسألونه أن ينزلهم على الجلاء، و فعل، و بلغ ذلك أهل فدك، فأرسلوا إلى رسول الله أن يصلحهم على النصف من ثمارهم و أموالهم فأجابهم إلى ذلك؛ فهى ميا لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، فكانت خالصه لرسول الله صلى الله عليه و سلم. معجم البلدان ٦: ٣٤٣.

تَارَةً بِالْمِيرَاثِ وَ تَارَةً بِالنَّحْلِهِ فَدَفِعَتْ عَنْهَا .

و حمى المراعى حول المدينة كلها من مواشى المسلمين كلهم إلا عن بنى أمية . و أعطى عبد الله بن أبى سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقيه بالمغرب و هى من طرابلس الغرب إلى طنجه من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين .

و أعطى أبا سفيان بن حرب مائتى ألف من بيت المال فى اليوم الذى أمر فيه لمروان بن الحكم بمائه ألف من بيت المال و قد كان زوجه ابنته أم أبان فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدى عثمان و بكى فقال عثمان أ تبكى أن وصلت رحمى قال لا و لكن أبكى لأنى أظنك أنك أخذت هذا المال عوضا عما كنت أنفقتة فى سبيل الله فى حياه رسول الله ص و الله لو أعطيت مروان مائه درهم لكان كثيرا فقال ألق المفاتيح يا ابن أرقم فأنا سنجد غيرك .

و أتاه أبو موسى بأموال من العراق جليله فقسمها كلها فى بنى أمية و أنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشه فأعطاه مائه ألف من بيت المال أيضا بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه .

و انضم إلى هذه الأمور أمور أخرى نغمها عليه المسلمون كتسيير أبى ذر رحمه الله تعالى إلى الربذه و ضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه و ما أظهر من الحجاب و العدول عن طريقه عمر فى إقامة الحدود و ردّ المظالم و كف الأيدى العاديه و الانتصاب لسياسه الرعيه و ختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاويه (1) يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين و اجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه .

و قد أجاب أصحابنا عن المطاعن فى عثمان بأجوبه مشهوره مذكوره فى كتبهم و الذى نقول نحن إنها و إن كانت أحداثا إلا أنّها لم تبلغ المبلغ الذى يستباح به دمه

ص : ١٩٩

١ - ١) كذا فى جميع الأصول؛ و يرى الأستاذ مكى السيد جاسم أن الصحيح أن الكتاب الذى وجدوه معه موجه إلى عبد الله بن أبى سرح لا إلى معاويه .

وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافه حيث لم يستصلحوه لها و لا يعجلوا بقتله و أمير المؤمنين ع أبرأ الناس من دمه و قد صرح بذلك في كثير من كلامه من ذلك

٩٥

قَوْلُهُ ع

وَ اللَّهُ مَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ وَ لَا مَا لَأْتُ عَلَى قَتْلِهِ .

وَ صَدَقَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَ النَّاسَ [إِلَى]

كَعُوفِ الضَّبْعِ إِلَى يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِيَّ ،^٣ الْحَسَنَانِ وَ شُقَّ عِطْفَايَ [عِطْفَايَ]

مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةِ الْعَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفُهُ وَ مَرَقَتْ أُخْرَى وَ [فَسَقَ]

قَسَطَ [فَسَقَ]

آخِرُونَ كَانَتْهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ [حَيْثُ]

يَقُولُ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١) بَلَى وَ اللَّهُ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَ وَعَوْهَا وَ لَكِنَّهُمْ خَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَ رَاقَهُمْ زَبْرُجَهَا .

عرف الضبع ثخين و يضرب به المثل في الازدحام و ينشالون يتتابعون مزدحمين و ^٣الحسنان الحسن و الحسين ع و العطفان الجانبان من المنكب إلى الورك و يروى عطفاي و العطاف الرداء و هو أشبه بالحال إلا أن الروايه الأولى أشهر و المعنى خدش جانبى لشده الاضطكاك منهم و الزحام و قال القطب الراوندى الحسنان إبهاما الرجل و هذا لا أعرفه .

ص : ٢٠٠

و قوله كريبضه الغنم أى كالمقطوعه الرابضه من الغنم يصف شده ازدحامهم حوله و جثومهم بين يديه.

و قال القطب الراوندى يصف بلادتهم و نقصان عقولهم لأن الغنم توصف بقله الفطنه و هذا التفسير بعيد و غير مناسب للحال .

الطائفه الناكثه فهم أصحاب الجمل و أما الطائفه الفاسقه فأصحاب صفيين و سماهم رسول الله ص القاسطين و أما الطائفه المارقه فأصحاب النهروان و أشرنا نحن بقولنا سماهم رسول الله ص القاسطين إلى

٩٦

قَوْلِهِ ع سَتَقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ .

و هذا الخبر من دلائل نبوته ص لأنه إخبار صريح بالغيب لا يحتمل التمويه و التدليس كما تحتمله الأخبار المجمله و صدق قوله ع و المارقين

٩٧

قَوْلُهُ أَوْلًا فِي الْخَوَارِجِ يَمْزُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْزُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ .

و صدق قوله ع الناكثين كونهم نكثوا البيعه بادئ بدء و قد كان ع يتلو وقت مبايعتهم له فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَيَّ نَفْسِهِ (١) .

و أما أصحاب صفيين فإنهم عند أصحابنا رحمهم الله مخلدون فى النار لفسقهم فصح فيهم قوله تعالى وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (٢) .

و قوله ع حليت الدنيا فى أعينهم تقول حلا- الشىء فى فمى يحلو و حلى لعينى يحلى و الزبرج الزينه من وشى أو غيره و يقال الزبرج الذهب .

فأما الآيه فنحن نذكر بعض ما فيها فنقول إنه تعالى لم يعلق الوعد بترك العلو فى الأرض و الفساد و لكن بترك إرادتهما و هو كقوله تعالى وَ لَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ

ص: ٢٠١

١-١ (١) سورة الفتح ١٠.

٢-٢ (٢) سورة الجن ١٥.

ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ (١) علق الوعيد بالركون إليهم و الميل معهم و هذا شديد فى الوعيد.

٩٨

وَ يُرَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنَّهُ قَالَ

إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْجِبُهُ أَنْ يَكُونَ شِرَاكُ نَعْلِهِ أَحْسَنَ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِ صَاحِبِهِ .

فيدخل تحت هذه الآية و يقال إن عمر بن عبد العزيز كان يرددها حتى قبض.

أَمَّا وَ الَّذِي فَلقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُوا عَلَى كِظِّهِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبٍ مَظْلُومٍ لِأَلْفَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطِهِ عَنزٍ .

فلق الحبه

من قوله تعالى فَلَاقِ الْحَبِّ وَ النَّوَى (٢) و النسمة كل ذى روح من البشر خاصه.

قوله لو لا حضور الحاضر يمكن أن يريد به لو لا حضور البيعه فإنها بعد عقدها تتعين المحاماه عنها و يمكن أن يريد بالحاضر من حضره من الجيش الذين يستعين بهم على الحرب و الكظه بكسر الكاف ما يعترى الإنسان من الثقل و الكرب عند الامتلاء من الطعام و السغب الجوع و قولهم قد ألقى فلان جبل فلان على غاربه

ص: ٢٠٢

١-١) سورة هود ١١٣.

٢-٢) سورة الأنعام ٩٥.

أى تركه هملاً- يسرح حيث يشاء من غير وازع و لا مانع و الفقهاء يذكرون هذه اللفظه فى كنايةات الطلاق و عطفه عنز ما تنثره من أنفها عطفت تعطف بالكسر و أكثر ما يستعمل ذلك فى النعجه فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها النفضه بالنون و يقولون ما له عافط و لا نافط أى نعجه و لا عنز فإن قيل أ يجوز أن يقال العطفه هاهنا الحبقه فإن ذلك يقال فى العنز خاصه عطفت تعطف قيل ذلك جائز إلا- أن الأ-حسن و الأ-ليق بكلام أمير المؤمنين ع التفسير الأول فإن جلالته و سؤدده تقتضى أن يكون ذاك أراد لا الثانى فإن صح أنه لا يقال فى العطسه عطفه إلا للنعجه قلنا إنه استعمله فى العنز مجازا.

يقول ع لو لا- وجود من ينصرنى لا- كما كانت الحال عليها أولا بعد وفاه رسول الله ص فإنى لم أكن حينئذ واجدا للناصر مع كونى مكلفا إلا أمكن الظالم من ظلمه لتركت الخلافه و لرفضتها الآن كما رفضتها قبل و لو جدم هذه الدنيا عندى أهون من عطسه عنز و هذا إشاره إلى ما يقوله أصحابنا من وجوب النهى عن المنكر عند التمكن قالوا و قام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا قيل إن فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها فأقبل ينظر فيه [فلما فرغ من قراءته]

[فلما فرغ من قراءته]

قال له ابن عباس [رضى الله عنهما]

يا أمير المؤمنين لو اطردت [مقاتلك]

خطبتك من حيث أفضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقه هدرت ثم قرئت قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كاسفى على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد.

قوله عليه السلام فى هذه الخطبه كراكب الصعبه إن أشنق لها حرم و إن أسلس لها تقحم يريد أنه إذا شدد عليها فى جذب الزمام و هى تنازعه رأسها حرم أنفها و إن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها يقال أشنق الناقه إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه و شنقها أيضاً ذكر ذلك ابن السكيت فى إصلاح المنطق و إنما قال ع أشنق لها و لم يقل أشنقها لأنه جعله فى مقابله قوله أسلس لها فكأنه قال إن رفع لها رأسها بالزمام يعنى أمسكه عليها

٩٩

١٤- وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص حَطَبَ عَلَى نَاقِهِ وَ قَدْ شَنَقَ لَهَا فَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرَّتِهَا . و من الشاهد على أن أشنق بمعنى شنق قول عدى بن زيد العبادى ساءها ما لها تبين فى الأيدى و إشناقها إلى الأعناق سمي السواد سوادا لخضرته بالزرورع و الأشجار و النخل و العرب تسمى الأخضر أسود قال سبحانه مُدَّهَا مَتَانٍ (١) يريد الخضره و قوله لو اطردت مقاتلك أى أتبع الأول قولاً ثانياً من قولهم اطرده النهر إذا تتابع جريه.

و قوله من حيث أفضيت أصل أفضى خرج إلى الفضاء فكأنه شبهه ع حيث سكت عما كان يقوله بمن خرج من خباء أو جدار إلى فضاء من الأرض و ذلك لأن النفس و القوى و الهمة عند ارتجال الخطب و الأشعار تجتمع إلى القلب فإذا قطع الإنسان و فرغ تفرقت و خرجت عن حجر الاجتماع و استراحت

ص: ٢٠٤

و الشقشقه بالكسر فيهما شيء يخرج البعير من فيه إذا هاج و إذا قالوا للخطيب ذو شقشقه فإنما شبهوه بالفحل و الهدير صوتها .

و أما قول ابن عباس ما أسفت على كلام إلى آخره فحدثني شيخى أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطى (١) فى سنه ثلاث و ستمائه قال قرأت على الشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبه فلما انتهيت إلى هذا الموضع قال لى لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له و هل بقى فى نفس ابن عمك أمر لم يبلغه فى هذه الخطبه لتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ما أراد و الله ما رجع عن الأولين و لا عن الآخرين و لا بقى فى نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله ص .

قال مصدق و كان ابن الخشاب صاحب دعابه و هزل قال فقلت له أ تقول إنها منحوه فقال لا و الله و إنى لأعلم أنها كلامه كما أعلم أنك مصدق قال فقلت له إن كثيرا من الناس يقولون إنها من كلام الرضى رحمه الله تعالى فقال أنى للرضى و لغير الرضى هذا النفس و هذا الأسلوب قد وقفنا على رسائل الرضى و عرفنا طريقته و فنه فى الكلام المنثور و ما يقع مع هذا الكلام فى خل و لا خمر ثم قال و الله لقد وقفت على هذه الخطبه فى كتب صنفت قبل أن يخلق الرضى بمائتى سنه و لقد وجدت مسطوره بخطوط أعرفها و أعرف خطوط من هو من العلماء و أهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضى .

قلت و قد وجدت أنا كثيرا من هذه الخطبه فى تصانيف شيخنا أبى القاسم البلخى (٢)

ص: ٢٠٥

١- ١) مصدق بن شبيب بن الحسين الصلحى الواسطى؛ ذكره القفطى فى إنباه الرواه (٣:٢٧٤)، و قال إنه قدم بغداد، و قرأ بها على ابن الخشاب و حبشى بن محمد الضرير، و عبد الرحمن بن الأنبارى و غيرهم؛ و توفى ببغداد سنه ٦٠٥.
٢- ٢) أبو القاسم البلخى، ذكره ابن النديم و قال: «كان من أهل بلخ، يطوف البلاد و يجول الأرض؛ حسن المعرفه بالفلسفه و العلوم القديمه... و رأيت بخطه شيئا كثيرا فى علوم كثيره مسودات و دساتير لم يخرج منها إلى الناس كتاب تام». الفهرست ٢٩٩. و ابن خلكان ١: ٢٥٢.

إمام البغداديين من المعتزله و كان فى دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضى بمده طويله و وجدت أيضا كثيرا منها فى كتاب أبى جعفر بن قبه أحد متكلمى الإماميه (1) و هو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف و كان أبو جعفر هذا من تلامذه الشيخ أبى القاسم البلخى رحمه الله تعالى و مات فى ذلك العصر قبل أن يكون الرضى رحمه الله تعالى موجودا

ص: ٢٠٤

١-١) هو أبو جعفر بن محمد بن قبه؛ من متكلمى الشيعة و حذاقهم، و له من الكتب كتاب الإنصاف فى الإمامه. الفهرست ١٧٤.

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ وَ [تَسَنَّمْتُمْ]

تَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ [الْعُلْيَاءِ]

(١) الْعُلْيَاءِ وَ بِنَا [انْفَجَرْتُمْ]

أَفَجَرْتُمْ [انْفَجَرْتُمْ]

عَنِ السَّرَارِ وَقِرَ سَمِعَ لَمْ يَفْقَهُ [يَسْمَع]

الْوَاعِيَةِ وَ كَيْفَ يُرَاعَى النَّبَاهُ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ رُبطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الخَفَقَانُ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ العُدْرِ وَ أَتَوَسَّمُكُمْ بِحَلِيهِ
المُعْتَرِينَ حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ وَ بَصَّرَنِيكُمْ صِدْقَ النَّبِيِّ أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَيْنِ الحَقِّ فِي جَوَادِّ المَضَلِّهِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَ لَا
دَلِيلَ وَ تَحْتَفِرُونَ وَ لَا تُمِيهُونَ اليَوْمَ أَنْطِقَ لَكُمْ العَجَمَاءُ ذَاتَ البَيَانِ عَزَبَ [عَزَبَ]

رَأَى امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي الحَقِّ مُيْذُ أُرِيئُهُ لَمْ يُوجِسْ مُوسَى ع خِيفَهُ عَلَى نَفْسِهِ يَلِ أشفقَ مِنْ غَلْبِهِ الجُهَالِ وَ دُولِ
الضَّلَالِ اليَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقِّ وَ البَاطِلِ مِنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأُ.

ص: ٢٠٧

هذه الكلمات و الأمثال ملتقطه من خطبه طويله منسوبه إليه ع قد زاد (1) فيها قوم أشياء حملتهم عليها أهواؤهم لا توافق ألفاظها طريقته ع فى الخطب و لا تناسب فصاحتها فصاحته و لا حاجه إلى ذكرها فهى شهيره و نحن نشرح هذه الألفاظ لأنها كلامه ع لا يشك فى ذلك من له ذوق و نقد و معرفه بمذاهب الخطباء و الفصحاء فى خطبهم و رسائلهم و لأن الروايه لها كثيره و لأن الرضى رحمه الله تعالى عليه قد التقطها و نسبها إليه ع و صححها و حذف ما عداها .

و أما قوله ع بنا اهتديتم فى الظلماء فيعنى بالظلماء الجهاله و تسنتم العلياء ركبتن سنامها و هذه استعاره .

قوله و بنا انفجرتن عن السرار أى دخلتم فى الفجر و السرار الليله و الليلتان يستتر فيهما القمر فى آخر الشهر فلا يظهر و روى أفجرتن و هو أفصح و أصح لأن انفعل لا يكون إلا مطاوع فعل نحو كسرتن فانكسر و حطمتن فانحطم إلا ما شد من قولهم أغلقت الباب فانغلق و أزعجتن فانزعج و أيضا فإنه لا يقع إلا حيث يكون علاج و تأثير نحو انكسر و انحطم و لهذا قالوا إن قولهم انعدم خطأ و أما أفعل فيجىء لصيروره الشىء على حال و أمر نحو أغد البعير أى صار ذا غده و أجرب الرجل إذا صار ذا إبل جربى و غير ذلك فأفجرتن أى صرتن ذوى فجر .

و أما عن فى قوله عن السرار فهى للمجاوزه على حقيقه معناها الأصلى أى منتقلين عن السرار و متجاوزين له .

و قوله ع وقر سمع هذا دعاء على السمع الذى لم يفقه الواعيه بالثقل و الصمم وقرت أذن زيد بضم الواو فهى موقوره و الوقر بالفتح الثقل فى الأذن

ص : ٢٠٨

(١ - ١) ب: «رأى».

وقرت أذنه بفتح الواو و كسر القاف توقر وقرأ أى صمت و المصدر فى هذا الموضع جاء بالسكون و هو شاذ و قياسه التحريك بالفتح نحو ورم ورمما و الواعيه الصارخه من الوعاء و هو الجلبه و الأصوات و المراد العبر و المواعظ .

قوله كيف يراعى النبأ هذا مثل آخر يقول كيف يلاحظ و يراعى العبر الضعيفه من لم ينتفع بالعبر الجليه الظاهره بل فسد عندها و شبه ذلك بمن أصمته الصيحه القويه فإنه محال أن يراعى بعد ذلك الصوت الضعيف و النبأ هى الصوت الخفى .

فإن قيل هذا يخالف قولكم إن الاستفساد لا يجوز على الحكيم سبحانه فإن كلامه ع صريح فى أن بعض المكلفين يفسد عند العبر و المواعظ .

قيل إن لفظه أفعل قد تأتى لوجود الشىء على صفه نحو أحمدته إذا أصبته محمودا و قالوا أحيت الأرض إذا وجدتها حيه (١) النبات فقولهُ أصمته الصيحه ليس معناه أن الصيحه كانت عله لصممه بل معناه صادفته أصم و بهذا تأول أصحابنا قوله تعالى وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ (٢) .

قوله ربط جنان لم يفارقه الخفقان هذا مثل آخر و هو دعاء لقلب لا يزال خائفا من الله يخفق بالثبوت و الاستمساك .

قوله ما زلت أنتظر بكم يقول كنت مترقبا غدركم متفرسا فيكم الغرر و هو الغفله .

و قيل إن هذه الخطبه خطبها بعد مقتل طلحه و الزبير مخاطبا بها لهما و لغيرهما من أمثالهما كما

١٠٠

قَالَ النَّبِيُّ ص يَوْمَ بَدْرٍ بَعْدَ قَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ قُرَيْشٍ يَا عُبَيْهَ بْنَ رِبْعَةَ

ص: ٢٠٩

١- ١) :«ذات النبات».

٢- ٢) سورة الجاثية ٢٣.

يَا شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ يَا عَمْرُو بْنَ هِشَامٍ .

و هم جيف متته قد جروا إلى القلب .

قوله سترنى عنكم هذا يحتمل وجوها أوضحها أن إظهاركم شعار الإسلام عصمكم منى مع علمى بنفاقكم و إنما أبصرت نفاقكم و بواطنكم الخبيثه بصدق نيتى كما يقال المؤمن يبصر بنور الله و يحتمل أن يريد سترنى عنكم جلباب دينى و معنى أن أعرفكم نفسى و ما أقدر عليه من عسفكم كما تقول لمن استهان بحقك أنت لا تعرفنى و لو شئت لعرفتك نفسى .

و فسر القطب الراوندى قوله ع و بصرنىكم صدق النيه قال معناه أنكم إذا صدقتم نياتكم و نظرتم بأعين لم تطرف بالحسد و الغش و أنصفتمونى أبصرتم عظيم منزلتى .

و هذا ليس بجيد لأنه لو كان هو المراد لقال و بصركم إياى صدق النيه و لم يقل ذلك و إنما قال بصرنىكم فجعل صدق النيه مبصرا له لا- لهم و أيضا فإنه حكم بأن صدق النيه هو عله التبصير و أعداؤه لم يكن فيهم صادق النيه و ظاهر الكلام الحكم و القطع لا التعليق بالشرط .

قوله أقت لكم على سنن الحق يقال تنح عن سنن الطريق و سنن الطريق بفتح السين و ضمها فالأول مفرد و الثانى جمع سنه و هى جاده الطريق و الواضح منها و أرض مضله و مضله بفتح الضاد و كسرهما يضل سالكها و أماه المحترف يميئه أنبط الماء يقول فعلت من إرشادكم و أمركم بالمعروف و نهىكم عن المنكر ما يجب على مثلى فوقفت لكم على جاده الحق و منهجه حيث طرق الضلال كثيره مختلفه من سائر جهاتى و أنتم تائهون فيها تلتقون و لا دليل لكم و تحتفرون لتجدوا ماء تنقعون به غلتكم فلا تظفرون بالماء و هذه كلها استعارات .

قوله اليوم أنطق هذا مثل آخر والعجماء التي لا- نطق لها وهذا إشاره إلى الرموز التي تتضمنها هذه الخطبه يقول هي خفيه غامضه و هي مع غموضها جليه لأولى الألباب فكأنها تنطق كما ينطق ذوو الألسنه كما قيل ما الأمور الصامته الناطقه فقيل الدلائل المخبره و العبر الواعظه و فى الأثر سل الأرض من شق أنهارك و أخرج ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجاتك اعتبارا .

قوله عزب رأى امرئ تخلف عنى هذا كلام آخر عزب أى بعد و العازب البعيد و يحتمل أن يكون هذا الكلام إخبارا و أن يكون دعاء كما أن قوله تعالى حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ (١) يحتمل الأمرين .

قوله ما شككت فى الحق مذ رأيتَه هذا كلام آخر يقول معارفى ثابتة لا يتطرق إليها الشك و الشبهه .

قوله لم يوجس موسى هذا كلام شريف جدا يقول إن موسى لما أوجس الخيفه بدلاله قوله تعالى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى (٢) لم يكن ذلك الخوف على نفسه و إنما خاف من الفتنة و الشبهه الداخلة على المكلفين عند إلقاء السحره عصيهم فخيّل إليه مِنْ سَخَرِهِمْ أَنَّهَا تَسْبِعُونِي و كذلك أنا لا أخاف على نفسى من الأعداء الذين نصبوا لى الحبائل و أصدوا لى المكاييد و سعروا على نيران الحرب و إنما أخاف أن يفتتن المكلفون بشبههم و تمويهاتهم فتقوى دوله الضلال و تغلب كلمه الجهال .

قوله اليوم تواقفنا القاف قبل الفاء تواقف القوم على الطريق أى وقفوا كلهم عليها يقول اليوم اتضح الحق و الباطل و عرفناهما نحن و أنتم .

قوله من وثق بماء لم يظماً الظماً الذى يكون عند عدم الثقة بالماء و ليس

ص: ٢١١

١-١) سورة النساء ٩٠.

٢-٢) سورة طه ٦٧.

يريد النفي المطلق لأن الواثق بالماء قد يظماً و لكن لا- يكون عطشه على حدّ العطش الكائن عند عدم الماء و عدم الوثوق بوجوده و هذا كقول أبي الطيب و ما صباه مشتاق على أمل من اللقاء كمشتاق بلا أمل (١).

و الصائم في شهر رمضان يصبح جائعاً تنازعه نفسه إلى الغذاء و في أيام الفطر لا يجد تلك المنازعه في مثل ذلك الوقت لأن الصائم ممنوع و النفس تحرص على طلب ما منعت منه يقول إن وثقتم بي و سكنتم إلى قولي كنتم أبعد عن الضلال و أقرب إلى اليقين و تلج النفس كمن وثق بأن الماء في إداوته يكون عن الظماً و خوف الهلاك من العطش أبعد ممن لم يثق بذلك

ص: ٢١٢

١-١) ديوانه ٧٥:٣.

(١) خطبه له ع لما قبض رسول الله ص و خاطبه العباس و أبو سفيان بن حرب في أن (٢) يبايعا له بالخلافه

و ذلك بعد أن تمت البيعه لأبي بكر في السقيفه و فيها ينهى عن الفتنة و يبين عن خلقه و علمه

أَيُّهَا النَّاسُ سُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاهِ وَ عَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَ ضَمُّوا تَيْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوْ اسْتَسَلَّمَ (٣) فَأَرَاخَ هَذَا مَاءً آجِنٌ وَ لُقْمَهُ يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا وَ مُجْتَنَى الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِبْنَاعِهَا كَالزَّرَارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وَ إِنْ أَسِيكَتْ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَ اللَّيِّ وَ اللَّهُ لَا بُنْ أَبِي طَالِبٍ أَنْسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ بَلِ انْدَمَجَتْ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحِثَ بِهِ لِأَضْطَرَّتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيهِ فِي الطَّوِيِّ الْبُعِيدِهِ .

(٤)

المفاخره

أن يذكر كل واحد من الرجلين مفاخره و فضائله و قديمه ثم يتحاكما إلى ثالث و الماء الآجن المتغير الفاسد آجن الماء بفتح الجيم يآجن و يآجن بالكسر و الضم و الإيناع إدراك الثمره و اللتيا (٥) تصغير التي كما أن اللذيا تصغير الذى و اندمجت انطويت و الطوى البئر المطويه بالحجاره يقول تخلصوا عن الفتنة و انجوا منها بالمتاركة و المسالمه و العدول عن المنافره و المفاخره.

ص: ٢١٣

١ - ١) ا: «خطبه».

٢ - ٢) ا: «أن يبايعاه».

٣ - ٣) ا: «و استسلم».

٤ - ٤) بعد هذه الكلمه فى مخطوطه النهج: «السلام».

٥ - ٥) فى القاموس بفتح اللام المشدده و ضمها.

أى مات شبه الميت المفارق للدنيا بطائر نهض عن الأرض بجناحه و يحتمل أن يريد بذلك أفلق من اعتزل هذا العالم و ساح فى الأرض منقطعا عن تكاليف الدنيا و يحتمل أيضا أن يريد أفلق من نهض فى طلب الرئاسة بناصر ينصره و أعوان يجاهدون بين يديه و على التقادير كلها تنطبق اللفظه الثانيه و هى قوله أو استسلم فأراح (١) أى أراح نفسه باستسلامه.

ثمّ قال الإميره على الناس وخيمه العاقبه ذات مشقه فى العاجله فهى فى عاجلها كالماء الآجن يجد شاربه مشقه و فى آجلها كاللقمه التى تحدث عن أكلها الغصه و يغص مفتوح حرف المضارعه و مفتوح الغين أصله غصصت بالكسر و يحتمل أن يكون الأمران معا للعاجله لأن الغصص فى أول البلع كما أن ألم شرب الماء الآجن يحدث فى أول الشرب و يجوز ألا يكون عنى الإميره المطلقه بل هى (٢) الإميره المخصوصه يعنى بيعه السقيفه .

ثمّ أخذ فى الاعتذار عن الإمساك و ترك المنازعه فقال مجتنى الثمره قبل أن تدرك لا- ينتفع بما اجتناه كمن زرع فى غير أرضه و لا ينتفع بذلك الزرع يريد أنه ليس هذا الوقت هو الوقت الذى يسوغ لى فيه طلب الأمر و أنه لم يأن بعد .

ثمّ قال قد حصلت بين حالين إن قلت قال الناس حرص على الملك و إن لم أقل قالوا جزع من الموت .

قال هيئات استبعادا لظنهم فيه (٣) الجزع ثمّ قال اللتيا و التى أى أ بعد اللتيا و التى أجزع أ بعد أن قاسيت الأهوال الكبار و الصغار و منيت بكل داهيه عظيمه و صغيره فاللتيا للصغيره و التى للكبيره.

١- ١) ا: «و استسلم».

٢- ٢) ا: «هذه».

٣- ٣) ساقطه من ا.

ذكر أن أنسه بالموت كأنس الطفل بشدى أمه و أنه انطوى على علم هو ممتنع لموجه من المنازعه و أن ذلك العلم لا يباح به (١) و لو باح به لاضطرب سامعوه كاضطراب الأرشيه و هى الحبال فى البئر البعيده القعر و هذا إشاره إلى الوصيه التى خص بها ع إنه قد كان من جملتها الأمر بترك النزاع فى مبدأ الاختلاف عليه

استطراد بذكر طائفه من الاستعارات

إشاره

و اعلم أن أحسن الاستعارات ما تضمن مناسبة بين المستعار و المستعار منه كهذه الاستعارات فإن قوله ع شقوا أمواج الفتن بسفن النجاه من هذا النوع و ذلك لأن الفتن قد تتضاعف و تترادف فحسن تشبيها بأمواج البحر المضطربه و لما كانت السفن الحقيقيه تنجى من أمواج البحر حسن أن يستعار لفظ السفن لما ينجى من الفتن و كذلك قوله و ضعوا تيجان المفاخره لأن التاج لما كان ممّا يعظم به قدر الإنسان استعاره لما يتعظم به الإنسان من الافتخار و ذكر القديم و كذلك استعاره النهوض بالجناح لمن اعتزل الناس كأنه لما نفص يديه عنهم صار كالطائر الذى ينهض من الأرض بجناحيه.

و فى الاستعارات ما هو خارج عن هذا النوع و هو مستقبح و ذلك كقول أبى نواس بح صوت المال مما منك يبكى و ينوح (٢)

و كذلك قوله ما لرجل المال أضحت تشتكى منك الكلالا (٣).

ص: ٢١٥

١-١) ساقطه من ب.

٢-٢) ديوانه ٧٠، و فيه: «يصيح».

٣-٣) ديوانه ١١٩.

و قول أبي تمام و كم أحرزت منكم على قبح قدها صروف النوى من مرهف حسن القد (١).

و كقوله بلوناك أما كعب عرضك في العلا فعال و لكن خد مالك أسفل (٢).

فإنه لا مناسبه بين الرجل و المال و لا بين الصوت و المال و لا معنى لتصويره للنوى قدا و لا للعرض كعبا و لا للمال خدا.

و قريب منه أيضا قوله لا تسقنى ماء الملام فإننى صب قد استعذبت ماء بكائى (٣).

و يقال إن مخلدا الموصلى (٤) بعث إليه بقاروره يسأله أن يبعث له فيها قليلا من ماء الملام فقال لصاحبه قل له يبعث إلى بريشه من جناح الذل لأستخرج بها من القاروره ما أبعته إليه.

و هذا ظلم من أبي تمام لمخلد و ما الأمران سوء لأن الطائر إذا أعيأ و تعب ذل و خفض جناحيه و كذلك الإنسان إذا استسلم ألقى بيديه ذلا و يده جناحه فذاك هو الذى حسن قوله تعالى وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ (٥) أ لا ترى أنه لو قال و اخفض لهما ساق الذل أو بطن الذل لم يكن مستحسنا.

و من الاستعاره المستحسنه فى الكلام المثلور ما اختاره قدامه بن جعفر فى كتاب الخراج نحو قول أبى الحسين جعفر بن محمد بن ثوابه فى جوابه لأبى الجيش خمارويه

ص: ٢١٦

١-١ (١) ديوانه ١١٠:٢.

٢-٢ (٢) ديوانه ٧٣:٣.

٣-٣ (٣) ديوانه ٢٥:١.

٤-٤ (٤) هو مخلد بن بكار الموصلى، و له مع أبى تمام أخبار و مساجلات، ذكرها الصولى فى كتابه أخبار أبى تمام ٢٣٤-٢٤٣.

٥-٥ (٥) سورة الإسراء ٢٤.

بن أحمد بن طولون عن المعتضد بالله لما كتب بإنفاذ ابنته قطر الندى التى تزوجها المعتضد و ذلك قول ابن ثوابه هذا و أمّا الوديعه فهى بمنزله ما انتقل من شمالك إلى يمينك عناية بها و حياطه لها و رعايه لمودتك فيها.

و قال ابن ثوابه لما كتب هذا الكتاب لأبى القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد و الله إن تسميتى إياها بالوديعه نصف البلاغه.

و ذكر أحمد بن يوسف الكاتب رجلا خلا بالمأمون فقال ما زال يفتله فى الذروه و الغارب حتى لفته عن رأيه.

و قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى النبىذ قيد الحديث.

و ذكر بعضهم رجلا فذمه فقال هو أملس (١) ليس فيه مستقر لخير و لا شر.

و رضى بعض الرؤساء عن رجل من موجهه ثم أقبل يوبخه عليها فقال إن رأيت ألا تخدش وجه رضاك بالتوبيخ فافعل.

و قال بعض الأعراب خرجنا فى ليله حندس (٢) قد ألفت على الأرض أكارعها فمحت صوره الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالآذان.

و غزت حنيفه نميرا فأتبعتهم نمير فأتوا عليهم فقبل لرجل منهم كيف صنع قومك قال اتبعوهم و الله و قد أحقبوا كل جماليه خيفانه (٣) فما زالوا يخصفون آثار المطى بحوافر الخيل حتى لحقوهم فجعلوا المران (٤) أرشيه الموت فاستقوا بها أرواحهم.

و من كلام لعبد الله بن المعتز يصف القلم يخدم الإراده و لا يمل الاستزاده

ص: ٢١٧

١- ١) ا: «إبليس» تحريف.

٢- ٢) ليله حندس: شديده الظلمه.

٣- ٣) أحقب البعير: وضع له الحقب؛ و هو جبل يشد به الرحل فى بطن البعير، و الجماليه: الناقه الوثيقه، تشبه بالجمال فى خلقتها و شدتها و عظمها. و الخيفانه: السريعه، شبهت بالجراده السريعه.

٤- ٤) حاشيه ب: «المران: الرماح...».

و يسكت واقفا و ينطق سائرا على أرض بياضها مظلم و سوادها مضىء.

فأما القطب الراوندى فقال قوله ع شقوا أمواج الفتن بسفن النجاه معناه كونوا مع أهل البيت لأنهم سفن النجاه

١٠١

لِقَوْلِهِ ع مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ.

و لقائل أن يقول لا شبهه أن أهل البيت سفن النجاه و لكنهم لم يرادوا هاهنا بهذه اللفظه لأنه لو كان ذلك هو المراد لكان قد أمر أبا سفيان و العباس بالكون مع أهل البيت و مراده الآن ينقض ذلك لأنه يأمر بالتقيه و إظهار اتباع الذين عقد لهم الأمر و يرى أن الاستسلام هو المتعين فالذى ظنه الراوندى لا يحتمله الكلام و لا يناسبه.

و قال أيضا التعريج على الشيء الإقامه عليه يقال عرج فلان على المنزل إذا حبس نفسه عليه فالتقدير عرجوا على الاستقامه منصرفين عن المنافره.

و لقائل أن يقول التعريج يعدى تاره بعن و تاره بعلى فإذا عديته بعن أردت التجنب و الرفض و إذا عديته بعلى أردت المقام و الوقوف و كلامه ع معدى بعن قال و عرجوا عن طريق المنافره .

و قال أيضا آنس بالموت أى أسر به و ليس بتفسير صحيح بل هو من الأنس ضد الوحشه

اختلاف الرأي فى الخلافه بعد وفاه رسول الله

١٠٢

١- لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ اسْتَعْلَى عَلِيٌّ ع بِغُسِّيهِ وَ دَفِنِهِ وَ بُوِيعَ أَبُو بَكْرٍ خَلَا الزُّبَيْرُ وَ أَبُو سُفْيَانَ وَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِعَبَّاسٍ وَ عَلِيٌّ ع

ص: ٢١٨

لِإِجَالِهِ الرَّأْيِ وَ تَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ يَفْتَضِي الإِسْتِنَهَاضَ وَ التَّهْيِيجَ فَقَالَ العَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ سَمِعْنَا قَوْلَكُمْ فَلَا لِقَاءَ لِنَسْتَعِينُ بِكُمْ وَ لَا لِيُظَنَّهُ نَشْرُكُ آرَاءِكُمْ فَأَمْهَلُونَا نُرَاجِعَ الفِكْرَ فَإِنْ يَكُنْ لَنَا مِنَ البَائِثِ مَخْرَجٌ يَصْرُحُ بِصِرِّ بِنَا وَ بِهِمُ الحَقِّ صِرِيرَ الجَدِيدِ (١) وَ نَبْسِيَّطٍ إِلَى المَجْدِ أَكْفًا لَا نَقْبُضُهَا أَوْ نَبْلُغُ المَدَى وَ إِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَلَا لِقَاءَ فِي العَدَدِ وَ لَا لَوْهِنٍ فِي الأَيْدِ وَ اللّهِ لَوْ لَا أَنَّ الأَسِيَّلامَ قَيْدَ الفُتُكِ لَتَدَكَّدَتْ جَنَادِلُ صَخْرٍ يُسْمَعُ اصْطِكَاكُهَا مِنَ المَحَلِّ العَلِيِّ.

فَحِيلَ عَلِيٌّ ع حَبَوْتَهُ وَ قَالَ الصَّبْرُ حِلْمٌ وَ التَّقْوَى دِينٌ وَ الحُجَّةُ مُحَمَّدٌ وَ الطَّرِيقُ الصِّرَاطُ أَيُّهَا النَّاسُ شَقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ ... الخُطْبَةُ ثَمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَ افْتَرَقَ القَوْمُ

١٠٣

١٤- وَ قَالَ البَرَاءُ بْنُ عَزَابٍ لَمْ أَزَلْ لِبَنِي هَاشِمٍ مُجِبًا فَلَمَّا قُبِضَ رَسولُ اللهِ ص خِفْتُ أَنْ تَتَمَالَأَ قُرَيْشٌ عَلَيَّ إِخْرَاجِ هَذَا الأَمْرِ عَنْهُمْ فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الوَالِيَةَ العُجُولَ مَعَ مَا فِي نَفْسِي مِنَ الحُزْنِ لَوْفَاهِ رَسولِ اللهِ ص فَكُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَ هُمْ عِنْدَ النَّبِيِّ ص فِي الحُجْرَةِ وَ أَتَفَقَّدُ وَجوهَ قُرَيْشٍ فَإِنِّي كَذَلِكَ إِذْ فَصَدْتُ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ إِذَا قَائِلٌ يَقُولُ القَوْمُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وَ إِذَا قَائِلٌ آخَرَ يَقُولُ قَدْ بُويعَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ أَلْبَثْ وَ إِذَا أَنَا بِأَبِي بَكْرٍ قَدْ أَقْبَلَ وَ مَعَهُ عُمَرُ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَ جَمَاعَةٌ مِنَ أَصْحَابِ السَّقِيفَةِ وَ هُمْ مُحْتَجِزُونَ بِالمَازِرِ الصَّنَعَائِيَّةِ لَا يَمُرُّونَ بِأَحَدٍ إِلاَّ حَبَطُوهُ وَ قَدَّمُوهُ فَمَدُّوا يَدَهُ فَمَسَّ حَوْهَا عَلَيَّ يَدِ أَبِي بَكْرٍ يُبَايِعُهُ شَاءَ ذَلِكَ أَوْ أَبِي فَأَنْكَرْتُ عَقْلِي وَ خَرَجْتُ أَشْتَدُّ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَ البَابُ مُغْلَقٌ فَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ البَابَ ضَرْبًا عَنِيفًا وَ قُلْتُ قَدْ بَايَعَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَ العَبَّاسُ تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ أَمَا إِنِّي قَدْ أَمَرْتُكُمْ فَعَصَيْتُمُونِي فَمَكَّثْتُ أَكَابِدُ مَا فِي نَفْسِي وَ رَأَيْتُ

ص: ٢١٩

فِي الدَّلِيلِ الْمَقْدَادَ وَ سَلْمَانَ وَ أَبَا ذَرٍّ وَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَ أَبَا الْهَيْثَمِ بْنَ التَّيْهَانِ وَ حُذَيْفَةَ وَ عَمَّارًا وَ هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُعِيدُوا الأَمْرَ
شُورَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ .

وَ بَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ فَأَرْسَلَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَ إِلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ فَسَأَلَاهُمَا عَنِ الرَّأْيِ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ الرَّأْيُ أَنْ تَلْقُوا الْعَبَّاسَ
فَتَجْعَلُوا لَهُ وَ لَوْلَيْدِهِ فِي هَذِهِ الْبِأَمْرِ نَصِيحًا لِيَقْطَعُوا بِذَلِكَ نَاحِيَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . فَأَنْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَ الْمُغِيرَةُ
حَتَّى دَخَلُوا عَلَى الْعَبَّاسِ وَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَحَمِدَ أَبُو بَكْرٍ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَ لَكُمْ
مُحَمَّدًا ص نَبِيًّا وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِيًّا فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكَوْنِهِ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ حَتَّى اخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ فَخَلَّى عَلَى النَّاسِ أُمُورَهُمْ لِيُخْتَارُوا
لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّفِقِينَ غَيْرَ مُخْتَلِفِينَ فَاخْتَارُونِي عَلَيْهِمْ وَالْيَا وَ لِأُمُورِهِمْ رَاعِيًا فَتَوَلَّيْتُ ذَلِكَ وَ مَا أَخَافُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَ تَسَدِيدِهِ وَ هُنَا وَ لَا
خَيْرَ وَ لَا جُنْبًا وَ مَا تَوَفَّقَنِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ وَ مَا أَنْفَكُ يَبْلُغُنِي عَنْ طَاعِنٍ يَقُولُ بِخِلَافِ قَوْلِ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ
يَتَّخِذُكُمْ لَجًّا فَتَكُونُونَ حِصْنَهُ الْمَنِيْعَ وَ حَظْبَهُ الْبَيْدِيْعَ فِيمَا دَخَلْتُمْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ أَوْ صَيَّرْتُمُوهُمْ عَمَّا مَالُوا إِلَيْهِ فَقَدْ جُنْنَاكَ وَ
نَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ لَكَ فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيحًا وَ لِمَنْ بَعْدَكَ مِنْ عَقِبِكَ إِذْ كُنْتَ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ إِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ رَأَوْا
مَكَانَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ مَكَانَ أَهْلِكَ ثُمَّ عَدَلُوا بِهَذَا الأَمْرِ عَنْكُمْ وَ عَلَى رِسْلِكُمْ بِنِي هَاشِمٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنَّا وَ مِنْكُمْ .

فَاعْتَرَضَ كَلَامَهُ عُمَرُ وَ خَرَجَ إِلَى مَيْدِهِ فِي الْخُشُونَةِ وَ الْوَعِيدِ وَ إِتْيَانِ الأَمْرِ مِنْ أَضْيَعِبِ جِهَاتِهِ فَقَالَ إِي وَ اللَّهُ وَ أُخْرَى إِنَّا لَمْ
نَأْتِكُمْ حَاجَةً إِلَيْكُمْ وَ لَكِنْ كَرِهْنَا أَنْ يَكُونَ الطَّغْنُ فِيمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْكُمْ فَيَتَّفَاقَمَ الخَطْبُ بِكُمْ وَ بِهِمْ فَاَنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ
لِعَامَّتِهِمْ ثُمَّ سَكَتَ .

فَتَكَلَّمَ الْعَبَّاسُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثَ مُحَمَّدًا نَبِيًّا كَمَا وَصَفْتَ وَ وَلِيًّا لِلْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ اللَّهُ بِهِ عَلَى أُمَّتِهِ حَتَّى اخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ فَخَلَّى النَّاسَ عَلَى أَمْرِهِمْ لِيُخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ مُصِيبِينَ لِلْحَقِّ مَائِلِينَ عَنِ زَيْغِ الْهَوَىٰ فَإِنْ كُنْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ طَلَبْتَ فَحَقَّنَا أَخَذْتَ وَ إِنْ كُنْتَ بِالْمُؤْمِنِينَ فَنَحْنُ مِنْهُمْ مَا تَقَدَّمْنَا فِي أَمْرِكُمْ فَرَطًا وَ لَا حَلَلْنَا وَسِيَّطًا وَ لَا نَزَحْنَا شَحَطًا فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يَجِبُ لَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجِبَ إِذْ كُنَّا كَارِهِينَ وَ مَا أَبْعَدَ قَوْلِكَ إِنْهُمْ طَعَنُوا مِنْ قَوْلِكَ إِنْهُمْ مَالُوا إِلَيْكَ وَ أَمَّا مَا يَذَلَّتْ لَنَا فَإِنْ يَكُنْ حَقُّكَ أَعْطَيْنَاهُ فَأَمْسَكْهُ عَلَيْهِ وَ إِنْ يَكُنْ حَقُّ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَحْكُمَ فِيهِ وَ إِنْ يَكُنْ حَقَّنَا لَمْ نَرْضَ لَكَ بِبَعْضِهِ دُونَ بَعْضٍ وَ مَا أَقُولُ هَذَا أَرُومٌ صِرْفَكَ عَمَّا دَخَلْتَ فِيهِ وَ لَكِنْ لِلْحُجَّةِ نَصِيئَهَا مِنَ الْبَيَانِ وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنَّا وَ مِنْكُمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص مِنْ شَجَرِهِ نَحْنُ أَغْصَانُهَا وَ أَنْتُمْ جِيرَانُهَا وَ أَمَّا قَوْلُكَ يَا عَمْرُ إِنَّكَ تَخَافُ النَّاسَ عَلَيْنَا فَهَذَا الَّذِي قَدَّمْتُمُوهُ أَوَّلَ ذَلِكَ وَ بِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ

١٠٤

١- لَمَّا اجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى بَيْعِهِ أَبِي بَكْرٍ أَقْبَلَ أَبُو سَيْفِيَانَ وَ هُوَ يَقُولُ أَمَّا وَ اللَّهُ إِنَّي لَمَأْرَى عَجَاجَهُ لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الدَّمُ يَا لَعَبَدَ مَنَافٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَمْرِكُمْ أَيْنَ الْمُسْتَضْعَفَانِ أَيْنَ الْأَذْلَانِ يَعْنِي عَلِيًّا وَ الْعَبَّاسَ مَا بَالُ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَقْلٍ حَتَّى مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ ابْسُطْ يَدَكَ أَبَا بَعْرِكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ شَيْئًا لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَى أَبِي فَصِيلٍ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ خِيَلًا وَ رَجُلًا فَاْمْتَنِعْ عَلَيْهِ عَلِيٌّ ع فَلَمَّا بَيَّسَ مِنْهُ قَامَ عَنْهُ وَ هُوَ يُنْشِدُ شِعْرَ الْمَتَلَمِّسِ

ص: ٢٢١

قيل لأبي قحافة يوم ولي الأمر ابنه قد ولي ابنك الخلفه فقرأ قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ (٢) ثم قال لم ولوه قالوا لسنه قال أنا أسن منه.

نازع أبو سفيان أبا بكر في أمر فأغلظ له أبو بكر فقال له أبو قحافة يا بني أ تقول هذا لأبي سفيان شيخ البطحاء قال إن الله تعالى رفع بالإسلام بيوتا و وضع بيوتا فكان مما رفع بيتك يا أبت و مما وضع بيت أبي سفيان

ص: ٢٢٢

١-١) معاهد التنقيص ٣٠٦:٢. و العير هنا: الحمار.

٢-٢) الخسف: النقيصه. و الرمه: القطعه من الجبل.

إشاره

و فيه يبين عن صفته بأنه ع لا يخدع

وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَ يَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا وَ لَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ وَ بِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ (١) مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا . يُقَالُ أَرَصَدَ لَهُ بَشَرٌ أَيْ أَعَدَّ لَهُ وَ هِيَأَه

١٠٥

وَ فِي الْحَدِيثِ إِلَّا أَنْ أَرَصُدَهُ لِذَيْنِ عَلَيٍّ (٢) .

و اللدم صوت الحجر أو العصا أو غيرها تضرب به الأرض ضربا ليس بشديد.

و لما شرح الراوندي هذه اللفظات

١٠٦

قَالَ وَ فِي الْحَدِيثِ

وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ مِثْلَ الضَّبْعِ تَسْمَعُ اللَّدْمَ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَصَادَ .

و قد كان سامحه الله وقت تصنيفه الشرح ينظر في صحاح الجوهرى (٣) و ينقل منها فنقل هذا الحديث ظنا منه أنه حديث عن رسول الله ص و ليس كما ظنَّ بل الحديث الذى أشار إليه الجوهرى هو حديث على ع الذى نحن بصدد تفسيره .

و يختلها راصدها

يخدعها مترقبها ختلت فلانا خدعته و رصده ترقبته و مستأثرا على أى مستبدا دونى بالأمر و الاسم الأثره

١٠٧

وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ص

ص: ٢٢٣

٢-٢) نقله ابن الأثير في النهاية (٢:٨٢) عن أبي ذر: قال له عليه الصلاة والسلام: «ما أحبّ عندي مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، و تمسى ثالثه و عندي منه دينار؛ إلا ديناراً أرصده لدين».

٣-٣) صحاح الجوهري ٥:٢٠٢٩.

قَالَ لِلْأَنْصَارِ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَرُدُّوا عَلَيَّ الْحَوْضَ (١).

و العرب تقول فى رموزها و أمثالها أحقق من الضبع (٢) و يزعمون أن الصائد يدخل عليها و جارها فيقول لها أطرقى أم طريق خامرى أم عامر و يكرر ذلك عليها مرارا معنى أطرقى أم طريق طأطئى رأسك و كناها أم طريق لكثرة إطراقها على فعيل كالقبيط للناطف و العليق لنبت و معنى خامرى الزمى و جارك و استترى فيه خامر الرجل منزله إذا لزمه قالوا فتلجأ إلى أقصى مغارها و تتقبض فيقول أم عامر ليست فى و جارها أم عامر نائمه فتمد يديها و رجليها و تستلقى فيدخل عليها فيوثقها و هو يقول لها أبشرى أم عامر بكم (٣) الرجال أبشرى أم عامر بشاء هزلى و جراد عظلى (٤) أى يركب بعضه بعضا فتشدد عراقبيها فلا تتحرك و لو شاءت أن تقتله لأمكنها قال الكميت فعل المقره للمقاله خامرى يا أم عامر (٥).

و قال الشنفرى لا تقبرونى إن قبرى محرم

ص: ٢٢٤

- ١ - ١ ذكره ابن الأثير فى النهاية (١:١٥)، و قال: «الأثره، بفتح الهمزة و الشاء الاسم من آثر يؤثر إيثارا؛ إذا أعطى؛ أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم فى نصيبه فى الفىء».
- ٢ - ٢ المثل فى جمهره الأمثال ١:٢٧٦.
- ٣ - ٣ كم: جمع كمه؛ و هى قلفه الذكر، و فى جمهره الأمثال: «كمر»؛ جمع كمره؛ و هى رأس الذكر.
- ٤ - ٤ فى اللسان: «تعاضلت الجراد، إذا تسافتت» و أورد المثل.
- ٥ - ٥ من أبيات فى معانى ابن قتيبه ١:٢١٤.

أوصاهم ألا يدفنوه إذا قتل و قال اجعلوني أكلا للسباع كالشئ الذى يرغب به الضبع فى الخروج و تقدير الكلام لا تقبروني و لكن اجعلوني كالتى يقال لها خامرى أم عامر و هى الضبع فإنها لا تقبر و يمكن أن يقال أيضا أراد لا تقبروني و اجعلوني فريسه للتى يقال لها خامرى أم عامر لأنها تأكل الجيف و أشلاء القتلى و الموتى.

و قال أبو عبيده يأتى الصائد فيضرب بعقبه الأرض عند باب مغارها ضربا خفيفا و ذلك هو اللدم و يقول خامرى أم عامر مرارا بصوت ليس بشديد فتنام على ذلك فيدخل إليها فيجعل الحبل فى عرقوبها و يجرها فيخرجها يقول لا أقعد عن الحرب و الانتصار لنفسى و سلطانى فيكون حالى مع القوم المشار إليهم حال الضبع مع صائدها فأكون قد أسلمت نفسى فعل العاجز الأحمق و لكنى أحارب من عصانى بمن أطاعنى حتى أموت ثم عقب ذلك بقوله إن الاستئثار على و التغلب أمر لم يتجدد الآن و لكنه كان منذ قبض رسول الله ص

طلحه و الزبير و نسبهما

و طلحه هو أبو محمّد طلحه بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره أبوه ابن عم أبي بكر و أمه الصعبة بنت الحضرمى و كانت قبل أن تكون عند عبيد الله تحت أبي سفيان صخر بن حرب فطلقها ثم تبعها نفسه فقال فيها شعرا أوله و إننى و صعبه فيما أرى بعيدان و الود و د قريب.

فى أبيات مشهوره و طلحه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة و أحد أصحاب الشورى

١٠٨

١٤- وَ كَانَ لَهُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَوْمَ أُحُدٍ أَثَرٌ عَظِيمٌ وَ شَلَّتْ بَعْضُ

ص: ٢٢٥

أَصَابِعِهِ يَوْمَئِذٍ وَقَى رَسُولَ اللَّهِ ص بِيَدِهِ مِنْ سُيُوفِ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَئِذٍ الْيَوْمِ أَوْجَبَ طَلْحَهُ الْجَنَّةَ

(١)

و الزبير هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمه رسول الله ص و هو أحد العشرة أيضا و أحد الستة و ممن ثبت مع رسول الله ص يوم أحد و أبلى بلاء حسنا

١٠٩

و قَالَ النَّبِيُّ ص لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَ حَوَارِيٌّ الزُّبَيْرِيُّ .

و الحواري الخالصة تقول فلان خالصة فلان و خالصانه و حواريه أى شديد الاختصاص به و الاستخلاص له

خروج طارق بن شهاب لاستقبال على بن أبي طالب

١١٠

١،٢- خَرَجَ طَارِقُ بْنُ شِهَابِ الْأَحْمَسِيِّ يَسْتَقْبِلُ عَلِيًّا ع وَ قَدْ صَارَ بِالرَّبْدَةِ طَالِبًا عَائِشَةَ وَ أَصْحَابَهَا وَ كَانَ طَارِقٌ مِنْ صَحَابِهِ عَلِيٌّ ع وَ شِيعَتِهِ قَالَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ أَلْقَاهُ مَا أَقْدَمَهُ فَقِيلَ خَالَفَهُ طَلْحَهُ وَ الزُّبَيْرُ وَ عَائِشَةُ فَأَتَوْا الْبَصِيرَةَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّهَا الْحَرْبُ أَ فَأَقَاتِلَ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ وَ حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنَّ هَذَا لَعَظِيمٌ ثُمَّ قُلْتُ أَدْعُ عَلِيًّا وَ هُوَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ وَصِيُّهُ هَذَا أَعْظَمُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَصَّ عَلَيَّ قِصَّةَ الْقَوْمِ وَ قِصَّتَهُ ثُمَّ صَلَّى بِنَا الظُّهْرَ فَلَمَّا انْفَتَلَ جَاءَهُ الْحَسَنُ ابْنُهُ ع فَبَكَى بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ مَا بَالُكَ قَالَ أَبُوكَ لِقَتْلِكَ غَدًا بِمَضِيعِهِ وَ لَا نَاصِرَ لَكَ أَمَّا إِنِّي أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي ثُمَّ أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي فَقَالَ ع لَا تَزَالُ تَخْنُ خَيْنًا (٢) الْمَأْمُومَةَ مَا الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ فَعَصَيْتَنِي قَالَ أَمَرْتُكَ حِينَ أَحَاطَ النَّاسُ بِعُثْمَانَ أَنْ تَعْتَرَلَ فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا قَتَلُوهُ طَلَبُوكَ أَيْنَمَا كُنْتَ حَتَّى يُبَايَعُوكَ فَلَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَرْتُكَ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ أَلَّا تُوَافِقَهُمْ عَلَيَّ

ص: ٢٢٦

١- (١) أوجب، أى عمل عملا أوجب له الجنة. و انظر النهايه لابن الأثير ١٩٤:٤.

٢- (٢) الخين: تردد البكاء حتى يكون فى الصوت غنه. و الخبر فى اللسان (خن) و فى الأصول: «حين»، تحريف.

الْبَيْعَةَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ وَيَأْتِيَكَ وَفُودُ الْعَرَبِ فَلَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ خَالَفَكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فَأَمَرْتُكَ أَلَّا تَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْ تَدْعَهُمْ وَ
شَأْنَهُمْ فَإِنْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْكَ الْأُمَّةُ فَذَاكَ وَإِلَّا رَضَيْتَ بِقِضَاءِ اللَّهِ فَقَالَ ع وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبِّعِ تَنَامُ عَلَى الدَّمِ حَتَّى يَدْخُلَ إِلَيْهَا
طَالِبُهَا فَيَعْلُقَ الْحَبْلَ بِرِجْلِهَا وَيَقُولَ لَهَا دَبَابِ دَبَابِ حَتَّى يَقْطَعَ عُرْقُوبَهَا .

.. وَذَكَرَ تَمَامَ الْفَصْلِ فَكَانَ طَارِقُ بْنُ شِهَابٍ يَبْكِي إِذَا ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ

دَبَابِ اسْمِ الضَّبِّعِ مَبْنِي عَلَى الْكَسْرِ كِبْرَاحِ اسْمٍ لِلشَّمْسِ

ص: ٢٢٧

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِمُرِهِمْ مَلَكَاً وَ اتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً فَبَاضَ وَ فَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلْزَلُ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ .

يجوز أن يكون أشراكا جمع شريك كشريف و أشراف و يجوز أن يكون جمع شرك كجبل و أجال و المعنى بالاعتبارين مختلف .

و باض و فرخ في صدورهم استعاره للوسوسة و الإغواء و مراده طول مكثه و إقامته عليهم لأن الطائر لا يبيض و يفرخ إلا في الأعشاش التي هي وطنه و مسكنه و دب و درج في حجورهم أى ربوا الباطل كما يربى الوالدان الولد في حجورهما ثم ذكر أنه لشده اتحاده بهم و امتزاجه صار كمن ينظر بأعينهم و ينطق بألسنتهم أى صار الاثنان كالواحد قال أبو الطيب ما الخل إلا من أود بقلبه و أرى بطرف لا يرى بسوائه (١) .

و قال آخر كنا من المساعدة نحيا بروح واحده.

ص: ٢٢٨

وقال آخر جبلت نفسك في نفسي كما

والخطل القول الفاسد و يجوز أشركه الشيطان في سلطانه بالهمزه و شركه أيضا و بغير الهمزه أفصح

ص: ٢٢٩

و يدعوه للدخول فى البيعة ثانية

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ وَ ادَّعَى الْوَلِيَجَةَ فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَ إِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ .

الوليجه

البطانه و الأمر يسر و يكتم قال الله سبحانه وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَجْهَ (١) كان الزبير يقول بايعة بيدى لا- بقلبى و كان يدعى تاره أنه أكره و يدعى تاره أنه ورى فى البيعه توريه و نوى دخيله و أتى بمعارضى لا تحمل على ظاهرها فقال ع هذا الكلام إقرار منه بالبيعه و ادعاء أمر آخر لم يقم عليه دليلا و لم ينصب له برهانا فإما أن يقيم دليلا على فساد البيعه الظاهره و أنها غير لازمه له و إما أن يعاود طاعته.

١١١

١- قَالَ عَلِيٌّ ع لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ بَايَعَهُ إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ تَغْدِرَ بِي وَ تَنْكُثَ بِيَعْتِي قَالَ لَا تَخَافَنَّ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ مِنِّي أَبَدًا فَقَالَ ع فَلَئِي اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ رَاعٍ وَ كَفِيلٌ قَالَ نَعَمْ اللَّهُ لَكَ عَلَيَّ بِذَلِكَ رَاعٍ وَ كَفِيلٌ .

أمر طلحه و الزبير مع علي بن أبي طالب بعد بيعتهما له

١١٢

١- لَمَّا بُوِيعَ عَلِيٌّ ع كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النَّاسَ قَتَلُوا عُثْمَانَ عَنْ غَيْرِ

ص: ٢٣٠

مَشُورِهِ مِنِّي وَبَايَعُونِي عَنْ مَشُورِهِ مِنْهُمْ وَاجْتِمَاعٍ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَبَايِعْ لِي وَ أَوْفِدْ إِلَيَّ أَشْرَافَ أَهْلِ الشَّامِ قَبْلَكَ .

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَرَأَ كِتَابَهُ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُمَيْسٍ وَ كَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِعَبِيدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعِيدُ فَهَاتِي قَدْ بَايَعْتَ لَكَ أَهْلَ الشَّامِ فَأَجَابُوا وَ اسْتَوْسَقُوا (١) كَمَا يَسْتَوْسِقُ الْجَلْبُ فِدْوَتَكَ الْكُوفَةَ وَ الْبَصِيرَةَ لَا يَسْبِقُكَ إِلَيْهَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ بَعْدَ هَذَيْنِ الْمَضْرَيْنِ وَ قَدْ بَايَعْتَ لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ مِنْ بَعِيدِكَ فَأَظْهَرَا الطَّلَبَ بِحَدَمِ عُنْمَانَ وَ ادْعُوا النَّاسَ إِلَى ذَلِكِ وَ لِيَكُنْ مِنْكُمْ الْجِدُّ وَ التَّشْمِيرُ أَظْفَرَ كَمَا اللَّهُ وَ خَذَلْ مُنَاوِنُكُمْ .

فَلَمَّا وَصَلَ هَذَا الْكِتَابُ إِلَى الزُّبَيْرِ سِيرَ بِهِ وَ أَعْلَمَ بِهِ طَلْحَةَ وَ أَقْرَأَهُ إِبَاهُ فَلَمْ يَشْكَا فِي النُّصْحِ لَهُمَا مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ وَ أَجْمَعًا عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى خِلَافِ عَلِيٍّ ع .

١١٣

١- جَاءَ الزُّبَيْرُ وَ طَلْحَةُ إِلَى عَلِيٍّ ع بَعِيدَ الْبَيْعَةِ بِأَيَّامٍ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَأَيْتَ مَا كُنَّا فِيهِ مِنَ الْجَفْوَةِ فِي وَايِهِ عُثْمَانَ كُلُّهَا وَ عَلِمْتَ رَأَى عُثْمَانَ كَانَ فِي بَنِي أُمِّيهِ وَ قَدْ وَاكَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَلْنَا بَعْضَ أَعْمَالِكَ فَقَالَ لَهُمَا اِرْضَا يَا بَقَسِمِ اللَّهُ لَكُمْ حَتَّى أَرَى رَأْيِي وَ اعْلَمَا أَنِّي لَا أُشْرِكُ فِي أَمَانَتِي إِلَّا مَنْ أَرْضَى بِدِينِهِ وَ أَمَانَتِهِ مِنْ أَصْحَابِي وَ مَنْ قَدْ عَرَفْتُ دَخِيلَتَهُ .

فَانْصَرَفَا عَنْهُ وَ قَدْ دَخَلَهُمَا الْيَأْسُ فَاسْتَأْذَنَاهُ فِي الْعُمْرَةِ .

ص: ٢٣١

(١- ١) استوسقوا: استجمعوا وانضموا. و في نهايه ابن الأثير: «و منه حديث أحد: استوسقوا كما يستوسق جرب الغنم، أي استجمعوا».

١- طَلَبَ طَلْحَهُ وَ الزُّبَيْرُ مِنْ عَلِيٍّ عَ أَنَّ يُؤَلِّيَهُمَا الْمِصْرَيْنِ الْبُصْرَةَ وَ الْكُوفَةَ فَقَالَ حَتَّى أَنْظُرَ ثُمَّ اسْتَشَارَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فَقَالَ لَهُ أَرَى أَنْ تُؤَلِّيَهُمَا إِلَيَّ أَنْ يَسْتَتِيمَ لَكَ أَمْرُ النَّاسِ فَخَلَا بِابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَالَ مَا تَرَى قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْكُوفَةَ وَ الْبُصْرَةَ عَيْنُ الْخِلَافَةِ وَ بِهِمَا كُنُوزُ الرَّجَالِ وَ مَكَانُ طَلْحَهُ وَ الزُّبَيْرِ مِنَ الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ وَ لَسْتُ آمَنُهُمَا إِنْ وَلِيْتَهُمَا أَنْ يُحْدِثَا أَمْرًا فَأَخَذَ عَلِيٌّ عَ بِرَأْيِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَدْ كَانَ اسْتَشَارَ الْمُغِيرَةَ أَيْضًا فِي أَمْرِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ أَرَى إِقْرَارَهُ عَلَيَّ الشَّامِ وَ أَنْ تَتَّبِعْتَ إِلَيْهِ بَعِيدَهُ إِلَيَّ أَنْ يَسِيْرَ شَعْبُ النَّاسِ وَ لَكَ بَعْدَ رَأْيِكَ فَلَمْ يَأْخُذْ بِرَأْيِهِ.

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بَعْدَ ذَلِكَ وَ اللَّهُ مَا نَصَحْتُهُ فَبَلَّهَا وَ لَا أَنْصَحُهُ بَعْدَهَا مَا بَقِيَتْ

١- دَخَلَ الزُّبَيْرُ وَ طَلْحَهُ عَلَيَّ عَ فَاسْتَأْذَنَاهُ فِي الْعُمْرَةِ فَقَالَ مَا الْعُمْرَةُ تُرِيدَانِ فَحَلَفَا لَهُ بِاللَّهِ أَنْهُمَا مَا يُرِيدَانِ غَيْرَ الْعُمْرَةِ فَقَالَ لَهُمَا مَا الْعُمْرَةُ تُرِيدَانِ وَ إِنَّمَا تُرِيدَانِ الْغُدْرَةَ وَ نَكْتِ الْبَيْعَةَ فَحَلَفَا بِاللَّهِ مَا الْخِلَافَ عَلَيْهِ وَ لَا نَكْتِ بَيْعِهِ يُرِيدَانِ وَ مَا رَأَيْتُهُمَا غَيْرَ الْعُمْرَةِ قَالَ لَهُمَا فَأَعِيدَا الْبَيْعَةَ لِي ثَانِيَةً فَأَعَادَاهَا بِأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَيْمَانِ وَ الْمَوَائِقِ فَأَذِنَ لَهُمَا فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ لِمَنْ كَانَ حَاضِرًا وَ اللَّهُ لَا تَرُونَهُمَا إِلَّا فِي فَتْنَةٍ يَفْتَتِلَانِ فِيهَا قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمُرْ بِرَدِّهِمَا عَلَيْكَ قَالَ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا

١- لَمَّا خَرَجَ الزُّبَيْرُ وَ طَلْحَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ لَمْ يُلْقِيَا أَحَدًا إِلَّا وَ قَالَا لَهُ لَيْسَ لِعَلِيٍّ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةٌ وَ إِنَّمَا بَايَعْنَاهُ مُكْرَهَيْنِ فَبَلَغَ عَلِيًّا عَ قَوْلَهُمَا فَقَالَ أَبْعَدَهُمَا اللَّهُ وَ أَغْرَبَ (١) دَارَهُمَا أَمَا وَ اللَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا سَيَقْتُلَانِ أَنْفُسَهُمَا أَخْبَثَ مَقْتَلٍ وَ يَأْتِيَانِ مَنْ

ص: ٢٣٢

وَرَدَا عَلَيْهِ بِأَشْأَمِ يَوْمِ وَاللَّهِ مَا الْعُمْرَةَ يُرِيدَانِ وَ لَقَدْ أَتَيْتَنِي بِوَجْهِ فَاجِرِينَ وَ رَجَعَا بِوَجْهِ غَادِرِينَ نَاكِثِينَ وَ اللَّهُ لَا يَلْقَانِي بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا فِي كِتَابِهِ خَشَاءً (١) يَفْتَلَانِ فِيهَا أَنْفُسَهُمَا فَبَعْدًا لَهُمَا وَ سُحْقًا

١١٧

١- وَ ذَكَرَ أَبُو مِخْنَفٍ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ أَنَّ عَلِيًّا عَ خَطَبَ لَمَّا سَارَ الزُّبَيْرُ وَ طَلَحَهُ مِنْ مَكَّةَ وَ مَعَهُمَا عَائِشَةُ يُرِيدُونَ الْبَصِيرَةَ فَقَالَ أَيْهَا النَّاسُ إِنَّ عَائِشَةَ سَارَتْ إِلَى الْبَصِيرَةِ وَ مَعَهَا طَلَحَهُ وَ الزُّبَيْرُ وَ كُلُّ مِنْهُمَا يَرَى الْأَمْرَ لَهُ دُونَ صَاحِبِهِ أَمَا طَلَحَهُ فَابْنُ عَمِّهَا وَ أَمَا الزُّبَيْرُ فَخَتْنِيهَا وَ اللَّهُ لَوْ ظَفَرُوا بِمَا أَرَادُوا وَ لَنْ يَنَالُوا ذَلِكَ أَبَدًا لِيُضْرِبَنَّ أَحَدُهُمَا عُنُقَ صَاحِبِهِ بَعِيدَ تَنَازُعٍ مِنْهُمَا شَدِيدٍ وَ اللَّهُ إِنْ رَاكِبَهُ الْجَمَلِ الْمَاحِرِ مَا تَفْطَعُ عَقَبَهُ وَ لَا- تَحُلُّ عُقْدَهُ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَ سَيَخْطُهُ حَتَّى تُورِدَ نَفْسَهَا وَ مَنْ مَعَهَا مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ إِي وَ اللَّهُ لَيَقْتُلَنَّ ثَلَاثَهُمْ وَ لِيَهْرَبَنَّ ثَلَاثُهُمْ وَ لِيَتَوَبَنَّ ثَلَاثُهُمْ وَ إِنَّهَا الَّتِي تَتَّبِعُهَا كِلَابُ الْحَوَاطِبِ وَ إِنَّهُمَا لَيَعْلَمَانِ أَنََّّهُمَا مُخْطِئَانِ وَ رَبُّ عَالَمٍ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَ مَعَهُ عِلْمُهُ لَا- يَنْفَعُهُ وَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ فِيهَا الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ أَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ أَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ أَمَا وَ اللَّهُ لَقَدْ قَتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأَقْتُلَنَّاهُمْ مَفْتُونِينَ وَ مَا لَنَا إِلَى عَائِشَةَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا أَنَا أَدْخَلْنَاهَا فِي حَيْرِنَا وَ اللَّهُ لَأَبْقِرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَظْهَرَ الْحَقُّ مِنْ خَاصِرَتِهِ فَقُلْ لِقُرَيْشٍ فَلْتَضِحَّ صَاحِبُهَا ثُمَّ نَزَلَ .

١١٨

١،١٤- بَرَزَ عَلِيٌّ عَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَ نَادَى بِالزُّبَيْرِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مِرَارًا فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ فَتَقَارَبَا حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ حَيْلِهِمَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَ إِنَّمَا دَعَوْتُكَ لِأَذْكَرَكَ حَدِيثًا قَالَهُ لِي وَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَ أَتَذْكَرُ يَوْمَ رَأَيْتَكَ وَ أَنْتَ مُعْتَنِي فَقَالَ لَكَ

ص: ٢٣٣

(١-١) كِتَابِهِ خَشَاءً، أَي كَثِيرَهُ السَّلَاحِ خَشْنَتَهُ.

أَتَجِبُهُ قُلْتُ وَ مَا لِي لَا- أَحِبُّهُ وَ هُوَ أَخِي وَ ابْنُ خَالِي فَقَالَ أَمَا إِنَّكَ سَتُحَارِبُهُ وَ أَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ فَاسْتَرْجِعِ الزُّبَيْرُ وَ قَالَ أَذْكَرْتَنِي مَا أَنْسَانِيهِ الدَّهْرُ وَ رَجَعَ إِلَى صُفُوفِهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُهُ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَيْنَا بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي فَارَقْتَنَا بِهِ فَقَالَ أَذْكَرْتَنِي عَلِيُّ حَدِيثًا أَنْسَانِيهِ الدَّهْرُ فَلَا أُحَارِبُهُ أَبَدًا وَ إِنِّي لَرَاغِعٌ وَ تَارِكُكُمْ مِنْذُ الْيَوْمِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ مَا أَرَاكَ إِلَّا جُبْنَتْ عَنْ سُيُوفِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّهَا لَسُيُوفٌ حِدَادٌ تَحْمِلُهَا فِئْتُهُ أَنْجَادٌ فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَيَلَمُّكَ أَ تَهَيَّبُنِي عَلَى حَرْبِهِ أَمَا إِنِّي قَدْ حَلَفْتُ أَلَّا أُحَارِبَهُ قَالَ كَفَرُ عَنْ يَمِينِكَ لَا تَتَحَدَّثْ نِسَاءَ قُرَيْشٍ أَنْكَ جُبْنَتْ وَ مَا كُنْتَ جَبَانًا فَقَالَ الزُّبَيْرُ غَلَامِي مَكْحُولٌ حُرٌّ كَفَّارَةٌ عَنْ يَمِينِي ثُمَّ أَنْصَلَ (١) سَنَانَ رُمَحِهِ وَ حَمَلَ عَلَى عَسِيكَرِ عَلِيٍّ عِ بَرْمُجٍ لَا سِنَانَ لَهُ فَقَالَ عَلِيُّ عِ أَفْرَجُوا لَهُ فَإِنَّهُ مُحَرَّرٌ ثُمَّ عَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ حَمَلَ ثَانِيَةً ثُمَّ ثَالِثَةً ثُمَّ قَالَ لِإِنِّيهِ أَجُبْنَا وَيَلَمُّكَ تَرَى فَقَالَ لَقَدْ أَعْدَرْتُ

١١٩

١- لَمَّا أَذْكَرَ عَلِيُّ عِ الزُّبَيْرُ بِمَا أَذْكَرَهُ بِهِ وَ رَجَعَ الزُّبَيْرُ قَالَ نَادَى عَلِيُّ بِأَمْرٍ لَسْتُ أَنْكَرُهُ .

١٢٠

١- لَمَّا خَرَجَ عَلِيُّ عِ لَطَلَبِ الزُّبَيْرِ خَرَجَ حَاسِرًا وَ خَرَجَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ دَارِعًا مُدَجَّجًا فَقَالَ لِلزُّبَيْرِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ لَعَمْرِي أَعْدَدْتُ سِلَاحًا وَ حَبَدًا فَهَلْ أَعِيدَتْ عِنْدَ اللَّهِ عِذْرًا فَقَالَ الزُّبَيْرُ إِنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ قَالَ عَلِيُّ عِ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢) ثُمَّ أَذْكَرَهُ الْحَبْرَ فَلَمَّا كَرَّ

ص: ٢٣٤

(١-١) أنصل سنان رمحه، أى نزع.

(٢-٢) سورة النور ٢٥.

الزُّبَيْرُ رَاجِعاً إِلَى أَصْحَابِهِ نَادِماً وَاجِماً رَجَعَ عَلِيٌّ عِ إِلَى أَصْحَابِهِ حَيْدِلاً مَسْرُوراً فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَبْزُرُ إِلَى الزُّبَيْرِ حَاسِراً وَهُوَ شَاكٍ (١) فِي السَّلَاحِ وَ أَنْتَ تَعْرِفُ شَجَاعَتَهُ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ بِقَاتِلِي إِنَّمَا يَقْتُلُنِي رَجُلٌ خَامِلُ الذِّكْرِ ضَيْلُ النَّسَبِ غَيْلَهُ فِي غَيْرِ مَاقِطٍ (٢) حَرْبٍ وَلَا مَعْرَكَةٍ رِجَالٍ وَيُلَمُّهُ أَشَقَى الْبَشَرِ لِيُودِّنَ أَنَّ أُمَّهُ هَبَلَتْ بِهِ أَمَا إِنَّهُ وَ أَحْمَرُ ثُمُودٍ لَمَقْرُونَانِ فِي قَرْنِ

١٢١

١١٤- لَمَّا انْصَرَفَ الزُّبَيْرُ عَنِ حَرْبِ عَلِيٍّ عِ مَرَّ بِوَادِي السَّبَاعِ وَالْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ هُنَاكَ فِي جَمْعٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَدِ اعْتَرَلَ الْفَرِيقَيْنِ فَأَخْبَرَ الْأَخْنَفُ بِمُرُورِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ رَافِعاً صَوْتَهُ مَا أَصْبَحَ بِالزُّبَيْرِ لَفَّ غَارِينَ (٣) مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَخَذَتِ السُّيُوفُ مِنْهُمَا مَا أَخَذَهَا انْسِلَّ وَ تَرَكَهُمْ أَمَا إِنَّهُ لَخَلِيقٌ بِالْقَتْلِ قَتَلَهُ اللَّهُ فَاتَّبَعَهُ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ وَ كَانَ فَاتِكاً فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهُ وَقَفَ الزُّبَيْرُ وَقَالَ مَا شَأْنُكَ قَالَ جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ عَنْ أَمْرِ النَّاسِ قَالَ الزُّبَيْرُ إِنِّي تَرَكَتُهُمْ قِيَاماً فِي الرَّكْبِ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ وَجْهَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ فَسَارَ ابْنُ جُرْمُوزٍ مَعَهُ وَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَتَّقِي الْآخَرَ فَلَمَّا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَالَ الزُّبَيْرُ يَا هَذَا إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصَلِّيَ.

فَقَالَ ابْنُ جُرْمُوزٍ وَ أَنَا أُرِيدُ ذَلِكَ فَقَالَ الزُّبَيْرُ فَتَوَمَّنِي وَ أُوْمِّنْكَ قَالَ نَعَمْ فَتَنَى الزُّبَيْرُ رِجْلَهُ وَ أَخَذَ وَضُوءَهُ فَلَمَّا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ شَدَّ ابْنُ جُرْمُوزٍ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَ أَخَذَ رَأْسَهُ وَ حَاتَمَهُ وَ سَيَّفَهُ وَ حَثَا عَلَيْهِ تُرَاباً يَسِيراً وَ رَجَعَ إِلَى الْأَخْنَفِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ وَ اللَّهُ مَا أَدْرِي أَسَأْتُ أَمْ أَحْسَنْتُ أَذْهَبُ إِلَى عَلِيٍّ عِ فَأَخْبِرُهُ فَجَاءَ إِلَى عَلِيٍّ عِ فَقَالَ لِلَّذِينَ قُلُّ لَهُ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ بِالْبَابِ وَ مَعَهُ رَأْسُ الزُّبَيْرِ وَ سَيْفُهُ فَأَدْخَلَهُ وَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِالرَّأْسِ بَلْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ لَهُ وَ أَنْتَ قَتَلْتَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَ اللَّهُ مَا كَانَ ابْنُ صَيْفِيَةَ جَبَاناً وَ لَا لَيْمَاءً وَ لَكِنَّ الْحَيْنَ وَ مَصَارِعَ السَّوِّءِ

ص: ٢٣٥

١-١) يقال: رجل شاكي السلاح؛ إذا كان ذا شوكة و حد في سلاحه.

٢-٢) المأقط: ساحه القتال.

٣-٣) الغار هنا: الجيش، و في اللسان ٣٤:٦: «جمع بين غارين».

ثُمَّ قَالَ نَاوِلْنِي سَيْفَهُ فَنَآوَلَهُ فَهَزَّهٗ وَقَالَ سَيْفٌ طَالَمَا جَلَىٰ بِهِ الْكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ ابْنُ جُرْمُوزٍ الْحَيَّائِزَةَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ بَشْرٌ قَاتِلٌ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ فَخَرَجَ ابْنُ جُرْمُوزٍ خَائِبًا وَقَالَ أَتَيْتُ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزُّبَيْرِ
ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ جُرْمُوزٍ عَلَى عَلِيٍّ ع مَعَ أَهْلِ النَّهْرِ فَقَتَلَهُ مَعَهُمْ فَيَمَنْ قَتَلَ

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا وَ مَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ وَ لَسْنَا نَزْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ وَ لَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .

أرعد الرجل و أبرق إذا أوعد و تهدد و كان الأسمى ينكره و يزعم أنه لا يقال إلا أرعد و برق و لما احتج عليه بيت الكميت
أرعد و أبرق يا يزيد فما وعيدك لى بضائر.

قال الكميت قروى لا يحتج بقوله (١).

و كلام أمير المؤمنين ع حجه داله على بطلان قول الأسمى و الفشل الجبن و الخور .

و قوله و لا نسيل حتى نمطر كلمه فصيحجه يقول إن أصحاب الجمل فى وعيدهم و إجلابهم بمنزله من يدعى أنه يحدث السيل
قبل إحداث المطر و هذا محال لأن السيل إنما يكون من المطر فكيف يسبق المطر و أما نحن فإننا لا ندعى ذلك و إنما نجرى
الأمور على حقائقها فإن كان منا مطر كان منا سيل و إذا أوقعنا بخصمنا أوعدنا حينئذ بالإيقاع به غيره من خصومنا.

ص: ٢٣٧

وقوله ع و مع هذين الأمرين الفشل معنى حسن لأن الغالب من الجبناء كثره الضوضاء و الجلبه يوم الحرب كما أن الغالب من الشجعان الصمت و السكون.

و سمع أبو طاهر الجنابي (١) ضوضاء عسكر المقتدر بالله و دبادبهم (٢) و بُوقاتهم و هو فى ألف و خمسمائه و عسكر المقتدر فى عشرين ألفا مقدمهم يوسف بن أبى الساج فقال لبعض أصحابه ما هذا الزَّجَل (٣) قال فَشَل قال أَجَل.

و يقال إنّه ما رئى جيش كجيش أبى طاهر ما كان يسمع لهم صوت حتّى أن الخيل لم تكن لها حمحمه فرشق عسكر ابن أبى الساج (٤) القرامطه بالسهم المسمومه فجرح منهم أكثر من خمسمائه إنسان.

و كان أبو طاهر فى عماريه له فنزل و ركب فرسات و حمل بنفسه و معه أصحابه حممه على عسكر ابن أبى الساج فكسروه و فلوه و خلصوا إلى يوسف فأسروه و تقطع عسكره بعد أن أتى بالقتل على كثير منهم و كان ذلك فى سنه خمس عشره و ثلاثمائه.

و من أمثالهم الصدق ينبئ عنك لا الوعيد

ص: ٢٣٨

١-١) هو أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابي؛ كان أبوه الحسن كبير القرامطه؛ و قتل سنه ٣٠١، قتله خادم له صقلبي، فتولى ابنه أبو طاهر أمر القرامطه بعده، بعد أن عجز أخوه سعيد عن الأمر. تاريخ ابن الأثير ١٤٧: ٦.

٢-٢) فى اللسان: «الدباب: صوت كأنه دب، دب؛ و هى حكاية الصوت».

٣-٣) الزجل: الجلبه و رفع الصوت.

٤-٤) هو يوسف بن أبى الساج؛ أحد و لاه الرى فى عهد المقتدر؛ و كان استقل عن الخليفه، ثم عاد إلى طاعته. و انظر طرفا من أخباره فى تاريخ ابن الأثير فى ١٧٥: ٦، و ما بعدها.

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجَلَهُ وَإِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبْسَ عَلَيَّ وَإِيْمُ اللّٰهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصُدُّرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

يمكن أن يعنى بالشیطان الشیطان الحقیقی و يمكن أن يعنى به معاويه فإن عنى معاويه فقوله قد جمع حزبه و استجلب خيله و رجله كلام جار على حقائقه و إن عنى به الشیطان كان ذلك من باب الاستعاره و مأخوذا من قوله تعالى وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ (١) و الرجل جمع راجل كالشرب جمع شارب و الركب جمع راكب .

قوله و إن معى لبصيرتى يريد أن البصيره التى كانت معى فى زمن رسول الله ص لم تتغير .

و قوله ما لبست تقسيم جيد لأن كل ضال عن الهدايه فإما أن يضل من تلقاء نفسه أو بإضلال غيره له .

و قوله لأفطرن من رواها بفتح الهمزه فأصله فرط ثلاثى يقال فرط

ص: ٢٣٩

زيد القوم أى سبقهم و رجل فرط يسبق القوم إلى البئر فيهيئ لهم الأرشيه و الدلاء و منه قوله ع أنا فرطكم على الحوض و يكون تقدير الكلام و أيم الله لأفرطن لهم إلى حوض فلما حذف الجار عدى الفعل بنفسه فنصب كقوله تعالى وَ اخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ (١) و تكون اللام فى لهم إمّا لام التعديه كقوله وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ أى و يؤمن المؤمنين أو تكون لام التعليل أى لأجلهم و من رواها لأفرطن بضم الهمزه فهو من أفرط المزاده أى ملأها.

و الماتح المستقى متح يمتح بالفتح و الماتح بالياء الذى ينزل إلى البئر فيملأ الدلو.

و قيل لأبى على رحمه الله ما الفرق بين الماتح و الماتح فقال هما كإعجامهما يعنى أن التاء بنقطتين من فوق و كذلك الماتح لأنه المستقى فهو فوق البئر و الياء بنقطتين من تحت و كذلك الماتح لأنه تحت فى الماء الذى فى البئر يملأ الدلاء و معنى قوله أنا ماتحه أنا خبير به كما يقول من يدعى معرفه الدار أنا بانى هذه الدار و الكلام استعاره يقول لأملأن لهم حياض الحرب التى هى دربتى و عادتى أو لأسبقنهم إلى حياض حرب أنا متدرب بها مجرب لها إذا وردوها لا يصدرون عنها يعنى قتلهم و إزهاق أنفسهم و من فر منهم لا يعود إليها و من هذا اللفظ قول الشاعر مخضت بدلوه حتى تحسى ذنوب الشر ملأى أو قرابا (٢)

ص: ٢٤٠

١-١) سورة الأعراف ١٥٥.

٢-٢) البيت فى شرح الحماسه للمرزوقى ٥٣٣ من غير نسبه.

اشاره

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُّ عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ أَعْرِ اللَّهُ جُمُجُمَتَكَ تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ اِرْمِ بِبَصِيرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غَضُّ بَصْرِكَ وَ
اعْلَمْ أَنَّ النَّصِيرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ . قوله تزول الجبال و لا- تزل خبر فيه معنى الشرط تقديره إن زالت الجبال فلا تزل أنت و
المراد المبالغه فى أخبار صفيين أن بنى عكل و كانوا مع أهل الشام حملوا فى يوم من أيام صفيين خرجوا و عقلوا أنفسهم
بعمائمهم و تحالفوا أنا لا نفر حتى يفر هذا الحكر بالكاف قالوا لأن عكلا تبدل الجيم كفا .

و الناجذ أقصى الأضراس و تد أمر من و تد قدمه فى الأرض أى أثبتها فيها كالوتد و لا تناقض بين قوله ارم ببصرك و قوله غض
بصرك و ذلك لأنه فى الأولى أمره أن يفتح عينه و يرفع طرفه و يحدق إلى أقصى القوم ببصره فعل الشجاع المقدام غير
المكترث و لا المبالى لأن الجبان تضعف نفسه و يخفق قلبه فيقصر بصره و لا يرتفع طرفه و لا يمتد عنقه و يكون ناكس الرأس
غضيض الطرف و فى الثانية أمره أن يغض بصره عن بريق سيوفهم و لمعان دروعهم لئلا يبرق بصره و يدهش و يستشعر خوفا و
تقدير الكلام و احمل و حذف ذلك للعلم به فكأنه قال إذا عزمت على الحمله

و صممت فغض حينئذ بصرك و احمل و كن كالعشواء التي تخط ما أمامها و لا تبالي.

و قوله عض على ناجذك قالوا إن العاض على نواجذه ينو السيف عن دماغه لأن عظام الرأس تشتد و تصلب و قد جاء فى كلامه ع هذا مشروحا فى موضع آخر و هو قوله و عضوا على النواجذ فإنه أنبى للصوارم عن الهام و يحتمل أن يريد به شده الحنق قالوا فلان يحرق على الأرم يريدون شده الغيظ و الحرق صريف الأسنان و صوتها و الأرم الأضراس .

و قوله أعر الله جمجمتك معناه ابدلها فى طاعه الله و يمكن أن يقال إن ذلك إشعار له أنه لا يقتل فى تلك الحرب لأن العاربه مردوده و لو قال له بع الله جمجمتك لكان ذلك إشعارا له بالشهاده فيها.

و أخذ يزيد بن المهلب هذه اللفظه فخطب أصحابه بواسط فقال إننى قد أسمع قول الرعاع جاء مسلمه و جاء العباس (١) و جاء أهل الشام و من أهل الشام و الله ما هم إلا تسعه أسياف سبعة منها معى و اثنان على و أما مسلمه فجراده صفراء و أما العباس فنسطوس (٢) ابن نسطوس أتاكم فى برابره و صقالبه و جرامقه و جراحمه (٣) و أقباط و أنباط و أخلاط إنما أقبل إليكم الفلاحون و أوباش كأشلاء اللحم و الله ما لقوا قط كحديدكم و عديدكم أعيرونى سواعدكم ساعه تصفقون بها خراطيمهم فإنما هى غدوه أو روحه حتى يحكم الله بيننا و بين القوم الظالمين.

من صفات الشجاع قولهم فلان مغامر و فلان غشمشم أى لا يبصر ما بين يديه فى الحرب و ذلك لشده تقحمه و ركوبه المهلكه و قله نظره فى العاقبه و هذا هو معنى قوله ع لمحمد غض بصرك

ص: ٢٤٢

١- ١) هما مسلمه بن عبد الملك و العباس بن الوليد بن عبد الملك، جهزهما يزيد بن عبد الملك لقتال يزيد ابن المهلب. انظر ابن خلكان، ترجمه يزيد بن المهلب.

٢- ٢) إشاره إلى أن أمه كانت أمه روميه نصرانيه.

٣- ٣) الجرامقه: قوم من العجم صاروا بالموصل فى أوائل الإسلام. و الجرامقه: قوم من العجم بالجزيره، أو نبط الشام.

و كان حمزه بن عبد المطلب مغامرا غشمشما لا يبصر أمامه قال جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف لعبده وحشى يوم أحد ويلك إن عليا قتل عمى طعيمه سيد البطحاء يوم بدر فإن قتلته اليوم فأنت حر و إن قتلت محمدا فأنت حر و إن قتلت حمزه فأنت حر فلا أحد يعدل عمى إلا هؤلاء فقال أما محمد فإن أصحابه دونه و لن يسلموه و لا أرانى أصل إليه و أما على فرجل حذر مرس (١) كثير الالتفات فى الحرب لا- أستطيع قتله و لكن سأقتل لك حمزه فإنه رجل لا يبصر أمامه فى الحرب فوقف لحمزه حتى إذا حاذاه زرقه بالحربه كما تزرق (٢) الحبشه بحرابها فقتله

محمد بن الحنفية و نسبه و بعض أخباره

١٢٢

١- دَفَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ يَوْمَ الْجَمَلِ رَأْيَهُ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِهِ عَ وَ قَدِ اسْتَوَتْ الصُّفُوفُ وَ قَالَ لَهُ إِحْمِلْ فَتَوَقَّفْ قَلِيلًا- فَصَالَ لَهُ إِحْمِلْ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا تَرَى السَّهَامَ كَأَنَّهَا شَائِبُ الْمَطَرِ فَدَفَعَ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ أَدْرَكَكَ عِزُّكَ مِنْ أُمَّكَ ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْيَةَ فَهَزَّهَا ثُمَّ قَالَ أَطْعُنْ بِهَا طَعْنَ أَبِيكَ تُحْمِدُ لَا خَيْرَ فِي الْحَرْبِ إِذَا لَمْ تُوقَدْ بِالْمَشْرِفِيِّ وَ الْقَنَا الْمُسَيِّدِ ثُمَّ حَمَلَ وَ حَمَلَ النَّاسُ خَلْفَهُ فَطَحَنَ عَسْكَرَ الْبَصْرَةِ

ص: ٢٤٣

(١-١) رجل مرس: شديد العلاج للأمور.

(٢-٢) زرقه: طعنه.

١،٢،٣- قِيلَ لِمُحَمَّدٍ لِمَ يُعَرِّزُ بِحُكِّ أَبِيكَ فِي الْحَرْبِ وَلَا يُعَرِّزُ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ع فَقَالَ إِنَّهُمَا عَيْنَاهُ وَأَنَا يَمِينُهُ فَهُوَ يَدْفَعُ عَنْ عَيْنَيْهِ بِيَمِينِهِ

١،٢،٣- كَانَ عَلِيٌّ ع يَقْدِفُ بِمُحَمَّدٍ فِي مَهَالِكِ الْحَرْبِ وَيَكْفُ حَسَنًا وَحُسَيْنًا عَنْهَا.
وَمِنْ كَلَامِهِ فِي يَوْمِ صِفِّينَ إِذْ لَمَّ بِمُحَمَّدٍ عَنِّي هَذَيْنِ الْفَتَيَيْنِ أَخَافُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص .

أم محمد رضى الله عنه خوله بنت جعفر بن قيس بن مسلمه بن عبيد بن ثعلبه بن يربوع بن ثعلبه بن الدؤل بن حنيفه بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .و اختلف في أمرها

١- فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا سَبِيَّةٌ مِنْ سَبَايَا الرِّدَّةِ قَوْلَ أَهْلِهَا عَلِيٌّ يَدُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا مَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ الزَّكَاةَ وَارْتَدَّتْ بَنُو حَنِيفَةَ وَادَّعَتْ ثُبُوءَ مُسَيْلَمَةَ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ دَفَعَهَا إِلَى عَلِيٍّ ع مِنْ سَهْمِهِ فِي الْمَغْنَمِ .

١٤،١- وَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّفِ الْمِدَائِنِيِّ هِيَ سَبِيَّةٌ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالُوا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ فَأَصَابَ خَوْلَةَ فِي بَنِي زُبَيْدٍ وَقَدِ ارْتَدُّوا مَعَ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ وَكَانَتْ زُبَيْدٌ سَبْتَهَا مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ فِي غَارِهِ لَهُمْ عَلَيْهِمْ فَصَارَتْ فِي سَهْمِ عَلِيٍّ ع فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ وَلَدْتُ مِنْكَ غُلَامًا فَسَمِّهِ بِاسْمِي وَكَانَ بِكُنْيَتِي فَوَلَدَتْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ ع مُحَمَّدًا فَكَانَتْ أَبَا الْقَاسِمِ .

١- وَقَالَ قَوْمٌ وَهُمْ الْمُحَقِّقُونَ وَقَوْلُهُمُ الْأَظْهَرُ إِنَّ بَنِي أَسَدٍ أَعَارَتْ عَلِيَّ بَنِي حَنِيفَةَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَسَبَّوْا خَوْلَةَ بِنْتَ جَعْفَرٍ وَقَدِمُوا بِهَا الْمَدِينَةَ فَبَاغَوْهَا مِنْ عَلِيٍّ ع

وَبَلَغَ قَوْمَهَا خَبْرَهَا فَقَسِدُوا الْمَيْدِينَ عَلَى عَلِيٍّ عَ فَعَرَفُوهَا وَأَخْبَرُوهُ بِمَوْضِعِهَا مِنْهُمْ فَأَعْتَقَهَا وَ مَهَرَهَا وَ تَزَوَّجَهَا فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا
فَكَتَبَهُ أَبُو الْقَاسِمِ

و هذا القول هو اختيار أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بتاريخ الأشراف .

١٢٨

١- لَمَّا تَقَاعَسَ مُحَمَّدٌ يَوْمَ الْجَمِيلِ عَنِ الْحَمَلِ وَ حَمَلَ عَلِيٌّ ع بِالرَّايَةِ فَضَمَّعَ أَرْكَانَ عَشِيرَةِ الْجَمِيلِ دَفَعَ إِلَيْهِ الرَّايَةَ وَ قَالَ أُمِّحُ
الْأُولَى بِالْأُخْرَى وَ هَذِهِ الْأَنْصَارُ مَعَكَ .

وَ ضَمَّ إِلَيْهِ خُزَيْمَةَ بِنَ ثَابِتِ ذَا الشَّهَادَتَيْنِ فِي جَمْعٍ مِنَ الْأَنْصَارِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ يَدْرِ فَحَمَلَ حَمَلَاتٍ كَثِيرَةً أَزَالَ بِهَا الْقَوْمَ عَنِ
مَوَاقِفِهِمْ وَ أَبْلَى بِلَاءً حَسِيئًا فَقَالَ خُزَيْمَةُ بِنُ ثَابِتِ لِعَلِيٍّ ع أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ الْيَوْمَ لَأَفْتَضَحَ وَ لَئِنْ كُنْتُ خِفْتُ عَلَيْهِ الْحَيْنَ وَ
هُوَ يَبْنُوكَ وَ بَيْنَ حَمْرَةَ وَ جَعْفَرَ لَمَّا خَفِنَاهُ عَلَيْهِ وَ إِنْ كُنْتُ أَرَدْتُ أَنْ تَعَلَّمَهُ الطَّعَانَ فَطَالَمَا عَلَّمْتُهُ الرَّجُلُ

١٢٩

١,٢,٣- وَ قَالَتْ الْأَنْصَارُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ لَا مَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ لَمَّا قَدَّمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ
عَلِيٌّ ع أَيْنَ النَّجْمُ مِنَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ أَمَّا إِنَّهُ قَدْ أَغْنَى وَ أَبْلَى وَ لَهُ فَضْلُهُ وَ لَا يَنْقُصُ فَضْلَ صَاحِبِيهِ عَلَيْهِ وَ حَسْبُ صَاحِبِكُمْ مَا
انْتَهَتْ بِهِ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا وَ اللَّهُ لَا نَجْعَلُهُ كَالْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ وَ لَا نَظْلِمُهُمَا لَهُ وَ لَا نَظْلِمُهُ لِفَضْلِهِمَا
عَلَيْهِ حَقَّهُ فَقَالَ عَلِيٌّ ع أَيْنَ يَقَعُ ابْنِي مِنَ ٣ ابْنِي بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ خُزَيْمَةُ بِنُ ثَابِتِ فِيهِ مُحَمَّدٌ مَا فِي عَوْدِكَ الْيَوْمَ وَ ضَمَّهُ

ص: ٢٤٥

وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَطْوَلُ غَالِبٍ (١)

ص: ٢٤٦

١-١) غالب: يقصد به ذريه غالب بن فهر بن مالك.

وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ أَنْ أَحْيَى فُلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ فَقَالَ لَهُ ع [عَلِيٌّ ع]

أَهْوَى أَحْيِكَ مَعَنَا فَقَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ شَهِدْنَا وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا [قَوْمٌ]

أَقْوَامٌ [قَوْمٌ]

فِي أَضْلَابِ الرِّجَالِ وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَزَعْفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ .

يرعف بهم الزمان يوجدهم و يخرجهم كما يعرف الإنسان بالدم الذي يخرج من أنفه قال الشاعر و ما رعف الزمان بمثل عمرو
و لا تلد النساء له ضربيا.

و المعنى مأخوذ من

١٣٠

١٤- قَوْلِ النَّبِيِّ ص لِعُثْمَانَ وَ لَمْ يَكُنْ شَهِدًا يَدْرَأُ تَخَلَّفَ عَلَيَّ رُفَيْهَ ابْنَهُ رَسُولِ اللَّهِ ص لَمَّا مَرَضَتْ مَرَضَ مَوْتِهَا لَقَدْ كُنْتُ شَاهِدًا وَ
إِنْ كُنْتُ غَائِبًا لَكَ أَجْرُكَ وَ سَهْمُكَ .

من أخبار يوم الجمل

قال الكلبي قلت لأبي صالح كيف لم يضع علي ع السيف في أهل البصره يوم الجمل بعد ظفره قال سار فيهم بالصفح و المن
الذي سار به رسول الله ص

ص: ٢٤٧

فى أهل مكه يوم الفتح فإنه أراد أن يستعرضهم بالسيف ثم من عليهم و كان يحب أن يهديهم الله.

قال فطر بن خليفة ما دخلت دار الوليد بالكوفه التى فيها القصارون إلا و ذكرت بأصواتهم وقع السيوف يوم الجمل .

حرب بن جيهان الجعفى لقد رأيت الرماح يوم الجمل قد أشرعها الرجال بعضهم فى صدر بعض كأنها آجام القصب لو شاءت الرجال أن تمشى عليها لمشت و لقد صدقونا القتال حتى ما ظننت أن ينهزموا و ما رأيت يوما قط أشبه بيوم الجمل من يوم جلولاة الوقيعه (١).

١٣١

١- الأَصْبَغُ بْنُ نُبَيْتَةَ لَمَّا انْهَزَمَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ رَهَ رَكَبَ عَلِيٌّ عَ بَعْلَهُ رَسُولِ اللَّهِ ص الشَّهْبَاءَ وَ كَانَتْ بِيَأْقِيَهُ عِنْدَهُ وَ سَيَّارَ فِي الْقَتْلِ يَسْتَعْرِضُهُمْ فَمَرَّ بِكَعْبِ بْنِ سُورِ الْقَاضِي قَاضِي الْبَصْرَةِ وَ هُوَ قَتِيلٌ فَقَالَ أَجْلِسُوهُ فَأَجْلَسَ فَقَالَ لَهُ وَيْلٌ لَكَ كَعْبُ بْنُ سُورٍ لَقَدْ كَانَ لَكَ عِلْمٌ لَوْ نَفَعَكَ وَ لَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَضَلَّكَ فَأَزَلَّكَ فَعَجَّلَكَ إِلَى النَّارِ أَرْسَلُوهُ ثُمَّ مَرَّ بِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَتِيلًا- فَقَالَ أَجْلِسُوهُ فَأَجْلَسَ قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ وَيْلٌ لَكَ طَلْحَةُ لَقَدْ كَانَ لَكَ قَدَمٌ لَوْ نَفَعَكَ وَ لَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَضَلَّكَ فَأَزَلَّكَ فَعَجَّلَكَ إِلَى النَّارِ .

و أما أصحابنا فيروون غير ذلك

١٣٢

١- يَزُورُونَ أَنَّهُ عَ قَالَ لَهُ لَمَّا أَجْلَسُوهُ أَعَزَّ عَلِيٌّ أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْ أَرَاكَ مُعَفَّرًا تَحْتَ نُجُومِ السَّمَاءِ وَ فِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي أْبَعَدَ جِهَادِكَ فِي اللَّهِ وَ ذَبَّكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَجَاءَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ فَقَالَ أَشْهَدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَرَزْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُ السَّهْمُ وَ هُوَ صَرِيحٌ فَصَاحَ بِي فَقَالَ مِنْ أَصْحَابِ مَنْ أَنْتَ فَقُلْتُ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ فَقَالَ امْدُدْ يَدَكَ لِأَبَايَعِ

ص: ٢٤٨

١ - ١) جلولاة: موضع فى طريق خراسان، كانت بها وقعه المسلمين على الفرس سنة ١٦هـ؛ و سميت الوقيعه لما أوقع بهم المسلمون (ياقوت).

لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ فَمَدَدْتُ إِلَيْهِ يَدِي فَبَايَعَنِي لَكَ فَقَالَ عَلِيُّ ع أَبِي اللَّهِ أَنْ يُدْخَلَ طَلْحَةَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَبَيْعَتِي فِي عُنُقِهِ ثُمَّ مَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ وَكَانَ ع قَتَلَهُ بِيَدِهِ مَبَارَزَةً وَكَانَ رَئِيسَ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ فَقَالَ أَجْلِسُوهُ فَأَجْلَسَ فَقَالَ الْوَيْلُ لَكَ يَا ابْنَ خَلْفٍ لَقَدْ عَانَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا

١٣٣

١- وَقَالَ شَيْخُنَا أَبُو عُمَانَ الْجَا حِظُّ وَ مَرَّ عَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ فَقَالَ أَجْلِسُوهُ فَأَجْلَسَ فَقَالَ هَذَا يَعْسُوبُ قُرَيْشٍ هَذَا اللَّبَابُ الْمُحْضُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ ثُمَّ قَالَ شَفَيْتُ نَفْسِي وَ قَتَلْتُ مَعْشَرِي إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَجْرِي وَ بَجْرِي (١) قَتَلْتُ الصَّنَادِيدَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ وَ أَفْلَتَنِي الْأَعْيَارُ (٢) مِنْ بَنِي جَمِيحٍ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ لَشَدِّ مَا أَطْرَيْتَ هَذَا الْفَتَى مُنْذُ الْيَوْمِ يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ إِنَّهُ قَامَ عَنِّي وَ عَنْهُ نِسْوَةٌ لَمْ يَقْمَنَّ عَنْكَ

١٣٤

١- قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّوَلِيُّ لَمَّا ظَهَرَ عَلِيُّ ع يَوْمَ الْجَمَلِ دَخَلَ بَيْتَ الْمَالِ بِالْبَصِيرَةِ فِي نَاسٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ أَنَا مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَى كَثْرَةَ مَا فِيهِ قَالَ غَرَى غَيْرِي مِرَارًا ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَالِ وَ صَعَّدَ فِيهِ بَصِيرَةً وَ صَيَّوَبَ وَ قَالَ إِقْسَمُوه بَيْنَ أَصْحَابِي خَمْسَةَ جَائِهِ خَمْسَةَ جَائِهِ فَفَسَمَ بَيْنَهُمْ فَلَا وَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا نَقَصَ دِرْهَمًا وَ لَا زَادَ دِرْهَمًا كَأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ مَبْلَعَهُ وَ مِقْدَارَهُ وَ كَانَ سِتَّةَ آلَافٍ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَ النَّاسُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا .

ص: ٢٤٩

١ - ١) عَجْرِي وَ بَجْرِي، نقل صاحب اللسان (٦: ٢١٦) عن محمد بن يزيد: «معناه همومي و أحزاني؛ و قيل: ما أبدى و أخفى، و كله على المثل». و قال: «و أصل العجر العروق المنعقدة في الصدر، و البحر العروق المنعقدة في البطن خاصه».

٢ - ٢) الأعيار هنا: جمع عير؛ و عير القوم: سيدهم؛ و عليه قول الحارث بن حلزة: زعموا أنّ كل من ضرب العي ر موال لنا و أتى الولاء..

١- حَبُّهُ الْعُرْنِيُّ (١) قَسَمَ عَلِيُّ ع بَيْتَ مَالِ الْبَصِيرَةِ عَلَى أَصِيحَابِهِ خَمْسَةَ مِائَةٍ خَمْسِينَ مِائَةً وَأَخَذَ خَمْسَمِائَةَ دِرْهَمٍ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَجَاءَهُ
إِنْسَانٌ لَمْ يَحْضُرِ الْوُقُوعَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنْتُ شَاهِدًا مَعَكَ بِقَلْبِي وَإِنْ غَابَ عَنْكَ جِسْمِي فَأَعْطِنِي مِنَ الْفَيْءِ شَيْئًا فَدَفَعَ إِلَيْهِ
الَّذِي أَخَذَهُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ خَمْسَمِائَةُ دِرْهَمٍ وَلَمْ يُصِبْ مِنَ الْفَيْءِ شَيْئًا

١- اتَّفَقَتِ الرِّوَاةُ كُلُّهَا عَلَى أَنَّهُ ع قَبَضَ مِائًا وَوَجَدَ فِي عَشِيرَةِ الْجَمِيلِ مِنْ سِلَاحٍ وَدَابَّةٍ وَ مَمْلُوكٍ وَ مَتَاعٍ وَ عُرُوضٍ فَقَسَمَهُ بَيْنَ
أَصِيحَابِهِ وَأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ افْسِمْ بَيْنَنَا أَهْلَ الْبَصِيرَةِ فَاجْعَلْهُمْ رَقِيقًا فَقَالَ لَا فَقَالُوا فَكَيْفَ تَحِلُّ لَنَا دِمَاءُهُمْ وَ تُحَرِّمُ عَلَيْنَا سَبِيَّهُمْ فَقَالَ
كَيْفَ يَحِلُّ لَكُمْ ذُرِّيَّةٌ ضَعِيفَةٌ فِي دَارِ هِجْرِهِ وَ إِسْلَامٌ أَمَّا مِائًا أَجْلَبَ بِهِ الْقَوْمُ فِي مَعْشَرَ كَرِهَمَ عَلَيْكُمْ فَهُوَ لَكُمْ مَغْنَمٌ وَ أَمَّا مِائًا وَارَتْ
الدُّورَ وَ أُغْلِقَتْ عَلَيْهِ الْأَبْوَابُ فَهُوَ لِأَهْلِهِ وَ لَا- نَصِيبٌ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالُوا فَأَفْرِعُوا عَلَيَّ عَائِشَةَ لِأَدْفَعَهَا إِلَيَّ مَنْ
تُصِيبُهُ الْقُرْعَةُ فَقَالُوا نَسْتَعْفِرُ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ انْصَرَفُوا

(١- ١) حبه، بفتح أوله، ثم موحده ثقيله، بن جوين العرنبي، والكوفي. كان غالبا في التشيع؛ قال في التهذيب: مات أول ما قدم الحجاج
العراق سنة ٧٦.

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَ اتَّبَعَ الْبُهَيْمَةَ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَ عُقِرَ فَهَرَبْتُمْ أَخْلَافَكُمْ دِقَاقٌ وَ عَهْدُكُمْ شِقَاقٌ وَ دِينُكُمْ نِفَاقٌ وَ مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ وَ الْمُقِيمُ
بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ وَ الشَّخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُوجٍ سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ
مِنْ فَوْقِهَا وَ مِنْ تَحْتِهَا وَ غَرَّقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا وَ فِي رِوَايَةٍ وَ ائِمُّ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بِلَدَّتِكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُوجٍ سَفِينَةٍ أَوْ
نَعِيَامِهِ حَيَاثِمِهِ وَ فِي رِوَايَةٍ كَجُوجٍ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بِلَادِكُمْ أَنْتُنَّ بِلَادِ اللَّهِ تُزْبَهُ أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَ أَبْعَدُهَا مِنَ
السَّمَاءِ وَ بِهَا تَسْبَعُهُ أَغْشَارُ الشَّرِّ الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَ الْخَارِجُ بَعْفُو اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَوِيَّتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى
مِنْهَا إِلَّا شَرْفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُوجٌ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .

قوله و أتباع البهيمه يعنى الجمل و كان جمل عائشه رايه عسكر البصره قتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها .

و قوله أخلاقكم دقاق يصفهم باللؤم

١٣٧

١٤- وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَنْكَحَ فُلَانَةَ إِلَّا أَنَّ فِي أَخْلَاقِ أَهْلِهَا دِقَّةٌ فَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ وَ خَضِرَاءَ الدَّمَنِ إِيَّاكَ وَ الْمَرْأَةَ الْحَسَنَاءَ فِي مَنبِتِ السَّوِّءِ .

قوله و عهدكم شقاق يصفهم بالغدر يقول عهدكم و ذمتكم لا يوثق بها بل هى و إن كانت فى الصوره عهدا أو ذمه فإنها فى المعنى خلاف و عداوه .

قوله و ماؤكم زعاق أى ملح و هذا و إن لم يكن من أفعالهم إلا أنه ممّا تدم به المدينه كما قال بلاد بها الحمى و أسد عرينه و لا ذنب لأهلها فى أنها بلاد الحمى و السباع .

ثم وصف المقيم بين أظهرهم بأنه مرتهن بذنبه لأنه إما أن يشاركهم فى الذنوب أو يراها فلا ينكرها و مذهب أصحابنا أنه لا تجوز الإقامة فى دار الفسق كما لا تجوز الإقامة فى دار الكفر .

و جؤجؤ عظم الصدر و جؤجؤ السفينه صدرها.

ص: ٢٥٢

فأما إخباره ع أن البصره تغرق عدا المسجد الجامع بها فقد رأيت من يذكر أن كتب الملاحم تدلّ على أن البصره تهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها فتغرق و يبقى مسجدها.

و الصحيح أن المخبر به قد وقع فإن البصره غرقت مرتين مره فى أيام القادر بالله و مره فى أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها و لم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين ع جاءها الماء من بحر فارس من جهه الموضع المعروف الآن بجزيره الفرس و من جهه الجبل المعروف بجبل السنم و خربت دورها و غرق كل ما فى ضمنها و هلك كثير من أهلها.

و أخبار هذين الغرقين معروفه عند أهل البصره يتناقلها خلفهم عن سلفهم

من أخبار يوم الجمل أيضا

١٣٨

١- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَيِّفِ الْمَدَائِنِيِّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ مَا حَفِظَ رَجَزٌ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ رَجَزِ قَيْلِ يَوْمِ الْجَمَلِ وَ أَكْثَرُهُ لِيْنِي ضَبَّهَ وَ الْأَزْدِ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَ الْجَمَلِ يُحَامُونَ عَنْهُ وَ لَقَدْ كَانَتِ الرَّءُوسُ تُنْدَرُ (١) عَنِ الْكَوَاهِلِ وَ الْأَيْدِي تَطِيحُ مِنَ الْمَعَاصِمِ وَ أَقْتَابُ الْبُطْنِ (٢) تَنْدَلِقُ مِنَ الْأَجْوَافِ وَ هُمْ حَوْلَ الْجَمَلِ كَالْجَرَادِ النَّابِتِ لَا تَتَحَلَّلُ وَ لَا تَنْزَلُ حَتَّى لَقَدْ صِيْرَ عِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَيَلْكُمُ اعْقَرُوا الْجَمَلَ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ ثُمَّ قَالَ اعْقَرُوهُ وَ إِلَّا- فَيَبِثُ الْعَرَبُ لَا يَزَالُ السَّيْفُ قَائِمًا وَ رَاكِعًا حَتَّى يَهْوَى هَذَا الْبَعِيرُ

ص: ٢٥٣

١- ١) تندر: تقطع.

٢- ٢) الأقتاب: الأمعاء؛ واحده قتب «محرکه، أو بكسر فسكون.

إِلَى الْأَرْضِ فَصَمَدُوا لَهُ حَتَّى عَقَرُوهُ فَسَقَطَ وَ لَهُ رُغَاءٌ شَدِيدٌ فَلَمَّا بَرَكَ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ .

و من الأراجيز المحفوظة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بعضهم (1) نحن بنى ضبه أصحاب الجمل

فأجابه رجل من عسكر الكوفة من أصحاب أمير المؤمنين ع نحن قتلنا نعثلا فيمن قتل

و من أراجيز أهل البصرة يا أيها الجند الصليب الإيمان قوموا قياما و استغيثوا الرحمن

ص: ٢٥٤

١ - ١) الأبيات في الطبري (٤:٥١٨)، منسوبة إلى رجل يدعى الحارث من بنى ضبه، و في المسعودي (٢:٣٧٥) من غير نسبه، مع اختلاف في الروايه و عدد الأبيات.

إني أتاني خبر ذو ألوان

فأجابه رجل من عسكر الكوفه أبت سيوف مذحج و همدان

و من الرجز المشهور المقول يوم الجمل قاله أهل البصره يا أمنا عائش لا تراعى

و منه قول بعضهم يا أمنا يكفيك منا دنوه

قالوا و خرج من أهل البصره شيخ صبيح الوجه نبيل عليه جبه وشى يحض الناس على الحرب و يقول يا معشر الأزد عليكم أمكم

ص: ٢٥٥

قال المدائني والواقدي وهذا الرجز يصدق الرواية أن الزبير وطلحه قاما في الناس فقالا إن عليا إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصره فاحموا حقيقتكم فإنه لا يبقى حرمه إلا انتهكها ولا حرима إلا هتكه ولا ذريه إلا قتلها ولا ذوات خدر إلا سباهن فقاتلوا مقاتله من يحمى عن حريمه و يختار الموت على الفضيحة يراها في أهله.

وقال أبو مخنف لم يقل أحد من رجاز البصره قولا كان أحب إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ استقتل الناس عند قوله و ثبتوا حول الجمل و انتدبوا فخرج عوف بن قطن الضبي و هو ينادى ليس لعثمان ثأر إلا علي بن أبي طالب و ولده فأخذ خطام الجمل و قال يا أم يا أم خلا منى الوطن

ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل.

١٣٩

١- وَ تَنَاوَلَ عَئِيْدُ اللّٰهِ بُنُّ اُبْرٰى خِطَامِ الْجَمَلِ وَ كَانَ كُلُّ مَنْ اَرَادَ الْجِدَّ فِى الْحَرْبِ وَ قَاتَلَ قِتَالَ مُسَيِّمٍ يَتَقَدَّمُ اِلَى الْجَمَلِ فَيَأْخُذُ بِخِطَامِهِ ثُمَّ شَدَّ عَلَى عَسْكَرِ عَلِيٍّ ع وَ قَالَ اَضْرِبُوهُمْ وَ لَا اَرَى اَبَا حَسَنِ هَا اِنَّ هَذَا حَزَنٌ مِّنَ الْحَزَنِ.

فَشَدَّ عَلَيْهِ عَلِيُّ اَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ ع بِالرُّمْحِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ وَ قَالَ قَدْ رَأَيْتَ اَبَا حَسَنِ فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ وَ تَرَكَ الرُّمْحَ فِيهِ

١,٢,٣- وَ أَخَذَتْ عَائِشَةُ كَفًّا مِنْ حَصِيٍّ فَحَصَبَتْ بِهِ أَصْحَابَ عَلِيٍّ ع وَ صَاحَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا شَاهَتْ الْوُجُوهُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَ حُجَيْنٍ فَقَالَ لَهَا قَاتِلْ وَمَا رَمَيْتِ إِذْ رَمَيْتِ وَ لَكِنَّ الشَّيْطَانَ (١) رَمَى وَ زَحِيفٌ عَلِيٌّ ع نَحْوَ (٢) الْجَمَلِ بِنَفْسِهِ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ حَوْلَهُ بَنُوهُ حَسَنٌ وَ حُسَيْنٌ وَ مُحَمَّدٌ ع وَ دَفَعَ الرَّايَةَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَ قَالَ أَقْدِمْ بِهَا حَتَّى تَوَكَّرَهَا فِي عَيْنِ (٣) الْجَمَلِ وَ لَا تَقِفَنَّ دُونَهُ فَتَقْدَمَ مُحَمَّدٌ فَرَشَقَتْهُ السَّهَامُ فَقَالَ لِأَصِيحَابِهِ رُوَيْدًا حَتَّى تَنْفَدَ سَهَامُهُمْ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ إِلَّا رَشَقَةٌ أَوْ رَشَقَتَانِ فَأَنْفَذَا إِلَيْهِ عَلِيٌّ ع إِلَيْهِ يَسْتَحِثُّهُ وَ يَأْمُرُهُ بِالْمُنَاجَزَةِ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ جَاءَ بِنَفْسِهِ مِنْ خَلْفِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى مَنْكِبِهِ الْأَيْمَنِ وَ قَالَ لَهُ أَقْدِمْ لَا أَمَّ لَكَ فَكَانَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْدُ يَبْكِي وَ يَقُولُ لَكَأَنِّي أَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ فِي قَفَايَ وَ اللَّهُ لَا أَنْسِي أَبَدًا ثُمَّ أَدْرَكَتْ عَلِيًّا ع رِقَّةً عَلَى وَ لَدِهِ فَتَنَاوَلَ الرَّايَةَ مِنْهُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى وَ ذُو الْفَقَارِ مَشْهُورٌ فِي يُمْنَى يَدَيْهِ ثُمَّ حَمَلَ فَعَاَصَ فِي عَسِيكَرِ الْجَمَلِ ثُمَّ رَجَعَ وَ قَدْ انْحَنَى سَيْفُهُ فَأَقَامَهُ بُرْكَبَتِهِ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ وَ بَنُوهُ وَ الْأَشْهُرُ وَ عَمَّارٌ نَحْنُ نَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ يَجِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ وَ لَا رَدَّ إِلَيْهِمْ بَصِيرَةً وَ ظَلَّ يَنْحِطُ (٤) وَ يَزَارُ زَيْبَرَ الْأَسِيدِ حَتَّى فَرِقَ (٥) مِنْ حَوْلِهِ وَ تَبَادَرُوهُ وَ إِنَّهُ لَطَامِحٌ بِبَصِيرِهِ نَحْوَ عَسِيكَرِ الْبَصِيرَةِ لَا- يُبْصِرُ مِنْ حَوْلِهِ وَ لَا- يَرُدُّ حِوَارًا ثُمَّ دَفَعَ الرَّايَةَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ حَمَلَ حَمْلَةً ثَانِيَةً وَ خِيَدَهُ فَدْخَلَ وَسَيْطَهُمْ فَضَرَبَهُمْ بِالسَّيْفِ قُدَمَا قُدَمَا وَ الرَّجَالُ تَفَرُّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ تَنْحَازُ عَنْهُ يَمَنَّهُ وَ يَسِيرُهُ حَتَّى خَضَبَ الْأَرْضَ بِدِمَائِ الْقَتْلَى ثُمَّ رَجَعَ وَ قَدْ انْحَنَى سَيْفُهُ فَأَقَامَهُ بُرْكَبَتِهِ فَأَعْصَوْصَبَ (٦) بِهِ أَصِيحَابُهُ وَ نَاشَدُوهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ وَ فِي الْأَسْلَامِ وَ قَالُوا إِنَّكَ إِنْ تَصَبَّ يَذْهَبَ الدِّينُ فَأَمْسِكَ وَ نَحْنُ نَكْفِيكَ فَقَالَ وَ اللَّهُ مَا أُرِيدُ بِمَا تَرَوْنَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَ السَّارَ الْآخِرَةَ ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدِ ابْنِهِ هَكَذَا تَصْنَعُ يَا ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ فَقَالَ النَّاسُ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُ مَا تَسْتَطِيعُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

ص: ٢٥٧

١- ١) كذا في ا،و في ب «و لكن الله».

٢- ٢) ا: «يوم».

٣- ٣) ا: «عجز».

٤- ٤) ينحط: يزفر.

٥- ٥) فرق، من باب تعب؛ أى خاف.

٦- ٦) اعصو صبوا به: استجمعوا و التفرؤا حوله.

١- مِا رَوَاهُ الْكَلْبِيُّ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ بَيْنَا أَنَا وَأَقِفُ فِي أَوَّلِ الصُّفُوفِ يَوْمَ الْجَمَلِ إِذْ جَاءَ عَلِيٌّ ع فَانْحَرَفْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ أَيْنَ مَثَرَى الْقَوْمِ فَقُلْتُ هَاهُنَا نَحْوَ عَائِشَةَ

قال الكلبى يريد أين عددهم و أين جمهورهم و كثرتهم و المال الثرى على فعيل هو الكثير و منه رجل ثروان و امرأه ثروى و تصغيرها ثريا و الصدقه مراه للمال أى مكثره له.

١- قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَ بَعَثَ عَلِيٌّ ع إِلَى الْأَشْتَرِ أَنْ أَحْمِلْ عَلَى مَيْسِرَتِهِمْ فَحَمَلَ عَلَيْهَا وَ فِيهَا هِلَالٌ بَنُ وَ كَيْعٌ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَ قُتِلَ هِلَالٌ قَتْلَهُ الْأَشْتَرُ فَمَالَتِ الْمَيْسِرَةُ إِلَى عَائِشَةَ فَلَاذُوا بِهَا وَ عَظْمُهُمْ بُنُو ضَبَّهَ وَ بُنُو عَدِيٍّ ثُمَّ عَطَفَتِ الْأَزْدُ وَ ضَبَّهَ وَ نَاجِيَهُ وَ بَاهِلَهُ إِلَى الْجَمَلِ فَأَحَاطُوا بِهِ وَ اقْتَتَلَ النَّاسُ حَوْلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا وَ قُتِلَ كَعْبُ بَنُ سُورٍ قَاضِي الْبَصِيرَةِ جَاءَهُ سَهْمٌ (١) غَرَبٌ فَقَتَلَهُ وَ خِطَامُ الْجَمَلِ فِي يَدِهِ ثُمَّ قُتِلَ عَمْرُو بَنُ يَثْرِبِيِّ الضَّبِّيِّ (٢) وَ كَانَ فَارِسٌ أَصْحَابِ الْجَمَلِ وَ شَجَاعُهُمْ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ع .

قَالُوا كَانَ عَمْرُو أَحَدَ بِخِطَامِ الْجَمَلِ فَدَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ ثُمَّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلْبَاءُ بَنُ الْهَيْثَمِ السَّدُوسِيُّ فَقَتَلَهُ عَمْرُو ثُمَّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ هِنْدُ بَنُ عَمْرُو الْجَمَلِيُّ (٣) فَقَتَلَهُ عَمْرُو ثُمَّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ فَقَالَ زَيْدُ بَنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ لِعَلِيٍّ ع يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَأَيْتُ يَدًا أَشْرَفَتْ عَلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ وَ هِيَ تَقُولُ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ أَنَا خَارِجٌ إِلَى

١ - ١) يقال: أصابه سهم غَرَبَ (بفتحتين) و غَرَبَ (بفتح فسكون)، إذا كان لا يدرى من رماه؛ و قيل: إذا أتاه من حيث لا يدرى. اللسان ١: ١٣٣. ٢.

٢ - ٢) عمرو بن يثربى، كان من رءوس ضببه فى الجاهلية، ثم أسلم، و استقضاه عثمان على البصره الإصابه ١٢٠: ٥، و الاشتقاق ٤١٣.

٣ - ٣) هو هند بن عمرو الجملى، نسبه إلى جمل بن سعد العشيره، حى من مذحج. الاشتقاق ٤١٣.

إِبْنُ يَثْرِبِيٍّ فَإِذَا قَتَلَنِي فَأَذِنِّي بِدَمِي وَلَا تَغْسِلْنِي فَإِنِّي مُخَاصِمٌ عِنْدَ رَبِّي ثُمَّ خَرَجَ فَقَتَلَهُ عَمْرُو ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خِطَامِ الْجَمَلِ مُرْتَجِزًا يَقُولُ أَرَدَيْتُ عِلْبَاءَ وَهِنْدًا فِي طَلْقٍ

قَالَ قَوْلُهُ وَالْوِثْرُ مَنَا فِي عِدِي يَعْنِي عِدَى بَنِي حَاتِمِ الطَّائِيِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى عُثْمَانَ وَمِنْ أَشَدِّهِمْ جِهَادًا مَعَ عَلِيٍّ عَ ثُمَّ تَرَكَ ابْنَ يَثْرِبِيٍّ الْخِطَامَ وَخَرَجَ يَطْلُبُ الْمُبَارَزَةَ فَاخْتَلَفَ فِي قَاتِلِهِ فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ خَرَجَ إِلَيْهِ وَالنَّاسُ يَسْتَوْجِعُونَ لَهُ لِأَنَّهُ كَانَ أضعَفَ مَنْ بَرَزَ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ أَقْصَرَ رَهْمٌ سَيْفًا وَأَقْصَرَ فَهْمٌ رُمْحًا وَأَحْمَشَهُمْ (١) سَاقًا حِمَالَهُ سَيْفِهِ مِنْ نِسْعِهِ (٢) الرَّحْلُ وَذُبَابُ سَيْفِهِ (٣) قَرِيبٌ مِنْ إِبْطِهِ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَنَسِبَ سَيْفُ ابْنِ يَثْرِبِيٍّ فِي حَجْفِهِ (٤) عَمَّارٌ فَضَرَ رَبُّهُ عَمَّارٌ عَلَى رَأْسِهِ فَصَرَ رَعَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِرِجْلِهِ يَسْجُبُهُ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى عَلِيٍّ عَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَبْقِنِي أُجَاهِدُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَقْتُلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا قَتَلْتَ مِنْكُمْ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَ أَبْعِدْ زَيْدَ وَهِنْدَ وَعِلْبَاءَ أَسْتَبْقِيكَ لَا هَا اللَّهُ إِذَا قَالَ فَأَذِنَنِي مِنْكَ أَسَارَكَ قَالَ لَهُ أَنْتَ مُتَمَرِّدٌ وَقَدْ أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ص بِالْمُتَمَرِّدِينَ وَذَكَرَكَ فِيهِمْ فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَصَلْتُ إِلَيْكَ لَعَضَّضْتُ أَنْفَكَ عَضَّةً أَبْتَنَّهُ مِنْكَ.

فَأَمَرَ بِهِ عَلِيٌّ عَ فَضَرَبَتْ عُنُقُهُ

ص: ٢٥٩

١-١) الطلق: الشوط، والعلق: الدم.

٢-٢) عمرو بن الحمق، يعرف بالكاهن، سحب الرسول عليه السلام و شهد المشاهد مع علي، و قتلته معاوية بالجزيره، و كان رأسه أول رأس صلب في الإسلام. الاشتقاق ٤٧٤.

٣-٣) أحمش الساقين: دقيقهما.

٤-٤) النسع: سير ينسج عريضا على هيئه أعنه النعال، تشد به الرحال؛ و القطعه منه نسعه.

١- وَقَالَ قَوْمٌ إِنَّ عَمْرًا لَمَّا قَتَلَ مَنْ قَتَلَ وَ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ لِطَلَبِ الْبِرَازِ قَالَ لِلْأَزْدِ يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ لَكُمْ حَيَاءٌ وَ بَأْسٌ وَ إِنِّي قَدْ وَتَرْتُ الْقَوْمَ وَ هُمْ قَاتِلِي وَ هَذِهِ أُمَّكُمْ نَصِيرُهَا دِينٌ وَ خِذْلَانُهَا عُتُوقٌ وَ لَسْتُ أَحْشَى أَنْ أُقْتَلَ حَتَّى أُصْرَعَ فَإِنْ صُرِعْتُ فَاسْتَنْفِذُونِي فَقَالَتْ لَهُ الْأَزْدُ مَا فِي هَذَا الْجَمْعِ أَحَدٌ نَخَافُهُ عَلَيْكَ إِلَّا الْأَشْتَرُ قَالَ فَإِيَّاهُ أَخَافُ.

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ فَقَيَّضَهُ اللَّهُ لَهُ وَ قَدْ أَعْلَمَا جَمِيعًا فَارْتَجَزَ الْأَشْتَرُ إِنِّي إِذَا مَا الْحَرْبُ أَبَدْتُ نَابَهَا

ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ فَصَيَّرَعَهُ وَ حَامَتْ عَنْهُ الْأَزْدُ فَاسْتَنْفِذُوهُ فَوَثَبَ وَ هُوَ وَقِيدٌ ثَقِيلٌ (١) فَلَمْ يَسِطِطِعْ أَنْ يَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهِ وَ اسْتَعْرَضَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ طَوْدٍ الْبَكْرِيُّ فَطَعَنَهُ فَصَيَّرَعَهُ ثَانِيَةً وَ وَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ سَدُوسٍ فَأَخَذَهُ مَسِيحُوبًا بِرِجْلِهِ حَتَّى أَتَى بِهِ عَلِيًّا ع فَنَاشَدَهُ اللَّهُ وَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اعْفُ عَنِّي فَإِنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَزَلْ قَائِلَةً عَنكَ إِنَّكَ لَمْ تُجْهِزْ عَلَيَّ جَرِيحٌ قَطُّ فَأَطْلَقَهُ وَ قَالَ إِذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ فَجَاءَ إِلَى أَصِيحَابِهِ وَ هُوَ لَمَّا بِهِ حَضْرَةُ الْمَوْتِ فَقَالُوا لَهُ دَمَكَ عِنْدَ أَيِّ النَّاسِ فَقَالَ أَمَّا الْأَشْتَرُ فَلَقِينِي وَ أَنَا كَالْمُهْرِ الْأَرِينِ (٢) فَعَلَا حُدَّهُ حُدِّي وَ لَقِيتُ رَجُلًا يَنْبَغِي لَهُ عَشْرَةَ أَمْثَالِي وَ أَمَّا الْبَكْرِيُّ فَلَقِينِي وَ أَنَا لِمَا بِي وَ كَانَ يَنْبَغِي لِي عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ وَ تَوَلَّى أَسْرَى أَضْعَفَ الْقَوْمِ وَ صَاحِبِي الْأَشْتَرُ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ فَلَمَّا انْكَشَفَتِ الْحَرْبُ شَكَرْتُ ابْنَهُ عَمْرٍو بْنُ يَثْرِبِيِّ الْأَزْدِ وَ عَابَتْ قَوْمَهَا فَقَالَتْ

ص : ٢٦٠

(١ - ١) قدامى الجيش: مقدمه.

(٢ - ٢) الوعيد: الجريح المشرف على الموت.

يَا ضَبُّ إِنَّكَ قَدْ فُجِعْتَ بِفَارِسٍ

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَبَلَّغْنَا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ طُودٍ الْبُكْرِيَّ قَالَ لِقَوْمِهِ أَنَا وَاللَّهِ قَتَلْتُ عَمْرًا وَإِنَّ الْأَشْتَرَ كَمَا نَبَعِدِي وَأَنَا أَمَامَهُ فِي الصَّعَالِيكِ فَطَعَنْتُ عَمْرًا طَعْنَةً لَمْ أَحْسَبْ أَنَّهَا تُجْعِلُ لِلْمَأْشُورِ دُونِي وَإِنَّمَا الْأَشْتَرُ ذُو حِطِّ فِي الْحَرْبِ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ خَلْفِي وَ لَكِنْ أَبِي النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ صَيَّحِبُهُ وَلَا أَرَى أَنْ أَكُونَ خَصَمَ الْعَامَّةِ وَإِنَّ الْأَشْتَرَ لِأَهْلٍ إِلَّا يُنَازِعَ فَلَمَّا بَلَغَ الْأَشْتَرَ قَوْلَهُ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنِّي أَطْفَأْتُ جَمْرَتَهُ عَنْهُ مَا دَنَا مِنْهُ وَمَا صَاحِبُهُ غَيْرِي وَإِنَّ الصَّيِّدَ لِمَنْ وَقَعَهُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا تُنَازِعْ فِيهِ مَا الْقَوْلُ إِلَّا مَا قَالَهُ وَأَنِّي لِي أَنْ أُخَالِفَ النَّاسَ.

قَالَ وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلْفِ الْخُرَاعِيِّ وَهُوَ رَيْسُ الْبُضَيْرَةِ وَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا مَالًا وَ ضِيَاءًا فَطَلَبَ الْبِرَازَ وَ سَأَلَ إِلَّا يَخْرُجَ إِلَيْهِ إِلَّا عَلَيَّ ع وَ ارْتَجَزَ فَقَالَ أَبَا تُرَابٍ اذْنُ مِنِّي فِتْرًا (١) فَإِنِّي دَانَ إِلَيْكَ شَيْبًا وَإِنَّ فِي صَدْرِي عَلَيْكَ غَمْرًا (٢).

ص: ٢٤١

١-١) أبان: من أسماء الجبال عندهم.

٢-٢) كذا في، او في ب «يا با تراب».

فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَ فَلَمْ يُمِهِلْهُ أَنْ ضَرَبَهُ فَفَلَقَ هَامَتَهُ.

قَالُوا اسْتِدَارَ الْجَمَلُ كَمَا تَدُورُ الرَّحَى وَ تَكَاثَفَتِ الرَّجَالُ مِنْ حَوْلِهِ وَ اسْتَدَّ رُغَاؤُهُ وَ اسْتَدَّ زِحَامُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَ نَادَى الْحَتَاتُ الْمُجَاشِعِيُّ أَيُّهَا النَّاسُ أُمَّكُمْ أُمَّكُمْ وَ اخْتَلَطَ النَّاسُ فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَ تَقَصَّدَ أَهْلُ الْكُوفَةِ قَصْدَ الْجَمَلِ وَ الرَّجَالُ دُونَهُ كَالْجِبَالِ كَلِمًا خَفَّ قَوْمٌ حِيَاءً أَضَعَفَهُمْ فَنَادَى عَلِيٌّ عَ وَيَحْكُمُ ارشُقُوا الْجَمَلَ بِالنَّبْلِ اعْقِرُوهُ لَعْنَةُ اللَّهِ فُرِشِقَ بِالسَّهَامِ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَوْضِعٌ إِلَّا أَصَابَهُ النَّبْلُ وَ كَانَ مُجَفَّفًا (١) فَتَعَلَّقَتِ السَّهَامُ بِهِ فَصَارَ كَالْقُنْفُذِ وَ نَادَتِ الْأَزْدُ وَ ضَدَّبَهُ يَا لثَارَاتِ عُثْمَانَ فَاتَّخَذُوها شِعَارًا وَ نَادَى أَصِيحَابُ عَلِيٍّ عَ يَا مُحَمَّدُ فَاتَّخَذُوها شِعَارًا وَ اخْتَلَطَ الْفَرِيقَانِ وَ نَادَى عَلِيٌّ عَ بِشِعَارِ رَسُولِ اللَّهِ ص يَا مَنْصُورُ أَمْتُ (٢) وَ هَذَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ الْجَمَلِ فَلَمَّا دَعَا بِهَا تَزَلُّزَتْ أَقْدَامُ الْقَوْمِ وَ ذَلِكَ وَ قَتَّ الْعَصْرِ بَعْدَ أَنْ كَانَتِ الْحَرْبُ مِنْ وَ قَتَّ الْفَجْرِ.

قَالَ الْوَائِدِيُّ وَ قَدْ رُوِيَ أَنَّ شِعَارَهُ عَ كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَمَّ لَا يُنْصِرُونَ اللَّهُمَّ انْصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ النَّاكِثِينَ ثُمَّ تَحَاجَزَ الْفَرِيقَانِ وَ الْقَتِيلُ فَاشٍ فِيهِمَا إِلَّا أَنَّهُ فِي أَهْلِ الْبُضَيْرِ أَكْثَرُ وَ أَمَارَاتُ النَّصِيرِ لِأَيْحَهُ لِعَسِيكَرِ الْكُوفَةِ ثُمَّ تَوَاقَفُوا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَبَرَزَ أَوَّلُ النَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَ دَعَا إِلَى الْمُبَارَزَةِ فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْأَشْتَرُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ مَنْ بَرَزَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ قَالُوا الْأَشْتَرُ فَقَالَتْ وَ أُنْكَلَ أَسِيْمَاءُ فَضَرَبَ كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ فَجَرَحَهُ ثُمَّ اغْتَنَفَا فَصَيَّرَعَ الْأَشْتَرُ عَبْدَ اللَّهِ وَ قَعِدَ عَلَى صِدْرِهِ وَ اخْتَلَطَ الْفَرِيقَانِ هَوْلًا لِيُنْفِذُوا عَبْدَ اللَّهِ وَ هَوْلًا لِيُعِينُوا الْأَشْتَرَ وَ كَانَ الْأَشْتَرُ طَوِيًّا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

ص: ٢٤٢

١- ١) كان مجففًا، أي ألبس التجفاف، وهو آلة الحرب توضع على الفرس.

٢- ٢) هو أمر بالموت، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة، مع حصول الغرض (النهاية لابن الأثير).

لَمْ يَطْعَمْ وَ هَذِهِ عَادَتُهُ فِي الْحَرْبِ وَ كَانَ أَيْضاً شَيْخاً عَالِي السِّنِّ فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ يُنَادِي أَقْتُلُونِي وَ مَالِكاً (١).

فَلَوْ قَالَ أَقْتُلُونِي وَ الْأَشْتَرُ لَقَتَلُوهُمَا إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ كَانَ يَمُرُّ بِهِمَا لَا يَعْرِفُهُمَا لِكَثْرَتِهِ مَنْ وَقَعَ فِي الْمَعْرَكَةِ صِيْرَعَى بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ وَ أَفَلَتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ تَحْتِهِ وَ لَمْ يَكَدْ فَذَلِكَ قَوْلُ الْأَشْتَرِ أَعَائِشُ لَوْ لَا أَنَّنِي كُنْتُ طَاوِيأً

١٤٤

١٤- وَ رَوَى أَبُو مِخْنَفٍ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ دَخَلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَ مَالِكُ بْنُ الْجَارِثِ الْمَاشِرُ عَلَى عَائِشَةَ بَعِيدَ انْقِضَاءِ أَمْرِ الْجَمَلِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَا عَمَّارُ مَنْ مَعَكَ قَالَ الْأَشْتَرُ فَقَالَتْ يَا مَالِكُ أَنْتَ الَّذِي صِيْرَعْتَ بَابِنَ أُخْتِي مَا صِيْرَعْتَ قَالَ نَعَمْ وَ لَوْ لَا أَنِّي كُنْتُ طَاوِيأً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَأَرَحْتُ أُمَّهُ مُحَمَّدٍ مِنْهُ فَقَالَتْ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لَا يَجِلُّ دَمُ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَخِيْدِ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ كُفْرٍ بَعِيدٍ إِيمَانٍ أَوْ زَنًا بَعِيدٍ إِحْصَانٍ أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ بَعِيْرٍ حَقٌّ فَقَالَ الْأَشْتَرُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَاتَلَّنَاهُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَيُّمُ اللَّهُ مَا خَانَنِي سَيْفِي قَبْلَهَا وَ لَقَدْ أَفْسَمْتُ أَلَّا يَصْحَبَنِي بَعْدَهَا.

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ فِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَشْتَرُ مِنْ جُمْلَةِ هَذَا الشُّعْرِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَ قَالَتْ عَلَى أَيِّ الْخِصَالِ صَرَعْتَهُ .

ص: ٢٦٣

(١- ١) بقيته: * و اقتلوا مالكا معي * و انظر المسعودي ٣٧٦: ٢.

١- قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَانْتَهَى الْحَارِثُ بْنُ زُهَيْرٍ الْأَزْدِيُّ مِنْ أَضِحَابِ عَلِيٍّ ع إِلَى الْجَمَلِ وَ رَجُلٌ (١) أَخَذَ بِخَطَامِهِ لَا يَدُونُ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ فَلَمَّا رَأَاهُ الْحَارِثُ بْنُ زُهَيْرٍ مَشَى إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ وَ ارْتَجَزَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ يَا أُمَّنَا أَعَقَّ أُمَّ نَعْلَمُ (٢)

فَاخْتَلَفَ هُوَ وَ الرَّجُلُ صَرَبَتَيْنِ فَكِلَاهُمَا أَتَخَنَ صَاحِبُهُ.

قَالَ جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ فَجِئْتُ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِمَا وَ هُمَا يَفْحَصَانِ بِأَرْجُلِهِمَا حَتَّى مَاتَا قَالَ فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ بَعِيدَ ذَلِكَ أُسَيْلَمَ عَلَيْهَا بِالْيَدَيْنِ فَقَالَتْ مَنْ أَنْتَ قُلْتُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَتْ هَلْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ الْبُصَيْرَةِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَتْ مَعَ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ قُلْتُ مَعَ عَلِيٍّ قَالَتْ هَلْ سَمِعْتَ مَقَالَهَ الَّذِي قَالَ يَا أُمَّنَا أَعَقَّ أُمَّ نَعْلَمُ.

قُلْتُ نَعَمْ وَ أَعْرِفُهُ قَالَتْ وَ مَنْ هُوَ قُلْتُ ابْنُ عَمِّ لِي قَالَتْ وَ مَا فَعَلَ قُلْتُ قَتَلَ عِنْدَ الْجَمَلِ وَ قُتِلَ قَاتِلُهُ قَالَ فَبَكَتْ حَتَّى طُنَّتْ وَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا تَشْكُتُ نُمَّ قَالَتْ لَوِ دِدْتُ وَ اللَّهُ أَنَّنِي كُنْتُ مِتُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعِشْرِينَ سَنَةً.

قَالُوا وَ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ عَسَاكِرِ الْبُصَيْرَةِ يُعْرِفُ بِخَبَابِ بْنِ عَمْرِو الرَّاسِبِيِّ فَارْتَجَزَ فَقَالَ أَضْرِبُهُمْ وَ لَوْ أَرَى عَلِيًّا عَمَّمْتُهُ أَبْيَضَ مَشْرِفِيًّا أَرِيحُ مِنْهُ مَعْشَرًا غَوِيًّا.

فَصَمَدَ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ فَقَتَلَهُ.

ثُمَّ تَقَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ وَ هُوَ

ص: ٢٦٤

١- (١) هو عمرو بن الأشرف. الطبري ٥: ٢١١.

٢- (٢) ذكر الطبري روايه أخرى فى هذا الرجز: *يا أمنا يا خير أم نعلم*

مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَكَانَ اسْمُ سَيْفِهِ وَلَوْلَ فَارْتَجَزَ فَقَالَ أَنَا إِبْنُ عَتَّابٍ وَ سَيْفِي وَلَوْلَ وَ الْمَوْتُ دُونَ الْجَمَلِ الْمُجَلَّلِ (١).

فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ فَفَتَلَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِرَامٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ أَيْضًا فَارْتَجَزَ وَ طَلَبَ الْمُبَارَزَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَشْتَرُ فَضْرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَضْرَعَهُ ثُمَّ قَامَ فَجَا بِنَفْسِهِ.

فَالُوا وَ أَخَذَ خِطَامَ الْجَمَلِ سَبْعُونَ مِنْ قُرَيْشٍ قُتِلُوا كُلَّهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ بِخِطَامِ الْجَمَلِ أَحَدٌ إِلَّا سَأَلَتْ نَفْسُهُ أَوْ قُطِعَتْ يَدُهُ وَ جَاءَتْ بَنُو نَاجِيَةَ فَأَخَذُوا بِخِطَامِ الْجَمَلِ وَ لَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ الْخِطَامَ أَحَدٌ إِلَّا سَأَلَتْ عَائِشَةُ مِنْ هَذَا فَسَأَلَتْ عَنْهُمْ فَقِيلَ بَنُو نَاجِيَةَ فَقَالَتْ عَائِشَةُ صَبْرًا يَا بَنِي نَاجِيَةَ فَإِنِّي أَعْرِفُ فِيكُمْ شَمَائِلَ قُرَيْشٍ قَالُوا وَ بَنُو نَاجِيَةَ مَطْعُونٌ فِي نَسَبِهِمْ (٢) إِلَى قُرَيْشٍ (٣) فَقُتِلُوا حَوْلَهَا جَمِيعًا.

١٤٦

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاشِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ أُمِّسِيْتُ يَوْمَ الْجَمَلِ وَ بِي سَبْعَةٌ وَ ثَلَاثُونَ جُرْحًا مِنْ ضَرْبِهِ وَ طَعْنِهِ وَ رَمِيهِ وَ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ يَوْمِ الْجَمَلِ قَطُّ مَا كَانَ الْفَرِيقَانِ إِلَّا كَالْجَبَلَيْنِ لَا يَزُولَانِ.

١٤٧

١- قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَ قَامَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيُّ فِتْنَةٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ إِنَّ الْبَيْدَرِيَةَ لَيَمْتَسِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالسَّيْفِ فَقَالَ عَلِيٌّ ع وَيَحْكُكَ أَ تَكُونُ فِتْنَةً أَنَا أَمِيرُهَا وَ قَاتِلُهَا وَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ وَ كَرَّمَ وَجْهَهُ مَا كَذَبْتُ وَ لَا كُذِّبْتُ وَ لَا ضَلَلْتُ وَ لَا ضَلَّ بِي وَ لَا زَلَّتْ وَ لَا زَلَّ بِي وَ إِنِّي لَعَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي بَيْنَهَا اللَّهُ لِرَسُولِهِ وَ بَيْنَهَا رَسُولُهُ لِي وَ سَأَدَعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا ذَنْبَ لِي وَ لَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ لَكُفِّرَ عَنِّي ذُنُوبِي مَا أَنَا فِيهِ مِنْ قِتَالِهِمْ

١٤٨

١- قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ وَ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ الْأَعْوَرُ عَنْ حَبَّةِ الْعُرْنِيِّ قَالَ فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ ع

ص: ٢٦٥

١- ١) ب: «عند الجملة».

٢- ٢- ٢) ساقط من ب.

٣- ٢- ٢) ساقط من ب.

أَنَّ الْمَوْتَ عِنْدَ الْجَمَلِ وَ أَنَّهُ مَا دَامَ قَائِمًا فَالْحَرْبُ لَا تُطْفَأُ وَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَ عَطَفَ نَحْوَهُ وَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَ مَشَى نَحْوَهُ
وَ الْخِطَامُ مَعَ بَنِي ضَبَّةَ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَ اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي بَنِي ضَبَّةَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَهُ عَظِيمَةً وَ خَلَصَ عَلِيُّ ع فِي جَمَاعَةٍ مِنَ
النَّخَعِ وَ هَمْدَانَ إِلَى الْجَمَلِ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنَ النَّخَعِ اسْمُهُ بُجَيْرٌ دُونَكَ الْجَمَلُ يَا بُجَيْرُ فَضْرَبَ عَجَزَ الْجَمَلِ بِسَيْفِهِ فَوَقَعَ لِجَنْبِهِ وَ ضْرَبَ
بِجِرَانِهِ الْأَرْضَ وَ عَجَّ عَجِيجًا لَمْ يُسْمَعْ بِأَشَدَّ مِنْهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ صُرِعَ الْجَمَلُ حَتَّى فَرَّتِ الرَّجَالُ كَمَا يَطِيرُ الْجَرَادُ فِي الرِّيحِ الشَّدِيدَةِ
الْهَبُوبِ وَ احْتُمِلَتْ عَائِشَةُ بِهَوْدَجِهَا فَحُمِلَتْ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ وَ أَمَرَ عَلِيُّ ع بِالْجَمَلِ أَنْ يُحْرَقَ ثُمَّ يُذْرَى فِي الرِّيحِ وَ قَالَ
ع لَعَنَهُ اللَّهُ مِنْ دَابَّةٍ فَمَا أَشْبَهَهُ بِعَجَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ قَرَأَ وَ انْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لِنَحْرَفَنَّهُ ثُمَّ لِنَسْفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا
(١).

ص: ٢٦٦

(١-١) سورة طه ٩٧.

أَرْضُكُمْ قَرِيْبُهُ مِنَ الْمَاءِ بَعِيْدُهُ مِنَ السَّمَاءِ خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَانْتَمَّ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وَ أُكْلُهُ لِأَكِلٍ وَ فَرِيْسُهُ لِصَائِلٍ [صَائِدٍ

[

الغرض ما ينصب ليرمى بالسهام و النابل ذو النبل و الأكله بضم الهمزه المأكول و فريسه الأسد ما يفترسه .

و سفه فلان بالكسر أى صار سفيها و سفه بالضم أيضا فإذا قلت سفه فلان رأيه أو حلمه أو نفسه لم تقل إلا بالكسر لأن فعل بالضم لا يتعدى و قولهم سفه فلان نفسه و غبن رأيه و بطر عيشه و ألم بطنه و رفق حاله و رشد أمره كان الأصل فيه كله سفهت نفس زيد فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بالمفعوليه هذا مذهب البصريين و الكسائي من الكوفيين .

و قال الفراء لما حول الفعل إلى الرجل خرج ما بعده مفسرا ليدل على أن السفاهه فيه و كان حكمه أن يكون سفه زيد نفسا لأن المفسر لا يكون إلا نكراه و لكنه ترك على إضافته و نصب كنصب النكره تشبيها بها.

و يجوز عند البصريين و الكسائي تقديم المنصوب كما يجوز ضرب غلامه زيد و عند الفراء لا يجوز تقديمه لأن المفسر لا يتقدم (١) .

ص: ٢٦٧

فأما قوله أرضكم قريبه من الماء بعيده من السماء فقد قدمنا (١) معنى قوله قريبه من الماء و ذكرنا غرقها من بحر فارس دفعتين و مراده ع بقوله قريبه من الماء أى قريبه من الغرق بالماء و أما بعيده من السماء فإن أرباب علم الهيئه و صناعه التنجيم يذكرون أن أبعد موضع فى الأرض عن السماء الأبله (٢) و ذلك موافق لقوله ع.

و معنى البعد عن السماء هاهنا هو بعد تلك الأرض المخصوصه عن دائره معدل النهار و البقاع و البلاد تختلف فى ذلك و قد دلت الأرصاد و الآلات النجوميه على أن أبعد موضع فى المعموره عن دائره معدل النهار هو الأبله و الأبله هى قصبه البصره .

و هذا الموضع من خصائص أمير المؤمنين ع لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب و لا تهتدى إليه و هو مخصوص بالمدققين من الحكماء و هذا من أسراره و غرائبه البديعه

ص: ٢٤٨

١- ١) ص ٢٥٣ من هذا الجزء.

٢- ٢) الأبله بضم أوله و ثانيه و تشديد اللام و فتحها: بلده على شاطئ دجله البصره العظمى، فى زاويه الخليج الذى يدخل إلى مدينه البصره؛ و هى أقدم من البصره. مرصد الاطلاع ١: ١٨.

١٥ ومن كلام له ع فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضى الله عنه

وَ اللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَ مُلِكَ [تَمَلَّكَ]

بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقُ .

القطائع ما يقطعه الإمام بعض الرعيه من أرض بيت المال ذات الخراج و يسقط عنه خراجه و يجعل عليه ضريبه يسيره عوضا عن الخراج و قد كان عثمان أقطع كثيرا من بنى أميه و غيرهم من أوليائه و أصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه الصورة و قد كان عمر أقطع قطائع و لكن لأرباب الغناء فى الحرب و الآثار المشهوره فى الجهاد فعل ذلك ثمنا عما بذلوه من مهجهم فى طاعه الله سبحانه و عثمان أقطع القطائع صلح لرحمه و ميلا إلى أصحابه عن غير عناء فى الحرب و لا أثر.

١٤٩

١- وَ هَيْدِهِ الْخُطْبَةُ ذَكَرَهَا الْكَلْبِيُّ مَرْوِيَةً مَرْفُوعَةً إِلَى أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عَلِيًّا عَ خَطَبَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ بَيْعَتِهِ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ أَلَا إِنَّ كُلَّ قَطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ وَ كُلُّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَهُوَ مَرْدُودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ فَإِنَّ الْحَقَّ الْقَدِيمَ لَا يُبْطَلُهُ شَيْءٌ وَ لَوْ وَجَدْتُهُ وَ قَدْ (١) تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَ فُرِّقَ فِي الْبُلْدَانِ لَرَدَدْتُهُ إِلَى حَالِهِ (٢) فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَ مَنْ ضَاقَ عَنْهُ الْحَقُّ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقُ .

ص: ٢٦٩

١-١) ب: «قد».

٢-٢) ب: «على حاله».

و تفسير هذا الكلام أن الوالى إذا ضاقت عليه تدبيرات أموره فى العدل فهى فى الجور أضيقت عليه لأن الجائر فى مظنه أن يمنع و يصد عن جوره.

١٥٠

١- قَالَ الْكَلْبِيُّ ثُمَّ أَمَرَ بِكُلِّ سَيْلٍ لِحِمْزٍ وَجَدَ لِعُثْمَانَ فِي دَارِهِ مِمَّا تَقَوَّى بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَبِضَ وَأَمَرَ بِقَبْضِ نَجَائِبِ كَانَتْ فِي دَارِهِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَقَبِضَتْ وَأَمَرَ بِقَبْضِ سَيْفِهِ وَدِرْعِهِ وَأَمَرَ أَلَّا يُعْرَضَ لِسَيْلٍ لِحِمْزٍ وَجَدَ لَهُ لَمْ يَقَاتِلْ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَبِالْكَفِّ عَنْ جَمِيعِ أَمْوَالِهِ الَّتِي وَجَدَتْ فِي دَارِهِ وَفِي غَيْرِ دَارِهِ وَأَمَرَ أَنْ تُزْتَجَعَ الْأَمْوَالُ الَّتِي أَجَازَ بِهَا عُثْمَانُ حَيْثُ أُصِيبَتْ أَوْ أُصِيبَ أَصْحَابُهَا.

فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنَ الْعِيَاصِ وَكَانَ بِبَائِلَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ أَتَاهَا حَيْثُ وَثَبَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ فَتَزَلَّيْهَا فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ مَا كُنْتُ صَانِعًا فَاصْنَعْ إِذْ قَشَرَكَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ كُلِّ مَالٍ تَمْلِكُهُ كَمَا تُقَشِّرُ عَنِ الْعَصَا لِحَاهَا.

و قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَهُوَ أَخُو عُثْمَانَ مِنْ أُمِّهِ يَذْكَرُ قَبْضَ عَلِيٍّ عَ نَجَائِبِ عُثْمَانَ وَ سَيْفَهُ وَ سَيْلَهُ (١) بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ

ص : ٢٧٠

(١ - ١) الأبيات فى المسعودى ٣٥٦:٢؛ والأغانى ١٧٥:٤(ساسى)، والكامل ٣:٢٨ مع اختلاف فى الروايه و ترتيب الأبيات.

فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأُيُوتٍ طَوِيلَةٍ (١) مِنْ جُمَلَتِهَا فَلَا تَسْأَلُونَا سَيِّفَكُمْ إِنَّ سَيِّفَكُمْ

أى كان كافرا كما كان كسرى كافرا.

و كان المنصور رحمه الله تعالى إذا أنشد هذا الشعر (٢) يقول لعن الله الوليد هو الذى فرق بين بنى عبد مناف بهذا الشعر

ص: ٢٧١

١- ١) نسبها المسعودى و صاحب الأغانى إلى الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب.

٢- ٢) ب: «البيت».

ذَمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَهُ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ إِنَّ مَنْ صَيَّرَ حَتَّى لَهُ الْعَبْرَ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنِ تَقَّحُمِ الشُّبُهَاتِ أَلَا وَ إِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ (١) [نَبِيِّكُمْ]

ص وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبُنَّ بَلْبَلَهُ وَ لَتَعْرَبُنَّ غَرْبَلَهُ وَ لَتَسِيْطُنَّ سَوَاطِنَ الْقَدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسِيْفُكُمْ أَعْلَابَكُمْ وَ أَعْلَابُكُمْ أَسِيْفُكُمْ وَ لَيَسِيْبُنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوا وَ لَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا وَ اللَّهُ مَا كَتَمْتُ وَ شَمَمَهُ وَ لَا كَذَبْتُ كَذِبَهُ وَ لَقَدْ بُنْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَ هَذَا الْيَوْمِ أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا خِيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خُلِعَتْ لُجْمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَرْمَتَهَا فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلِّ أَهْلٍ فَلَيْنٌ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَّ وَ لَيْنٌ قَلَّ الْحَقُّ [لَرُبَّمَا فَلَربَّمَا وَ لَعَلَّ وَ لَقَلَّمَا أَذْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ.

(٢)

قال الرضى (٣) و أقول إن فى هذا الكلام الأدنى من مواقع

ص: ٢٧٢

١- ١) كذا فى أ و مخطوطه النهج، و فى ب: «نبيهم».

٢- ٢- ٢) ساقط من ب.

٣- ٢- ٢) ساقط من ب.

الإحسان ما لا- تبلغه مواقع الاستحسان و إن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به و فيه مع الحال التي وصفنا (١) زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان و لا يطلع فجها (٢) إنسان و لا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعات بحق و جرى فيها على عرق و ما يعقلها إلا العالمون

و من هذه الخطبه شغل من الجنة و النار أمامه ساع سريع نجا و طالب بطيء رجا و مقصر في النار هوى اليمين و الشمال مصله و الطريق الوسطى هي الجادة عليها باقى (٣) الكتاب و آثار النبوه و منها منمذ السنه و إليها مصير العاقبه هلك من ادعى و خاب من افتري من أبدى صفحته للحق هلك [عند جهله الناس]

و كفى بالمرء جهلاً- ألا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سينح أضل و لا يظماً عليها زرع قوم فاشيتروا في بيوتكم و أضيلحوا ذات بينكم و التوبه من ورائكم و لا يحمد حامد إلا ربه و لا يلم لائم إلا نفسه [ذنبه]

ص: ٢٧٣

١- ١) مخطوطه النهج: «وصفناه».

٢- ٢) الفج: الطريق الواسع بين جبلين، و طلع الطريق: بلغه.

٣- ٣) مخطوطه النهج: «ما فى الكتاب».

الذمه العقد والعهد يقول هذا الدين فى ذمتى كقولك فى عنقى وهما كناية عن الالتزام والضمان والتقلد والزعيم الكفيل و
مخرج الكلام لهم مخرج الترغيب فى سماع ما يقوله كما يقول المهتم بإيضاح أمر لقوم لهم أنا المدرك المتقلد بصدق ما أقوله
لكم و صرحت كشفت و العبر جمع عبره و هى الموعظه و المثالات العقوبات و حجزه منعه .

وقوله لتببلن أى لتخلطن تببلت الألسن أى اختلطت و لتغربلن يجوز أن يكون من الغربال الذى يغربل به الدقيق و يجوز أن
يكون من غربلت اللحم أى قطعتة فإن كان الأول كان له معنيان أحدهما الاختلاط كالتبليل لأن غربله الدقيق تخلط بعضه ببعض
و الثانى أن يريد بذلك أنه يستخلص الصالح منكم من الفاسد و يتميز كما يتميز الدقيق عند الغربله من نخالته .

و تقول ما عصيت فلانا وشمه أى كلمه و حصان شמוש يمنع ظهره شمس الفرس بالفتح و به شماس و أمر الباطل كثر .

وقوله لقديما فعل أى لقديما فعل الباطل ذلك و نسب الفعل إلى الباطل مجازا و يجوز أن يكون فعل بمعنى انفعل كقوله (١)
قد جبر الدين الإله فجبر أى فأنجبر و السنخ الأصل و قوله سنخ أصل كقوله (٢) إذا حاص عينيه كرى النوم.

١٥١

وَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ مَنْ أْبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ عِنْدَ جَهْلِهِ النَّاسِ.

و التأويل مختلف فمراده على الروايه الأولى و هى الصحيحه من كاشف الحق مخاصما له هلك

ص: ٢٧٤

١- ١) مطلع أرجوزه للعجاج، ديوانه ١٥، و اللسان ١٨٥: ٥.

٢- ٢) لتأبط شراء، و البيت بروايه أبى تمام فى الحماسه- بشرح المرزوقى ٩٧: ١: إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالى من قلب
شبحان فاتك. .

و هي كلمه جاريه مجرى المثل و مراده على الروايه الثانيه من أبدى صفحته لنصره الحق غلبه أهل الجهل لأنهم العامه و فيهم الكثره فهلك.

و هذه الخطبه من جلائل خطبه ع و من مشهوراتها قد رواها الناس كلهم و فيها زيادات حذفها الرضى إما اختصارا أو خوفا من إيحاش السامعين و قد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب البيان و التبيين (1) على وجهها و رواها عن أبى عبيده معمر بن المثنى .

١٥٢

١- قَالَ أَوَّلُ خُطْبِهِ خَطْبَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ ع بِالْمَدِينَةِ فِي خِلَافَتِهِ (٢) حَمَدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ص ثُمَّ قَالَ أَلَا لَأَيُّزِعِينَ (٣) مُرِعَ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ أَمَامَهُ (٤) سَاعٍ مُجْتَهِدٍ [يَنْجُو]

(٥) وَ طَالِبٍ يَزُجُو وَ مَقْصُرٍ فِي النَّارِ (٦) ثَلَاثَةٌ وَ اثْنَانِ مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ وَ نَبِيٌّ أَخَذَ اللَّهَ بِيَدِهِ (٧) لَا- سَادِسَ هَلَكَ مَنْ ادَّعَى وَ رَدَى مَنْ افْتَحَمَ (٨) الْيَمِينُ وَ الشَّمَالُ مَضَلَّهُ وَ الْوَسْطَى الْجَادَّةُ (٩) مَنُهِجٌ عَلَيْهِ بَاقِي الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ وَ آثَارُ التُّبُوهُ إِنَّ اللَّهَ دَاوَى هَذِهِ الْأُمَّةَ بِدَوَائِنِ السُّوْطِ وَ السَّيْفِ لَا هَوَادَةَ عِنْدَ الْأِمَامِ فِيهِمَا اسْتَبْرَأُوا فِي بَيُوتِكُمْ (١٠) وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ (١١) وَ التَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ

ص: ٢٧٥

١-١) البيان و التبيين (٥٠:٢-٥٢)، و رواها أيضا ابن قتيبه فى عيون الأخبار (٢:٢٣٦).

٢-٢) البيان: «أنه قال بعد أن حمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه».

٣-٣) البيان: «أما بعد فلا يرعين».

٤-٤) فى البيان: «فإن من أرعى على غير نفسه شغل عن الجنة و النار أمامه».

٥-٥) تكمله من البيان و التبيين.

٦-٦) عند ابن قتيبه فى العيون: «ساع سريع نجا، و طالب بطيء رجا، و مقصر فى النار هوى».

٧-٧) البيان و العيون: «بيديه».

٨-٨) البيان: «فإن اليمين».

٩-٩) الجاده: الطريق الواضح.

١٠-١٠) البيان: «استتروا بيوتكم»، و العيون: «فاستتروا بيوتكم».

١١-١١) البيان: «و أصلحوا فيما بينكم».

لِلْحَقِّ هَلَاكَ قَدْ كَانَتْ [لَكُمْ]

(١) أُمُورٌ [مِلْتُمْ فِيهَا عَلَى مِثْلِهِ]

(٢) لَمْ تَكُونُوا عِنْدِي فِيهَا مَحْمُودِينَ (٣) [وَلَا مُصِيبِينَ]

(٤) أَمَّا إِنِّي لَوْ أَشَاءُ لَقُلْتُ عَصَا اللَّهِ عَمَّا سِيلَفَ سَيْبَقَ الرَّجُلَانِ وَقَامَ الثَّلَاثُ كَالْغُرَابِ هِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَيَحَهُ (٥) لَوْ قُصَّ جَنَاحَاهُ وَقُطِعَ رَأْسُهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ أَنْظُرُوا فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ فَأَنْكِرُوا وَإِنْ عَرَفْتُمْ فَأَزِرُوا حَقُّ وَبَاطِلٌ وَ لِكُلِّ أَهْلٍ وَ لَيْتَنَ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَّ وَ لَيْتَنَ (٦) قَلَّ الْحَقُّ لِرُبَّمَا وَ لَعَلَّ وَ قَلَمَّا أَذْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ (٧) وَ لَيْتَنَ رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ أُمُورُكُمْ إِنَّكُمْ لَسَعْدَاءُ وَ إِنِّي لَأَخْشَى أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرِهِ وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْإِجْتِهَادُ

١٥٣

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عُثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَ زَادَ (٨) فِيهَا فِي رِوَايَةِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ آبَائِهِ ع

(٩)

أَلَا- إِنَّ أَبْرَارَ عِثْرَتِي وَ أَطَايِبَ أُرُومَتِي أَحْلَمُ النَّاسِ صِبْغَارًا وَ أَعْلَمُ النَّاسِ كِبَارًا أَلَا- وَ إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلِمْنَا وَ بِحُكْمِ اللَّهِ حَكَمْنَا وَ مِنْ قَوْلِ صِدْقٍ سَمِعْنَا فَإِنْ تَتَّبَعُوا آثَارَنَا تَهْتِدُوا بِبَصَائِرِنَا وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يُهْلِكْكُمْ اللَّهُ بِأَيْدِينَا وَ مَعَنَا رَأْيُهُ الْحَقُّ مَنْ تَبِعَهَا لِحَقٍّ وَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا غَرِقَ أَلَا وَ بِنَا يُدْرِكُ تَرَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَ بِنَا تُخْلَعُ رِبْقَةُ الدُّلِّ عَنْ أَعْنَاقِكُمْ (١٠) وَ بِنَا فَتُحَاحَ (١١) لَا بِكُمْ وَ مِنَّا يُخْتَمُ لَا بِكُمْ.

قوله لا- يرعين أى لا- يقين أرعيت عليه أى أبقيت يقول من أبقى على الناس فإنما أبقى على نفسه و الهواده الرفق و الصلح و أصله اللين و التهويد المشى

ص: ٢٧٤

١-١) تكمله من البيان و التبيين.

١-٢) تكمله من البيان و التبيين.

٣-٣) البيان: «يا ويحه».

١-٤) تكمله من البيان و التبيين.

٥-٥) البيان: «ما أدبر شىء فأقبل».

٦-٦-٦) البيان: «و روى فيها جعفر بن محمد».

٧-٧) البيان: «من أعناقكم».

٨-٨ ا، البيان: «فتح الله».

٨-٩ ا، البيان: «فتح الله».

-١٠

-١١

وَفِي الْحَدِيثِ أُسْرِعُوا الْمَشَى فِي الْجَنَازَةِ وَلَا تُهَوِّدُوا كَمَا تُهَوِّدُ أَهْلُ الْكِتَابِ .

و آذرت زيدا أعتته التره و الوتر و الربقه الجبل يجعل فى عنق الشاه و ردى هلك من الردى كقولك عمى من العمى و شجى من الشجا.

و قوله شغل من الجنه و النار أمامه يريد به أن من كانت هاتان الداران أمامه لفى شغل عن أمور الدنيا إن كان رشيدا.

و قوله ساع مجتهد إلى قوله لا سادس كلام تقديره المكلفون على خمسة أقسام ساع مجتهد و طالب راج و مقصر هالك ثم قال ثلاثه أى فهؤلاء ثلاثه أقسام و هذا ينظر إلى قوله سبحانه ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ (١) ثم ذكر القسمين الرابع و الخامس فقال هما ملك طار بجناحيه و نبى أخذ الله بيده يريد عصمه هذين النوعين من القبيح ثم قال لا سادس أى لم يبق فى المكلفين قسم سادس و هذا يقتضى أن العصمه ليست إلا للأنبياء و الملائكه و لو كان الإمام يجب أن يكون معصوما لكان قسما سادسا فإذن قد شهد هذا الكلام بصحة ما تقوله المعتزله فى نفى اشتراط العصمه فى الإمامه اللهم إلا أن يجعل الإمام المعصوم داخلا فى القسم الأول و هو الساعى المجتهد و فيه بعد و ضعف .

و قوله هلك من ادعى و ردى من اقتحم يريد هلك من ادعى و كذب لا بد من تقدير ذلك لأن الدعوى تعم الصدق و الكذب و كأنه يقول هلك من ادعى الإمامه و ردى من اقتحمها و ولجها عن غير استحقاق لأن كلامه ع فى هذه الخطبه كله كنايات عن الإمامه لا عن غيرها.

ص: ٢٧٧

وقوله اليمين و الشمال مثال لأن السالك الطريق المنهج اللاحب ناج و العادل عنها يمينا و شمالا معرض للخطر.

و نحو هذا الكلام ما روى عن عمر أنه لما صدر عن منى فى السنه التى قتل فيها كوم كومه من البطحاء (١) فقام عليها فخطب الناس فقال أيها الناس قد سنت لكم السنن و فرضت لكم الفرائض و تركتم على الواضحه إلا أن تميلوا بالناس يمينا و شمالا ثم قرأ ألم نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (٢) ثم قال ألا إنهما نجد الخير و الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير

من كلام للحجاج و زياد نسجا فيه على منوال كلام على

وقوله إن الله داوى هذه الأمه بدوائين كلام شريف و على منواله نسج الحجاج و زياد كلامهما المذكور فيه السوط و السيف فمن ذلك قول الحجاج (٣) من أعياه داؤه فعلى دواؤه و من استبطأ أجله فعلى أن أعجله و من استثقل رأسه وضعت عنه ثقله و من استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه إن للشيطان طيفا و إن للسلطان سيفا فمن سقمت سريرته صحت عقوبته و من وضعه ذنبه رفعه صلبه و من لم تسعه العافيه لم تضق عنه الهلكه و من سبقته بادره فمه سبق بدنه سفك دمه إننى لأنذر ثم لا أنظر و أحذر ثم لا أعذر و أتوعد ثم لا أغفر إنما أفسدكم (٤) ترقيق ولاتكم و من استرخى لبيه (٥) ساء أدبه إن الحزم و العزم سلبانى

ص: ٢٧٨

١- (١) البطحاء:التراب السهل ممّا جرته السيول.

٢- (٢) سوره البلد ٨-١٠.

٣- (٣) نهايه الأرب ٧:٢٢٤،صبح الأعشى ١:٢٢٠،سرح العيون ١٨٤.

٤- (٤) فى صبح الأعشى:«ترنيق»،و الترنيق:الضعف فى الأمر.

٥- (٥) اللب:ما يشد فى صدر الدابّه ليمنع استئخار الرحل؛يريد أن الهواده و اللين لمما يفسد الرعيه.

سوطى (١) و جعلاً سوطى سيفى (٢) فقائمه فى يدى و نجاده (٣) فى عنقى و ذبابه (٤) قلاده لمن عصانى و الله لا آمر أحدا أن يخرج من (٥) باب من (٦) أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه.

و من ذلك قول زياد إنما هو زجر بالقول ثم ضرب بالسوط ثم الثالثة التى لا شوى (٧) لها فلا يكونن لسان أحدكم شفره (٨) تجرى على أوداجه (٩) و ليعلم إذا خلا بنفسه أنى قد حملت سيفى بيده فإن شهره لم أغمده و إن أغمده لم أشهره و قوله ع كالغراب يعنى الحرص و الجشع و الغراب يقع على الجيفه و يقع على التمره و يقع على الحبه و فى الأمثال أجشع من غراب و أحرص من غراب.

و قوله ويحه لو قص يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافه لكان خيرا له من أن يعيش و يدخل فيها ثم قال لهم أفكروا فيما قد قلت فإن كان منكرا فأنكروه و إن كان حقا فأعينوا عليه .

و قوله استتروا فى بيوتكم نهى لهم عن العصبية (١٠) و الاجتماع و التحزب فقد كان قوم بعد قتل عثمان تكلموا فى قتله من شيعه بنى أمية بالمدينه .

ص: ٢٧٩

١-١-١) صبح الأعشى: «و أبدلانى به سيفى».

١-١-٢) صبح الأعشى: «و أبدلانى به سيفى».

٣-٣) ذباب السيف: حده.

٤-٤-٤) ساقط من ب، و هو فى أ و صبح الأعشى.

٥-٥) لا- شوى لها، أى لا- خطأ لها، أو لا براء؛ و منه قول الكميت: أجيوا رقى الآسى التّطاسى و احذروا مطفّئه الرّضف التّى لا شوى لها.

٥-٦) لا- شوى لها، أى لا- خطأ لها، أو لا براء؛ و منه قول الكميت: أجيوا رقى الآسى التّطاسى و احذروا مطفّئه الرّضف التّى لا شوى لها.

٧-٧) الأوداج: عروق العنق.

٨-٨) ا: «المعصيه».

-٩

-١٠

و أمّا قوله قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين فمراده أمر عثمان و تقديمه فى الخلافه عليه و من الناس من يحمل ذلك على خلافه الشيخين أيضا و يبعد عندى أن يكون أرادته لأن المده قد كانت طالت و لم يبق من يعاتبه ليقول قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين فإن هذا الكلام يشعر بمعاتبه قوم على أمر كان أنكره منهم و أمّا بيعه عثمان ثم ما جرى بينه و بين عثمان من منازعات طويله و غضب تاره و صلح أخرى و مراسلات خشنه و لطيفه و كون الناس بالمدينه كانوا حزبين و فئتين إحداهما معه ع و الأخرى مع عثمان فإن (١) صرف الكلام إلى ما قلناه بهذا الاعتبار أليق.

و لسنا نمنع من أن يكون فى كلامه ع الكثير من التوجد و التألم لصرف الخلافه بعد وفاه الرسول ص عنه و إنّما كلامنا الآن فى هذه اللفظات التى فى هذه الخطبه على أن قوله ع سبق الرجلان و الاقتصار على ذلك فيه كفايه فى انحرافه عنهما .

و أمّا قوله حق و باطل إلى آخر الفصل فمعناه كل أمر فهو إما حقّ و إما باطل و لكل واحد من هذين أهل و ما زال أهل الباطل أكثر من أهل الحق و لئن كان الحق قليلا لربما كثر و لعله ينتصر أهله.

ثمّ قال على سبيل التضجر بنفسه و قلما أدبر شىء فأقبل استبعد ع أن تعود دوله قوم بعد زوالها عنهم و إلى هذا المعنى ذهب الشاعر فى قوله و قالوا يعود الماء فى النهر بعد ما

ص : ٢٨٠

١ - ١) : «و إن».

ثم قال و لئن رجعت عليكم أموركم أى إن ساعدنى الوقت و تمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالى و رسوله و عادت إليكم أيام شبيهه بأيام رسول الله ص و سيره مماثله لسيرته فى أصحابه إنكم لسعداء.

ثم قال و إني لأخشى أن تكونوا فى فترة الفتره هى الأزمنه التى بين الأنبياء إذا انقطعت الرسل فيها كالفتره التى بين عيسى ع و محمد ص لأنه لم يكن بينهما نبى بخلاف المده التى كانت بين موسى و عيسى ع لأنه بعث فيها أنبياء كثيرون فيقول ع إني لأخشى ألا- أتمكن من الحكم بكتاب الله تعالى فيكم فتكونوا كالأمم الذين فى أزمنه الفتره لا- يرجعون إلى نبى يشافهمهم بالشرائع و الأحكام و كأنه ع قد كان يعلم أن الأمر سيضطرب عليه.

ثم قال و ما علينا إلا الاجتهاد يقول أنا أعمل ما يجب على (١) من الاجتهاد (٢) فى القيام بالشريعة و عزل و لاه السوء و أمراء الفساد عن المسلمين فإن تم ما أريده فذاك و إلا كنت قد أعدرت.

و أما التتمه المرويه عن جعفر بن محمد ع فواضحه الألفاظ و قوله فى آخرها و بنا تختم لا بكم إشاره إلى المهدي الذى يظهر فى آخر الزمان و أكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمه ع و أصحابنا المعتزله لا- ينكرونه و قد صرحوا بذكره فى كتبهم و اعترف به شيوخهم إلا أنه عندنا لم يخلق بعد و سيخلق.

و إلى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضا.

١٥٥

١٢، ١- و روى قاضى القضاة

ص: ٢٨١

١- ١- ١) ساقط من ب.

٢- ١- ١) ساقط من ب.

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كَافِي الْكَفَاهِ أَبِي الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ بِعَلِيِّ ع أَنَّهُ ذَكَرَ الْمَهْدِيَّ وَقَالَ إِنَّهُ مِنْ
وُلْدِ الْحُسَيْنِ ع وَ ذَكَرَ حَلِيَّتَهُ (١) فَقَالَ رَجُلٌ أَجْلَى الْجَبِينِ أَقْنَى الْأَنْفِ ضَخْمُ الْبَطْنِ أَرْزِيلٌ (٢) الْفَخْذَيْنِ أَبْلَجُ الشَّيْبَا بِفَخْدِهِ الْيُمْنَى
شَامَةٌ وَ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ بِعَيْنِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

ص: ٢٨٢

١-١) الحليه هنا:الصفه.

٢-٢) الزيل،محركه:تباعدا ما بين الفخذين،و هو أزيل.

إِنْ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ [تَعَالَى]

رَجُلَانِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِزٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعِهِ وَ دُعَاءِ ضَلَالِهِ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَنَّ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مُضِلُّ لِمَنْ افْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ وَفَاتِهِ حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ [رَهِينٌ]

بِخَطِيئَتَيْهِ وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ عَادٍ (١) [عَادِرٌ]

فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ بَكَّرٌ [بَكْرٌ]

فَاسْتَكْتَرُ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ وَ [اِكْتَنَرَ]

اِكْتَنَرَ [اِكْتَنَرَ]

مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّا لَهَا حَشْوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسِيجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا- يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَ إِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَّابٌ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعْصُ عَلَى الْعِلْمِ بَضْرُسٍ قَاطِعٍ [يُدْرِي]

يُدْرُو [يُدْرِي]

الرُّوَايَاتِ [إِذْرَاءً]

ذَرَوْ [إِذْرَاءً]

الرَّيْحِ الْهَشِيمِ لَا مَلِيءٌ وَ اللَّهُ يَأْضِدَارٍ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَ لَا [هُوَ]

أَهْلٌ لِمَا [فُؤُضَ]

قُرْطَ [فُؤُضَ]

بِهِ [إِلَيْهِ]

لَا يَحْسَبُ الْعِلْمُ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ وَ لَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ وَ إِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اِكْتَنَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ تَصْرُحُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءِ وَ تَعَجُّ مِنْهُ

الْمَوَارِيثُ إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبُورٌ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ
بَيْعًا وَلَا أَعْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ .

وكله إلى نفسه تركه و نفسه و كلته و كلا- و و كولا و الجائر الضال العادل عن الطريق و قمش جهلا جمعه و موضع مسرع أوضع
البعير أسرع و أوضعه راكبه فهو موضع به أى أسرع به .

و أغباش الفتنة ظلمها الواحده غباش و أغباش الليل بقايا ظلمته

١٥٦

و مِنْهُ الْحَدِيثُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَ النَّسَاءِ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ (١) مَا يُعْرَفَنَّ مِنَ الْعَبَشِ .

و الماء الآجن الفاسد و أكثر كقولك استكثر و يروى اكثر أى اتخذ العلم كترا .

و التخليص التبيين و هو و التلخيص متقاربان و لعلهما شىء واحد من المقلوب .

و المبهمات المشكلات و إنما قيل لها مبهمه لأنها أبهمت عن البيان كأنها أصممت فلم يجعل عليها دليل و لا إليها سبيل أو جعل
عليها دليل و إليها سبيل إلا أنه متعسر مستصعب و لهذا قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمه و قيل للمصمت اللون الذى لا شيه فيه
بهيم .

و قوله حشوا رثا كلام مخرجه الدم و الرث الخلق ضد الجديد .

و قوله حشوا يعنى كثيرا لا- فائده فيه و عاش خابط فى ظلام و قوله لم يعرض يريد أنه لم يتقن و لم يحكم الأمور فيكون بمنزله
من يعرض بالناجد و هو آخر الأضراس و إنما

ص: ٢٨٤

(١-١) مروطن: أكسيتها .

يطلع إذا استحكمت شبيهه الإنسان و اشتدت مرته و لذلك يدعوه العوام ضرس الحلم (١) كأنّ الحلم يأتي مع طلوعه و يذهب نزع الصبا و يقولون رجل منجد أى مجرب محكم كأنه قد عض على ناجذه و كمل عقله .

و قوله يذرى الروايات هكذا أكثر النسخ و أكثر الروايات يذرى من أذرى رباعيا و قد أوضحه قوله إذراء الريح يقال طعنه فأذراه أى ألقاه و أذريت الحب للزرع أى ألقيته فكأنه يقول يلقي الروايات كما يلقي الإنسان الشىء على الأرض و الأجود الأصح الروايه الأخرى يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم و هكذا ذكر ابن قتيبه فى غريب الحديث لما ذكر هذه الخطبه عن أمير المؤمنين ع قال تعالى فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ (٢) و الهشيم ما يبس من النبت و تفتت .

قوله لا ملىء أى لا قيم به و فلان غنى ملىء أى ثقه بين الملاء و الملاء بالمد و فى كتاب ابن قتيبه تتمه هذا الكلام و لا أهل لما قرظ به قال أى ليس بمستحق للمدح الذى مدح به و الذى رواه ابن قتيبه من تمام كلام أمير المؤمنين ع هو الصحيح الجيد لأنه يستقبح فى العربية أن تقول لا زيد قائم حتى تقول و لا عمر و أو تقول و لا قاعد فقول ع لا ملىء أى لا هو ملىء و هذا يستدعى لا ثانيه و لا يحسن الاقتصار على الأولى .

و قوله ع اكنتم به أى كتمه و ستره و قوله تصرخ منه و تعج العج رفع الصوت و هذا من باب الاستعاره .

و فى كثير من النسخ إلى الله أشكو فمن روى ذلك وقف على المواريث

ص: ٢٨٥

١-١) الحلم، بالكسر: الأناه و العقل.

٢-٢) سورة الكهف ٤٥.

و من روى الروايه الأولى وقف على قوله إلى الله و يكون قوله من معشر من تمام صفات ذلك الحاكم أى هو من معشر صفتهم كذا .

و أبور أفعل من البور الفاسد بار الشيء أى فسد و بارت السلعه أى كسدت و لم تنفق و هو المراد هاهنا و أصله الفساد أيضا .

إن قيل بينوا الفرق بين الرجلين اللذين أحدهما وكله الله إلى نفسه و الآخر رجل قمش جهلا فإنهما فى الظاهر واحد.

قيل أما الرجل الأول فهو الضال فى أصول العقائد كالمشبه و المجبر و نحوهما أ لا تراه كيف قال مشغوف بكلام بدعه و دعاء ضلاله و هذا يشعر بما قلناه من أن مراده به المتكلم فى أصول الدين و هو ضال عن الحق و لهذا قال إنه فتنه لمن افتتن به ضال عن هدى من قبله مضل لمن يجيء بعده و أما الرجل الثانى فهو المتفقه فى فروع الشرعيات و ليس بأهل لذلك كفقهاء السوء أ لا تراه كيف يقول جلس بين الناس قاضيا .

و قال أيضا تصرخ من جور قضائه الدماء و تعج منه المواريث فإن قيل ما معنى قوله فى الرجل الأول رهن بخطيئته قيل لأنه إن كان ضالا فى دعوته مضلا لمن اتبعه فقد حمل خطاياهم و خطايا غيره فهو رهن بالخطيئتين معا و هذا مثل قوله تعالى وَ لِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ (١) .

إن قيل ما معنى قوله عم بما فى عقد الهدنه قيل الهدنه أصلها فى اللغة السكون يقال هدن إذا سكن و معنى الكلام أنه لا يعرف ما فى الفتنه من الشر و لا ما فى السكون و المصالحه (٢) من الخير.

ص: ٢٨٦

١- ١) سورة العنكبوت ١٣.

٢- ٢) ا: «المصلحه»، تصحيف.

و يروى بما فى غيب الهدنه أى فى طيها و فى ضمنها و يروى غار فى أعباش الفتنة أى غافل ذو غره.

و روى من جمع بالتونين فتكون ما على هذا اسما موصولا و هى و صلتها فى موضع جر لأنها صفة جمع و من لم يرو التونين فى جمع حذف الموصوف تقديره من جمع شىء ما قل منه خير ممّا كثر فتكون ما مصدرية و تقدير الكلام قلته خير من كثرته و يكون موضع ذلك جرا أيضا بالصفة

ص: ٢٨٧

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيُحْكَمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيُحْكَمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ (١) ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَيْقَضَاهُمْ فَيَصُوبُ آرَاءُهُمْ جَمِيعاً وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ وَ نَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَ كِتَابُهُمْ وَاحِدٌ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ [تَعَالَى]

سُبْحَانَهُ بِالِاخْتِلَافِ فَطَاعُوهُ أَمْ نَهَاؤُهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ (٢) سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِيْتِمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَاماً فَقَصَرَ الرَّسُولُ ص عَنْ تَبْلِيغِهِ وَ آدَائِهِ وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (٣) (٤) وَ فِيهِ [تَبْيَانٌ كُلٌّ]

تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ (٥) وَ ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصِدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً (٦) وَ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَ لَا تُكْشِفُ الظُّلْمَاتُ إِلَّا بِهِ.

ص: ٢٨٨

١-١) كذا في أ و مخطوطه النهج، و في ب «بخلافه».

٢-٢) أ: «أم أنزل إليهم».

٣-٣) سورة الأنعام ٣٨.

٤-٤) في ب: «و قال: فيه تبيان كل شيء»؛ و الأصوب ما أثبتته من أ، و مخطوطه النهج.

٥-٤) في ب: «و قال: فيه تبيان كل شيء»؛ و الأصوب ما أثبتته من أ، و مخطوطه النهج.

الأنيق المعجب و أنقنى الشيء أى أعجبنى يقول لا ينبغي أن يحمل جميع ما فى الكتاب العزيز على ظاهره فكم من ظاهر فيه غير مراد بل المراد به أمر آخر باطن و المراد الرد على أهل الاجتهاد فى الأحكام الشرعيه و إفساد قول من قال كل مجتهد مصيب و تلخيص الاحتجاج من خمسه أوجه الأول أنه لما كان الإله سبحانه واحدا و الرسول ص واحدا و الكتاب واحدا و جب أن يكون الحكم فى الواقعه واحدا كالملك الذى يرسل إلى رعيته رسولا بكتاب يأمرهم فيه بأوامر يقتضيها ملكه و إمرته فإنه لا يجوز أن تتناقض أوامره و لو تناقضت لنسب إلى السفه و الجهل .

الثانى لا- يخلو الاختلاف الذى ذهب إليه المجتهدون إما أن يكون مأمورا به أو منهيًا عنه و الأول باطل لأنه ليس فى الكتاب و السنه ما يمكن الخصم أن يتعلق به فى كون الاختلاف مأمورا به و الثانى حقّ و يلزم منه تحريم الاختلاف .

الثالث إما أن يكون دين الإسلام ناقصا أو تاما فإن كان الأول كان الله سبحانه قد استعان بالمكلفين على إتمام شريعته ناقصه أرسل بها رسوله إمّا استعانه على سبيل النيايه عنه أو على سبيل المشاركه له و كلاهما كفر و إن كان الثانى فإما أن يكون الله تعالى أنزل الشرع تاما فقصر الرسول عن تبليغه أو يكون الرسول قد أبلغه على تمامه و كماله فإن كان الأول فهو كفر أيضا و إن كان الثانى فقد بطل الاجتهاد لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبين فأما ما قد بين فلا مجال للاجتهاد فيه .

الرابع الاستدلال بقوله تعالى مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (١) و قوله تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ (٢) و قوله سبحانه وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ

ص: ٢٨٩

١- ١) سورة الأنعام ٣٨.

٢- ٢) سورة النحل ٨٩. و فى الأصول: و قوله: «فيه تبيان كل شىء»، و التلاوه ما أثبتته.

مُبين (١) فهذه الآيات داله على اشتمال الكتاب العزيز على جميع الأحكام فكل ما ليس فى الكتاب وجب ألا يكون فى الشرع .

الخامس قوله تعالى وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٢) فجعل الاختلاف دليلا على أنه ليس من عند الله لكنه من عند الله سبحانه بالأدلة القاطعه الداله على صحه النبوه فوجب ألا يكون فيه اختلاف.

واعلم أن هذه الوجوه هى التى يتعلق بها الإماميه و نفاه القياس و الاجتهاد فى الشرعيات و قد تكلم عليها أصحابنا فى كتبهم و قالوا إن أمير المؤمنين ع كان يجتهد و يقيس و ادعوا إجماع الصحابه على صحه الاجتهاد و القياس و دفعوا صحه هذا الكلام المنسوب فى هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين ع و قالوا إنه من روايه الإماميه و هو معارض بما ترويه الزيديه عنه و عن أبنائه ع فى صحه القياس و الاجتهاد و مخالطه الزيديه لأئمه أهل البيت ع كمخالطه الإماميه لهم و معرفتهم بأقوالهم و أحوالهم و مذاهبيهم كعرفه الإماميه لا فرق بين الفئتين فى ذلك و الزيديه قاطبه جاروديتها و صالحيتها (٣) تقول بالقياس و الاجتهاد و ينقلون فى ذلك نصوصا عن أهل البيت ع و إذا تعارضت الروايتان تساقطتا و عدنا إلى الأدله المذكوره فى هذه المسأله و قد تكلمت فى اعتبار الذريعه للمرتضى (٤) على احتجاجه فى إبطال القياس و الاجتهاد بما ليس هذا موضع ذكره

ص : ٢٩٠

١- ١) سورة الأنعام ٥٩.

٢- ٢) سورة النساء ٨٢.

٣- ٣) الزيديه: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ و هم أصناف ثلاثه: جاروديه؛ و هم أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد، و سليمانيه؛ و هم أصحاب سليمان بن جرير، و صالحيه؛ و هم أصحاب الحسن بن صالح بن حي؛ و من هؤلاء البتريه؛ أصحاب كثير الأبترو. انظر تفصيل مذهبهم فى الملل و النحل الشهرستاني ١٣٧: ١-١٤٣.

٤- ٤) هو كتاب الذريعه إلى أصول الشريعه؛ للشريف المرتضى، شرحه ابن أبي الحديد و سمى شرحه الاعتبار على كتاب الذريعه؛ فى ثلاثه مجلدات. و انظر كتاب الذريعه إلى تصانيف الشيعة ١٠: ٢٦.

إشاره

و هو على منبر الكوفه يخطب فمضى فى بعض كلامه شىء اعترضه الأشعث فيه فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض إليه بصره ع ثم قال وَ مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ حَائِكُ ابْنِ حَائِكِ مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ وَ اللَّهُ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرَ مَرَّةً وَ الْإِسْلَامَ أُخْرَى [مَرَّةً]

فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكَ وَ لَا حَسْبُكَ وَ إِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ وَ سَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ لِحَرِيٍّ أَنْ يَمُقْتَهُ الْأَقْرَبُ وَ لَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ.

قال الرضى رحمه الله يريد ع أنه أسرف فى الكفر مره و فى الإسلام مره.

و أما قوله ع دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار و هو اسم للغادر عندهم

طأطأه و قوله فما فداك لا يريد به الفداء الحقيقي فإن الأشعث فدى في الجاهليه بفداء يضرب به المثل فقال أغلى فداء من الأشعث و سذكروه و إنما يريد ما دفع عنك الأسر مالك و لا حسبك و يمقته يبغضه و المقت البغض .

الأشعث بن قيس و نسبه و بعض أخباره

اسم الأشعث معديكرب و أبوه قيس الأشج سمي الأشج لأنه شج في بعض حروبهم ابن معديكرب بن معاويه بن معديكرب بن معاويه بن جبله بن عبد العزى بن ربيعه بن معاويه الأكرمين بن الحارث بن معاويه بن الحارث بن معاويه بن ثور بن مرتع (١) بن معاويه بن كنده بن عفير بن عدى بن الحارث بن مره بن أدد .

و أم الأشعث كبشه بنت يزيد بن شرحبيل بن يزيد بن إمرئ القيس بن عمر و المقصور الملك.

كان الأشعث أبدا أشعث الرأس فسمى الأشعث و غلب عليه حتى نسي اسمه و لعبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث يقول أعشى همدان (٢) يا ابن الأشج قريع كنده لا أبالي فيك عتبا (٣)

ص: ٢٩٢

١-١) مرتع، كمحدث، و كمحسن أيضا. القاموس.

٢-٢) هو أبو مصبح عبد الرحمن بن عبد الله؛ من أبيات في ديوان الأعشين ٣١١؛ أولها: من مبلغ الحجاج أنى قد ندبت إليه حربا حربا مذكّره عوا نا تترك الشبان شهباً.

٣-٣) في الديوان: لابن الأشج قريع كن ده لا أئين فيه عتبا .

١٤- وَ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص قُتَيْلَةَ أُخْتِ الْأَشْعَثِ فَتَوَفَّى قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ .

فأما الأسر الذي أشار أمير المؤمنين ع إليه في الجاهلية فقد ذكره ابن الكلبي في جمهره النسب فقال إن مرادا لما قتلت قيسا الأشج خرج الأشعث طالبا بتأره (٢) فخرجت كنده متساندين على ثلاثة ألويه على أحد الألويه كبس بن هانئ بن شرحبيل بن الحارث بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكرمين و يعرف هانئ بالمطلع لأنه كان يغزو فيقول اطلعت بنى (٣) فلان فسمى المطلع و على أحدها القشعم أبو جبر (٤) بن يزيد الأرقم و على أحدها الأشعث فأخطئوا مرادا و لم يقعوا عليهم و وقعوا على بنى الحارث بن كعب فقتل كبس و القشعم أبو جبر و أسر الأشعث ففدى بثلاثة آلاف بعير لم يفسد بها عربى بعده و لا قبله فقال فى ذلك عمرو بن معديكرب الزبيدى فكان فداؤه ألفى بعير و ألفا من طريفات و تلد.

و أما الأسر الثانى فى الإسلام

١٤,١- فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَمَّا قَدِمَتْ كِنْدَةَ حُجَّاجًا قَبْلَ الْهَجْرَةِ عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ص نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ كَمَا كَانَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَدَفَعَهُ بَنُو وَلِيَعَهُ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ وَ لَمْ يَقْبَلُوهُ فَلَمَّا هَاجَرَ ص وَ تَمَهَّدَتْ دَعْوَتُهُ وَ جَاءَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ جَاءَهُ وَفُدَّ كِنْدَةَ فِيهِمُ الْأَشْعَثُ وَ بَنُو وَلِيَعَهُ فَأَسْلَمُوا فَأَطْعَمَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَنِي وَلِيَعَهُ طُعْمَةً مِنْ صِيْدَقَاتِ حَضْرَمَوْتِ وَ كَانَ قَدْ اشْتَعَلَ عَلَى حَضْرَمَوْتِ زِيَادُ بْنُ لَبِيدِ الْبِيْاضِيِّ الْأَنْصَارِيَّ فَدَفَعَهَا زِيَادٌ إِلَيْهِمْ فَأَبَوْا أَخَذَهَا وَ قَالُوا لَا ظَهْرَ لَنَا (٥) فَأَبْعَثُ بِهَا إِلَى بِلَادِنَا عَلَى ظَهْرٍ

١- (١) الديوان: «أعلى القوم».

٢- (٢) ١: «تأره».

٣- (٣) اطلع القوم: هجم عليهم.

٤- (٤) ١: «القاسم بن جبر»، و صوابه من ب، و الاشتقاق ٣٦٥.

٥- (٥) الظهر: الركاب التي تحمل الأمتعة فى السفر، سميت بذلك لحملها إياها على ظهورها.

مِنْ عِنْدِكَ فَأَبَى زِيَادٌ وَحَدَّثَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ زِيَادٍ شَرٌّ كَمَا دَكَادَ يَكُونُ حَرْبًا فَرَجَعَ مِنْهُمْ قَوْمٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَكَتَبَ زِيَادٌ إِلَيْهِ عَ يَشْكُوهُمْ وَفِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ كَانَ الْخَبِيرُ الْمَشْهُورُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ لِبَنِي وَلِيَعَهُ لَتَنْتَهَنَّ يَا بَنِي وَلِيَعَهُ أَوْ لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلًا عَدِيلَ نَفْسِي يَقْتُلُ مَقَاتِلَتَكُمْ وَيَسْبِي ذُرَارِيَكُمْ قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَمَا تَمَنَيْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَجَعَلْتُ أَنْصَبُ لَهُ صَدْرِي رَجَاءً أَنْ يَقُولَ هُوَ هَذَا فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ ع وَقَالَ هُوَ هَذَا.

ثُمَّ كَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى زِيَادٍ فَوَصَّلُوا إِلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَقَدْ تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ص وَطَارَ الْخَبِيرُ بِمَوْتِهِ إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ فَارْتَدَّتْ بَنُو وَلِيَعَهُ وَغَنَّتْ بَغَايَاهُمْ وَخَضَبْنَ لَهُ أَيْدِيَهُنَّ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ كَانَ إِسْلَامُ بَنِي وَلِيَعَهُ ضَعِيفًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَلَمَّا حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ص حِجَّةَ الْوَدَاعِ وَانْتَهَى إِلَى فَمِ الشُّعْبِ دَخَلَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ لِيُبُولَ فَاَنْتَظَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص وَكَانَ أَسَامَةُ أَسْوَدَ أَفْطَسَ فَقَالَ بَنُو وَلِيَعَهُ هَذَا الْحَبِيشِيُّ حَبَسْنَا فَكَانَتِ الرَّدَّةُ فِي أَنْفُسِهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ فَأَمَرَ (١) أَبُو بَكْرٍ زِيَادًا عَلَى حَضْرَمَوْتَ وَ أَمَرَهُ بِأَخِذِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِهَا وَاسْتِيفَاءِ صَدَقَاتِهِمْ فَبَايَعُوهُ إِلَّا بَنِي وَلِيَعَهُ فَلَمَّا خَرَجَ لِيَقْبِضَ الصَّدَقَاتِ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ مُعَاوِيَةَ أَخَذَ نَاقَةَ لِغُلَامٍ مِنْهُمْ يُعْرَفُ بِشَيْطَانِ بْنِ حُجْرٍ وَكَانَتْ صِيفِيَّةً (٢) نَفِيسَةً اسْمُهَا شَذْرَةٌ فَمَنَعَهُ الْغُلَامُ عَنْهَا وَقَالَ خُذْ غَيْرَهَا فَأَبَى زِيَادٌ ذَلِكَ وَ لَسَجَّ فَاسْتَيْغَاثَ شَيْطَانُ بِأَخِيهِ الْعَدَاءِ بْنِ حُجْرٍ فَقَالَ لَزِيَادٍ دَعَهَا وَ خُذْ غَيْرَهَا فَأَبَى زِيَادٌ ذَلِكَ وَ لَسَجَّ الْغُلَامَانِ فِي أَخْذِهَا وَ لَسَجَّ زِيَادٌ وَقَالَ لَهُمَا لَا تَكُونَنَّ شَذْرَةَ عَلَيْكُمَا كَالْبَسُوسِ

ص: ٢٩٤

١- (١) تاريخ الطبري ٣٣٣، ٣٣٢: ٣؛ مع تصرف.

٢- (٢) الصفيه: الناقه الغزيره اللبن.

فَهَتَفَ الْغُلَامَانِ يَا لَعْمَرُو أُنْضَامٌ وَ نُضَطَهْدُ إِنَّ الدَّلِيلَ مَنْ أَكَلَ فِي دَارِهِ وَ هَتَفَا بِمَسِيرُوقِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ فَقَالَ مَسْرُوقٌ لَزِيَادٍ أَطْلِقْهَا
فَأَبَى فَقَالَ مَسْرُوقٌ يُطْلِقُهَا شَيْخٌ بِخَدَّيْهِ الشَّيْبُ (١) مُلَمَّعٌ فِيهِ كَتَلَمِيعِ الثَّوْبِ (٢) مَا ضٍ عَلَى الرَّيْبِ إِذَا كَانَ الرَّيْبُ (٣) .

ثُمَّ قَامَ فَأَطْلَقَهَا فَاجْتَمَعَ إِلَى زِيَادِ بْنِ لَيْبِدٍ أَضِيحَابُهُ وَ اجْتَمَعَ بَنُو وَلِيِّعِهِ وَ أَظْهَرُوا أَمْرَهُمْ فَبَيَّتَهُمْ زِيَادٌ وَ هُمْ غَارُونَ فَفَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمْعًا
كَثِيرًا وَ نَهَبَ وَ سَبَى وَ لَحِقَ فَلَهُمْ بِالْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فَاسْتَنْصَرُوهُ فَقَالَ لَا أَنْصُرُكُمْ حَتَّى تُمْلِكُونِي عَلَيْكُمْ فَمَلَكُوهُ وَ تَوَجَّهَ كَمَا يُتَوَجَّحُ
الْمَلِكُ مِنْ قَحْطَانَ فَخَرَجَ إِلَى زِيَادٍ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ وَ كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ وَ هُوَ عَلَى صَيْنَعَاءَ أَنْ يَسِيرَ بِمَنْ مَعَهُ
إِلَى زِيَادٍ فَاسْتَخْلَفَ عَلَى صَيْنَعَاءَ وَ سَارَ إِلَى زِيَادٍ فَلَقُوا الْأَشْعَثَ فَهَزَمُوهُ وَ قَتَلَ مَسِيرُوقٌ وَ لَحِقَ الْأَشْعَثُ وَ الْبِاقُونَ إِلَى الْحِصْنِ
الْمَعْرُوفِ بِالنَّجِيرِ (٤) فَحَاصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حِصَارًا شَدِيدًا حَتَّى ضَعُفُوا وَ نَزَلَ الْأَشْعَثُ لَيْلًا إِلَى الْمُهَاجِرِ وَ زِيَادٍ فَسَأَلَهُمَا الْأَمَانَ عَلَى
نَفْسِهِ حَتَّى يَفْقَدَا بِهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَكَرَ فِيهِ رَأْيُهُ عَلَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُمُ الْحِصْنَ وَ يُسَلِّمَ إِلَيْهِمْ مَنْ فِيهِ .

وَ قِيلَ بَلْ كَانَ فِي الْأَمَانِ عَشْرَةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَشْعَثِ .

فَأَمَّنَاهُ وَ أَمْضَى شَرْطَهُ فَفَتِيحَ لَهُمُ الْحِصْنَ فَدَخَلُوهُ وَ اسْتَنْزَلُوا كُلٌّ مِنْ فِيهِ وَ أَخَذُوا أَسْلِحَتَهُمْ وَ قَالُوا لِلْأَشْعَثِ اغْزِلِ الْعَشْرَةَ فَعَزَلَهُمْ
فَتَرَكُوهُمْ وَ قَتَلُوا الْبَاقِينَ وَ كَانُوا ثَمَانِمِائَةٍ وَ قَطَعُوا أَيْدِيَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي شَمِتْنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ حَمَلُوا الْأَشْعَثَ

ص: ٢٩٥

١-١ (١) الطبري: «يمنعها».

٢-٢ (٢) الطبري: *ملمع كما يلمع الثوب*

٣-٣ (٣) لم يرد هذا البيت في الطبري.

٤-٤ (٤) كذا ضبطه صاحب مرصد الاطلاع بالتصغير، وقال: «حصن باليمن قرب حضرموت».

إِلَى أَبِي بَكْرٍ مُوثِقًا فِي الْحَدِيدِ هُوَ وَالْعَشْرَةُ فَعَفَا عَنْهُ وَعَنْهُمْ وَزَوَّجَهُ أُخْتَهُ أُمَّ فَرْوَةَ بِنْتَ أَبِي قُحَافَةَ وَكَانَتْ عَمِيَاءَ فَوَلَدَتْ لِلْأَشْعَثِ مُحَمَّدًا وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ .

وَخَرَجَ الْأَشْعَثُ يَوْمَ الْبِنَاءِ عَلَيْهَا إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ فَمَا مَرَّ بِذَاتِ أَرْبَعِ إِلَّا عَقَرَهَا وَقَالَ لِلنَّاسِ هَذِهِ وَلِيَمَّهُ الْبِنَاءُ وَتَمَنَّ كُلُّ عَقِيرَةٍ فِي مَالِي فَدَفَعَ أَثْمَانَهَا إِلَى أَرْبَابِهَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ فِي التَّارِيخِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَلْعَنُونَ الْأَشْعَثَ وَيَلْعَنُهُ الْكَافِرُونَ أَيْضًا وَسَبَّيَا قَوْمِهِ وَسَمَّاهُ نِسَاءً قَوْمِهِ عُرِفَ النَّارِ وَهُوَ اسْمٌ لِلْغَادِرِ عِنْدَهُمْ .

(١)

و هذا عندى هو الوجه و هو أصح مما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من قوله فى تفسير قول أمير المؤمنين و إن امرأ دل على قومه السيف أنه أراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه و مكر بهم حتى قتلهم فإننا لم نعرف فى التواريخ أن الأشعث جرى له باليمامة مع خالد هذا و لا شبهه و أين كنده و اليمامة كنده باليمن و اليمامة لبنى حنيفه و لا أعلم من أين نقل الرضى رحمه الله تعالى هذا .

فأما الكلام الذى كان أمير المؤمنين ع قاله على منبر الكوفة فاعترضه فيه الأشعث

١٥٩

١- فَإِنَّ عَلِيًّا عَقَامٌ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ وَيَذْكُرُ أَمْرَ الْحَكَمَيْنِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَعِيدٌ أَنْ انْقَضَى أَمْرُ الْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ نَهَيْتَنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَدْرِي أَى الْأَمْرَيْنِ أَرْشُدُ فَصَفَّقَ عِ يَاحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَقَالَ هَذَا جَزَاءٌ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ

و كان مراده ع هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأى و الحزم و أصررتم على إجابه القوم إلى التحكيم فظن الأشعث أنه أراد هذا جزائى حيث تركت الرأى و الحزم و حكمت لأن هذه اللفظه محتمله أ لا ترى أن الرئيس

ص: ٢٩٦

(١-١) الطبرى ٣:٣٣٨؛ و عبارته: «كلام يمان يسمون به الغادر».

إذا شغب عليه جنده و طلبوا منه اعتماد أمر ليس بصواب فوافقهم تسكيناً لشغبهم لا استصلاحاً لرأيهم ثم ندموا بعد ذلك قد يقول هذا جزاء من ترك الرأي و خالف وجه الحزم و يعنى بذلك أصحابه و قد يقوله يعنى به نفسه حيث وافقهم أمير المؤمنين ع إنما عنى ما ذكرناه دون ما خطر للأشعث فلما قال له هذه عليك لا لك قال له و ما يدريك ما على ممّا لى عليك لعنه الله و لعنه اللاعنين .

و كان الأشعث من المنافقين فى خلافه على ع و هو فى أصحاب أمير المؤمنين ع كما كان عبد الله بن أبى بن سلول فى أصحاب رسول الله ص كل واحد منهما رأس النفاق فى زمانه .

و أمّا قوله ع للأشعث حائك ابن حائك فإن أهل اليمن يعيرون بالحياكه و ليس هذا ممّا يخص الأشعث .

و من كلام خالد بن صفوان ما أقول فى قوم ليس فيهم إلا حائك برد أو دابغ جلد أو سانس قرد ملكتهم امرأه و أغرقتهم فأره و دل عليهم هدهد

ص: ٢٩٧

فَأَنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ وَ وَهَلْتُمْ وَ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ لَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا وَ قَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ وَ لَقَدْ بَصُرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَ أَسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ وَ هَدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ وَ بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ (١) لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ الْعِبْرُ وَ زُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَّرٌ وَ مَا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ .

الوهل الخوف وهل الرجل يوهل .

و ما فى قوله ما يطرح مصدره تقديره و قريب طرح الحجاب يعنى رفعه بالموت .

و هذا الكلام يدل على صحه القول بعذاب القبر و أصحابنا كلهم يذهبون إليه و إن شنع عليهم أعداؤهم من الأشعريه و غيرهم بجحداه .

و ذكر قاضى القضاة رحمه الله تعالى أنه لم يعرف (٢) معتزليا نفى عذاب القبر لا من

ص: ٢٩٨

١- ١) كلمه «لكم» ساقطه من ا.

٢- ٢) ج: «لا يعرف».

متقدميهم و لا من متأخريهم قال و إنما نفاه ضرار (١) بن عمرو لمخالطته لأصحابنا و أخذه عن شيوخنا ما نسب قوله إليهم.

و يمكن أن يقول قائل هذا الكلام لا يدل على صحه القول بعذاب القبر لجواز أن يعنى بمعانيه من قد مات ما يشاهده المحتضر من الحاله الداله على السعاده أو الشقاوه

١٦٠

فَقَدْ جَاءَ فِي الْخَبْرِ لَا يَمُوتُ امْرُؤٌ حَتَّى يَعْلَمَ مَصِيرَهُ هَلْ هُوَ إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ .

و يمكن أن يعنى به ما يعاينه المحتضر من ملك الموت و هول قدومه و يمكن أن يعنى به ما كان ع يقوله عن نفسه إنه لا يموت ميت حتى يشاهده ع حاضرا عنده و الشيعه تذهب إلى هذا القول و تعتقده

١٦١

وَ تَرَوِي عَنْهُ عِ شِعْرًا قَالَهُ لِلْحَارِثِ الْأَعْوَرِ الْهَمْدَانِيَّ

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرْنِي

و ليس هذا بمنكر إن صح أنه ع قاله عن نفسه ففي الكتاب العزيز ما يدل على أن أهل الكتاب لا يموت منهم ميت حتى يصدق بعيسى ابن مريم ع و ذلك قوله وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ

ص: ٢٩٩

١-١) ضرار بن عمرو، صاحب مذهب الضراريه من فرق الجبريه، و كان في بدء أمره تلميذا لواصل ابن عطاء المعتزلي، ثم خالفه في خلق الأعمال و إنكار عذاب القبر. الفرق بين الفرق ٢٠١.

الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١) قال كثير من المفسرين معنى ذلك أن كل ميت من اليهود و غيرهم من أهل الكتب السالفه إذا احتضر رأى المسيح عيسى (٢) عنده فيصدق به من لم يكن فى أوقات التكليف مصدقا به.

و شبيهه بقوله ع لو عايتتم ما عاين من مات قبلكم قول أبى حازم لسليمان بن عبد الملك فى كلام يعظه به أن آباءك ابتزوا هذا الأمر من غير مشوره ثم ماتوا فلو علمت ما قالوا و ما قيل لهم فقيل إنّه بكى حتّى سقط (٣)

ص: ٣٠٠

١-١) سورة النساء ١٥٩.

٢-٢) ساقطه من ب.

٣-٣-٣) ١: «إن سليمان بكى حتّى سقط».

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وِرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَخَدُّوكُمْ تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلَادِكُمْ آخِرُكُمْ.

قال الرضى رحمه الله أقول إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله ص بكل كلام لمال به راجحا و برز عليه سابقا.

فأما قوله ع تخففوا تلحقوا فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لا أكثر محصولا و ما أبعد غورها من كلمه و أنقع نطفتها من حكمه و قد نبهنا فى كتاب الخصائص (١) و على عظم قدرها و شرف جوهرها غايه المكلفين هى الثواب أو العقاب فيحتمل أن يكون أراد ذلك و يحتمل أن يكون أراد بالغايه الموت و إنما جعل ذلك أماننا لأن الإنسان كالسائر إلى الموت أو كالسائر إلى الجزاء فهما أمامه أى بين يديه.

ص: ٣٠١

(١ - ١) كتاب خصائص الأئمه للشريف الرضى. انظر الذريعة فى مصنفات الشيعة ٧:١٦٤.

ثم قال و إن وراءكم الساعة تحذوكم أى تسوقكم و إنما جعلها وراءنا لأنها إذا وجدت ساقط الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الراعى الإبل فلما كانت سائقه لنا كانت كالشئ يحفز الإنسان من خلفه و يحركه من ورائه إلى جهه ما بين يديه.

و لا- يجوز أن يقال إنما سماها وراءنا لأنها تكون بعد موتنا و خروجنا من الدنيا و ذلك أن الثواب و العقاب هذا شأنهما و قد جعلهما أمامنا.

و أما القطب الراوندى فإنه قال معنى قوله فإن الغايه أمامكم يعنى أن الجنه و النار خلفكم و معنى قوله وراءكم الساعه أى قدامكم.

و لقائل أن يقول أما الورااء بمعنى القدام فقد ورد و لكن ما ورد أمام بمعنى خلف و لا سمعنا ذلك .

و أمّا قوله تخففوا تلحقوا فأصله الرجل يسعى و هو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه و مثله قوله نجا المخففون .

و قوله ع فإنما ينتظر بأولكم آخركم يريد إنما ينتظر بيعث الذين ماتوا فى أول الدهر مجيء من (1) يخلقون و يموتون فى آخره كأمر يريد إعطاء جنده إذا تكامل عرضهم إنما يعطى الأول منهم إذا انتهى عرض الأخير.

و هذا كلام فصيح جدا .

و الغور العمق و النطفه ما صفا من الماء و ما أنقع هذا الماء أى ما أرواه للعطش

ص: ٣٠٢

(١-١) ج: «مجىء الذين يخلقون».

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ [ذَمَرَ]

ذَمَّرَ حِزْبُهُ وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ لِيُعَوِّدَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ (١) وَيَزْجَعَ الْبَاطِلُ إِلَى نَصِيَابِهِ وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا وَإِنَّهُمْ لِيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ [فَإِنْ]

فَلَيْنُ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنْصِيبَهُمْ مِنْهُ وَ [إِنْ]

لَيْنُ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعُهُ إِلَّا عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْتَضِعُونَ أَمَّا قَدْ فَطَمْتُ وَيُحْيُونَ بِدَعَايَ قَدْ أُمِيتَتْ يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا وَإِلَامَ أُجِيبَ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّتِهِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَيْدَ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ [بَعْثُهُمْ]

إِلَى أَنْ أَبْرَزَ لِلطَّعَانِ وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ هَبَلْتُهُمْ الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهْدَدُ بِالْحَرْبِ وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

ص: ٣٠٣

يروى ذمر بالتخفيف و ذمر بالتشديد و أصله الحض و الحث و التشديد دليل على التكثير .

و استجلب جلبه

الجلب بفتح اللام ما يجلب كما يقال جمع جمعه و يروى جلبه و جلبه و هما بمعنى و هو السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه أى جمع قوما كالجهام الذى لا نفع فيه و روى ليعود الجور إلى قطابه و القطاب مزاج الخمر بالماء أى ليعود الجور ممتزجا بالعدل كما كان و يجوز أن يعنى بالقطاب قطاب الجيب و هو مدخل الرأس فيه أى ليعود الجور إلى لباسه و ثوبه.

و قال الراوندى قطابه أصله و ليس ذلك بمعروف فى اللغة .

و روى الباطل بالنصب على أن يكون يرجع متعديا تقول رجعت زيدا إلى كذا و المعنى و يرد الجور الباطل إلى أوطانه.

و قال الراوندى يعود أيضا مثل يرجع يكون لازما و متعديا و أجاز نصب الجور به و هذا غير صحيح لأن عاد لم يأت متعديا و إنما يعدى بالهمزه.

و النصف الذى ينصف .

و قال الراوندى النصف النصفه (١) و المعنى لا يحتمله لأنه لا معنى لقوله و لا جعلوا بينى و بينهم إنصافا بل المعنى لم يجعلوا ذا انصاف بينى و بينهم .

يرتضعون أما قد فطمت يقول يطلبون الشىء بعد فواته لأن الأم إذا فطمت ولدها فقد انقضى إرضاعها .

و قوله يا خيبة الداعى هاهنا كالنداء فى قوله تعالى يَا حَشِيرَةَ عَلَى الْعِبَادِ (٢) و قوله يَا حَشِيرَتْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا (٣) أى يا خيبة احضرى فهذا أوانك.

ص: ٣٠٤

١-١) كذا فى ا، و فى ب: «النصف»، و النصفه: العدل.

٢-٢) سورة يس ٣٠.

٣-٣) سورة الأنعام ٣١.

و كلامه فى هذه الخطبه مع أصحاب الجمل و الداعى هو أحد الثلاثة الرجلان و المرأه .

ثم قال على سبيل الاستصغار لهم و الاستحقاق من دعا و إلى ما ذا أجيب أى أحقر بقوم دعاهم هذا الداعى و أقبح بالأمر الذى أجابوه إليه فما أفحشه و أرذله.

و قال الراوندى يا خبيبه الداعى تقديره يا هؤلاء فحذف المنادى ثم قال خبيبه الداعى أى خاب الداعى خبيبه و هذا ارتكاب ضروره لا- حاجه إليها و إنما يحذف المنادى فى المواضع التى دل الدليل فيها على الحذف كقوله يا فانظر أيمن الوادى على إضم.

و أيضا فإن المصدر الذى لا عامل فيه غير جائز حذف عامله و تقدير حذفه تقدير ما لا دليل عليه .

و هبلته أمه بكسر الباء ثكلته .

و قوله لقد كنت و ما أهدد بالحرب معناه ما زلت لا أهدد بالحرب و الواو زائده و هذه كلمه فصيحجه كثيرا ما تستعملها العرب و قد ورد فى القرآن العزيز كان بمعنى ما زال فى قوله وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) و نحو ذلك من الآى معنى ذلك لم يزل الله عليما حكيما و الذى تأوله المرتضى رحمه الله تعالى فى تكمله الغرر و الدرر (٢) كلام متكلف و الوجه الصحيح ما ذكرناه.

و هذه الخطبه ليست من خطب صفيين كما ذكره الراوندى بل من خطب الجمل

١٦٢

١- وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرًا مِنْهَا أَبُو مِخْنَفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ حَدَّثَنَا مُسَافِرُ بْنُ عَفِيفٍ بْنِ أَبِي الْأَخْنَسِ

ص: ٣٠٥

١- (١) سورة النساء ١٧٠.

٢- (٢) تكمله الغرر و الدرر ٣٠٠:٢-٣٠٢.

قَالَ لَمَّا رَجَعْتُ رُسُلًا عَلِيٌّ ع مِنْ عِنْدِ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ عَائِشَةَ يُؤْذِنُونَهُ بِالْحَرْبِ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَيَّ عَلَيَّ رَسُولِهِ ص ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ رَاقَبْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ كَيْ يَزْعَمُوا أَوْ يَزْجَعُوا وَ يَبْخَثُهُمْ بِنَكْتِهِمْ وَ عَرَفْتُهُمْ بَغْيُهُمْ فَلَمْ يَسْتَحْيُوا وَ قَدْ بَعَثُوا إِلَيَّ أَنْ أُبْرِزَ لِلطَّعَانِ وَ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ وَ إِنَّمَا تُمْنِيكَ نَفْسُكَ أَمَانِي الْبَاطِلِ وَ تَعْدُكَ الْغُرُورَ أَلَا هَبِلْتُهُمُ الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهْدِدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَ لَقَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا (١) فَلْيُرْعِدُوا وَ لِيُبْرِقُوا فَقَدْ رَأَوْنِي قَدِيمًا وَ عَرَفُوا نِكَائِي فَكَيْفَ رَأَوْنِي أَنَا أَبُو الْحَسَنِ الَّذِي فَلَّتْ حِدَّةَ الْمُشْرِكِينَ وَ فَرَّقَتْ جَمَاعَتَهُمْ وَ بَدَّلَكَ الْقَلْبَ أَلْقَى عَدُوِّي الْيَوْمَ وَ إِنِّي لَعَلَى مَا وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصِيرِ وَ التَّائِيدِ وَ عَلَيَّ يَقِينٍ مِنْ أَمْرِي وَ فِي غَيْرِ شُبُهَةٍ مِنْ دِينِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَوْتَ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَ لَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ لَيْسَ عَنِ الْمَوْتِ مَحِيدٌ وَ لَا مَحِيصٌ مَنْ لَمْ يُقْتَلْ مَاتَ إِنَّ أَفْضَلَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَ الَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِهِ وَاحِدَةً عَلَيَّ الْفِرَاشِ اللَّهُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ نَكَثَ بَيْعَتِي وَ أَلْبَ عَلَيَّ عُثْمَانَ حَتَّى قَتَلَهُ ثُمَّ عَضَّ هَنِي (٢) بِهِ وَ رَمَانِي اللَّهُمَّ فَلَا تُمَهِّلْهُ اللَّهُمَّ إِنَّ الزُّبَيْرَ قَطَعَ رَحِمِي وَ نَكَثَ بَيْعَتِي وَ ظَاهَرَ عَلَيَّ عَدُوِّي فَكَفِنِيهِ الْيَوْمَ بِمَا شِئْتَ ثُمَّ نَزَلَ .

ص: ٣٠٦

١- ١) قد أنصف القاره من راماه؛ مثل، و القاره: قوم رماه من العرب. و في اللسان (٦: ٤٣٦) عن التهذيب: «كانوا رماه الحدق في الجاهلية؛ و هم اليوم في اليمن ينسبون إلى أسد، و النسبه إليهم قارى، و زعموا أن رجلين التقيا؛ أحدهما قارى و الآخر أسدى، فقال القارى: إن شئت صارعتك، و إن شئت سابقتك، و إن شئت راميتك، فقال: اخترت المرماه، فقال القارى: لقد أنصفتني، و أنشد: قد أنصف القاره من راماه إننا إذا ما فته نلقاها نرد أولاهها على أخراها ثم انتزع له سهما فشك فواده.

٢- ٢) عضه، أى قال فيه ما لم يكن.

واعلم أن كلام أمير المؤمنين ع وكلام أصحابه وعماله في واقعه الجمل كله يدور على هذه المعاني التي اشتملت عليها ألفاظ هذا الفصل

١٤٣

١- فَمِنْ ذَلِكَ الْخُطْبَةُ الَّتِي رَوَاهَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُنَادَةَ قَالَ قَدِمْتُ مِنَ الْحِجَازِ أُرِيدُ الْعِرَاقَ فِي أَوَّلِ إِمَارَةِ عَلِيٍّ ع فَمَرَزْتُ بِمَكَّةَ فَاعْتَمَرْتُ ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ص إِذْ نُودِيَ الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَخَرَجَ عَلِيٌّ ع مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ فَشَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ نَحْوَهُ فَحَمِدَ اللَّهُ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ص ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمَّا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ص قُلْنَا نَحْنُ أَهْلُهُ وَوَرَثَتُهُ وَعِثْرَتُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ دُونَ النَّاسِ لَا- يُنَازِعُنَا سُلْطَانُهُ أَحَدٌ وَلَا- يَطْمَعُ فِي حَقِّنَا طَامِعٌ إِذْ انْبَرَى لَنَا قَوْمُنَا فَغَصَبُونَا سُلْطَانَ نَبِيِّنَا فَصَارَتِ الْأُمْرَةُ (١) لِعَيْرِنَا وَصِرْنَا سَوْفَهُ يَطْمَعُ فِيْنَا الضَّعِيفُ وَ يَتَعَزَّزُ عَلَيْنَا الدَّلِيلُ فَبَكَتِ الْأَعْيُنُ مِنَّا لِذَلِكَ وَ حَشِنَتْ (٢) الصُّدُورُ وَ جَزَعَتِ النَّفُوسُ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَوْ لَا مَخَافَةُ الْفَرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ أَنْ يَعُودَ الْكُفْرُ وَ يَبُورَ الدِّينُ لَكُنَّا عَلَى غَيْرِ مَا كُنَّا لَهُمْ عَلَيْهِ قَوْلِي الْأَمْرُ وَلَاهَ لَمْ يَأْلُوا النَّاسَ خَيْرًا ثُمَّ اسْتَحْرَجْتُمُونِي أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ بَيْتِي فَبَايَعْتُمُونِي عَلَى شَيْئٍ مِنِّي لِأَمْرِكُمْ وَ فِرَاسِهِ تُصَيِّدُونِي مَا فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْكُمْ وَ بَايَعَنِي هَٰذَانِ الرَّجُلَانِ فِي أَوَّلِ مَنْ بَايَعَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَ قَدْ نَكَّنَا وَ عَدَرَا وَ نَهَضَا إِلَى الْبَصِيرَةِ بَعَائِشَهُ لِيَفْرَقَا جَمَاعَتَكُمْ وَ يُلْقِيَا بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ اللَّهُمَّ فَخُذْهُمَا بِمَا عَمِلَا أَخَذَهُ رَابِيَهُ (٣)

ص: ٣٠٧

(١ - ١) «الإمارة».

(٢ - ٢) كذا في ج، و خشنت أي أوغرت، و منه قول عنترة: *و خشنت صدرا جيبه لك ناصح* و في «خشيت»، و الوجه ما أثبتته من أ.

٣ - ٣) ب: «أخذه واحده رابيه»، و ما أثبتته عن أ. و أخذه رابيه، أي أخذه تزيد على الأخذات، و قال الجوهري: أي زائده، كقولك: أربيت، إذا أخذت أكثر مما أعطيت، قال تعالى: فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَهُ رَابِيَهُ .

وَلَا تَنْعَشْ (١) لَهُمَا صِرْعَةً وَلَا تَقِلْ لَهُمَا عَثْرَهُ وَلَا تَمَهِّلُهُمَا فَوْاقًا (٢) فَإِنَّهُمَا يَطْلُبَانِ حَقًّا تَرَكَاهُ وَدَمًا سَفَكَاهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أفتُضِيكَ وَعَدَكَ فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيُنْصِرَنَّهُ اللَّهُ (٣) اللَّهُمَّ فَأَنْجِرْ لِي مَوْعِدَكَ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي إِنَّكَ عَلِيٌّ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثُمَّ نَزَلَ

خطبته عند مسيره للبصره

١٦٤

١- وَ رَوَى الْكَلْبِيُّ قَالَ لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ ع الْمَسِيرَ إِلَى الْبَصْرَةِ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَ صَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ص إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَبِضَ نَبِيَّهُ اسْتَأْثَرَتْ عَلَيْنَا قُرَيْشٌ بِالْأَمْرِ وَ دَفَعْتَنَا عَنْ حَقِّ نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنَ النَّاسِ كَمَا فَهَ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى ذَلِكِكَ أَفْضَلُ مِنْ تَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَ سَفْكَ دِمَائِهِمْ وَ النَّاسُ حَدِيثُوا عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ وَ الدِّينِ يُمَخَضُ مَخَضَ الوَطْبِ يُفْسِدُهُ أَذْنِي وَ هُنَّ وَ يَعْكِسُهُ أَقْلُ خُلْفٍ فَوَلَّى الْأَمْرَ قَوْمٌ لَمْ يَأْلُوا فِي أَمْرِهِمْ اجْتِهَادًا ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ وَ اللَّهُ وَلِيُّ تَمَحِيصِ سَيِّئَاتِهِمْ وَ الْعَفْوِ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ فَمَا بَالُ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ لَيْسَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِسَبِيلٍ لَمْ يَصْبِرَا عَلَيَّ حَوْلًا وَ لَا شَهْرًا حَتَّى وَ ثَبَا وَ مَرَقَا وَ نَارَعَانِي أَمْرًا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمَا إِلَيْهِ سَبِيلًا بَعِيدًا أَنْ بَايَعَا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهَيْنِ يَرْضَخَانِ أَمَّا قَدْ فَطَمْتَ وَ يُحْيِيَانِ بَدْعَهُ قَدْ أُمِيتَتْ أَدَمَ عُثْمَانَ زَعَمَا وَ اللَّهُ مَا التَّبَعَهُ إِلَّا عِنْدَهُمْ وَ فِيهِمْ وَ إِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى

ص: ٣٠٨

١- (١) النعش:الرفع؛نعشت فلانا،إذا جبرته بعد فقر،و أقلته بعد عثره.

٢- (٢) الفواق،بفتح الفاء و ضمها:ما بين الحلبتين من الوقت؛لأنها تحلب ثم تترك سويعه يرتضعها الفصيل لتدر ثم تحلب؛يقال:ما أقام عندنا إلا فواقا،أى قدر فواق.

٣- (٣) الآية بأكملها فى سورة الحج ٦٠: ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصِرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ .

أَنْفُسِهِمْ وَ أَنَا رَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ عَمَلِهِ فِيهِمْ فَإِنْ فَاءَ وَ أَنَا يَا فَحَظَّهُمَا أَحْرَزَا وَ أَنْفَسِيَهُمَا عَنَّمَا وَ أَعْظِمُ بِهَا غَنِيمَةً وَ إِنْ أَنِيَا
أَعْطَيْتُهُمَا حَدَّ السَّيْفِ وَ كَفَى بِهِ نَاصِرًا لِحَقِّ وَ شَافِيًا لِبَاطِلٍ ثُمَّ نَزَلَ .

خطبته بذي قار

١٦٥

١٤، ١- وَ رَوَى أَبُو مَخْنَفٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ صُوحَيَّانَ قَالَ شَهِدْتُ عَلِيًّا عِندَ بِيَدِي قَارِ (١) وَ هُوَ مُعْتَمِدٌ بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ مُلْتَفٌّ بِسِيَاحٍ يَخْطُبُ
فَقَالَ فِي خُطْبِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ وَ حِيَالٍ فِي الْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ابْتِغَاءَ
رَحْمَتِهِ لِلْعِيَادِ وَ حَيَاةِ لِلْبِلَادِ حِينَ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ فِتْنَةً وَ اضْطَرَبَ حَبْلُهَا وَ عَبْدُ الشَّيْطَانِ فِي أَكْنَافِهَا وَ اشْتَمَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِبْلِيسَ عَلَى
عَقَائِدِ أَهْلِهَا فَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي أَطْفَأَ اللَّهُ بِهِ نِيرَانَهَا وَ أَحْمَدَ بِهِ شَرَارَهَا وَ نَزَعَ بِهِ أَوْتَادَهَا وَ أَقَامَ بِهِ مِيزَانَهَا
إِمَامَ الْهُدَى وَ النَّبِيَّ الْمُضِيَّ صَ فَفَسَدَ صَدَعٌ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَ بَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ فَأُضِلَّحَ اللَّهُ بِهِ ذَاتَ الْبَيْنِ وَ آمَنَ بِهِ السُّبُلَ وَ حَقَّنَ بِهِ
الدَّمَاءَ وَ أَلْفَ بِهِ بَيْنَ ذَوِي الصَّغَائِرِ الْوَاعِرَةِ فِي الصُّدُورِ حَتَّى آتَاهُ الْيَقِينُ ثُمَّ قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ حَمِيدًا ثُمَّ اسْتَخْلَفَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ
يَأُلْ جُهْدَهُ ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَلَمْ يَأُلْ جُهْدَهُ ثُمَّ اسْتَخْلَفَ النَّاسُ عُثْمَانَ فَنَالَ مِنْكُمْ وَ نِلْتُمْ مِنْهُ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ
أَتَيْتُمُونِي لِتُبَايَعُونِي لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ وَ دَخَلْتُ مَنَزِلِي فَاسْتَخْرَجْتُمُونِي فَقَبِضْتُمْ يَدِي فَبَسَيْتُمْ مِثْمُوهَا وَ تَدَاكَكْتُمْ (٢) عَلَى حَتَّى
ظَنَنْتُ أَنَّكُمْ قَاتِلِي وَ أَنَّ بَعْضَكُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ فَبَايَعْتُمُونِي وَ أَنَا غَيْرُ مَسْرُورٍ بِذَلِكَ وَ لَا جَدِلٍ

ص: ٣٠٩

١- ١) ذوقار: موضع قريب من البصرة؛ وهو المكان الذي كانت فيه الحرب بين العرب و الفرس.

٢- ٢) تداككتم: تراحمتم.

وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ سُيْحَانَهُ أَنِّي كُنْتُ كَارِهًا لِلْحُكُومَةِ بَيْنَ أُمَّهِ مُحَمَّدٍ ص وَ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَا مِنْ وَالٍ يَلِي شَيْئًا مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي إِلَّا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ ثُمَّ يُنْشَرُ كِتَابُهُ فَإِنْ كَانَ عَادِلًا نَجَا وَإِنْ كَانَ جَائِرًا هَوَى حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيَّ مَلُوكُكُمْ وَ يَا يَعْنِي طَلْحَهُ وَ الزُّبَيْرُ وَ أَنَا أَعْرِفُ الْغَدَرَ فِي أَوْجُهَيْهِمَا وَ النَّكْثَ فِي أَعْيُنَيْهِمَا ثُمَّ اسْتَأْذَنَانِي فِي الْعُمْرَةِ فَأَعْلَمْتُهُمَا أَنَّ لَيْسَ الْعُمْرَةَ يُرِيدَانِ فَسَارَا إِلَى مَكَّةَ وَ اسْتَخَفَا عَائِشَةَ وَ خَدَعَاهَا وَ شَخَصَ مَعَهُمَا أَبْنَاءُ الطَّلَقَاءِ (١) فَقَدِمُوا الْبَصِيرَةَ فَقَتَلُوا بِهَا الْمُسْلِمِينَ وَ فَعَلُوا الْمُنْكَرَ وَ يَا عَجَبًا لاسْتِقَامَتَيْهِمَا لِأَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ بَغْيَيْهِمَا عَلَيَّ وَ هُمَا يَعْلَمَانِ أَنِّي لَسْتُ دُونَ أَحَدِهِمَا وَ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ وَ لَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ كَتَبَ إِلَيْهِمَا مِنَ الشَّامِ كِتَابًا يَخْدَعُهُمَا فِيهِ فَكَتَمَاهُ عَنِّي وَ خَرَجَا يُوهِمَانِ الطَّغَامَ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ بَدَمَ عُثْمَانَ وَ اللَّهُ مَا أَنْكَرَا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَ لَا جَعَلَا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصِيحًا وَ إِنَّ دَمَ عُثْمَانَ لَمَعْصُوبٌ بِهِمَا وَ مَطْلُوبٌ مِنْهُمَا يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي إِلَامَ دَعَا وَ بِمَا ذَا أُجِيبُ وَ اللَّهُ إِنَّهُمَا لَعَلَى ضَلَالَةٍ صَمَاءَ وَ جَهَالَةٍ عَمِيَاءَ وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ لَهُمَا حَزْبَهُ وَ اسْتَجَلَبَ مِنْهُمَا خَيْلَهُ وَ رَجَلَهُ لِيُعِيدَ الْجُورَ إِلَى أَوْطَانِهِ وَ يَرُدَّ الْبَاطِلَ إِلَى نِصَابِهِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ قَطَعَانِي وَ ظَلَمَانِي وَ أَلْبَا عَلَيَّ وَ نَكثَا بِيَعْتِي فَاخْلُلْ مَا عَقَدَا وَ انْكَثْ مَا أُبْرِمَا وَ لَا تَغْفِرْ لَهُمَا أَبَدًا وَ أَرْهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا عَمِلَا وَ أَمَلَا .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ فَقَامَ إِلَيْهِ الْأَشْتَرُ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا فَأَفْضَلَ وَ أَحْسَنَ إِلَيْنَا فَأَجْمَلَ قَدْ سَمِعْنَا كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَقَدْ أَصَبْتَ وَ وُفِّقْتَ وَ أَنْتَ ابْنُ عَمِّ نَبِيِّنَا وَ صِهْرُهُ وَ وَصِيُّهُ وَ أَوْلُ مُصَدِّقٍ بِهِ وَ مُصَلٍّ مَعَهُ شَهِدْتَ

ص: ٣١٠

١ - ١) الطلقاء: هم الذين خلى عنهم الرسول عليه السلام يوم فتح مكة، و أطلقهم فلم يسترقهم، واحد هم طليق، فعيل بمعنى مفعول، و هو الأسير إذا أطلق سبيله.

مَشَاهِدُهُ كُلُّهَا فَكَانَ لَكَ الْفَضْلُ فِيهَا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ فَمَنِ اتَّبَعَكَ أَصَابَ حَظَّهُ وَاسْتَبَشَرَ بِفَلَاحِهِ وَ مَنْ عَصَاكَ وَ رَغِبَ عَنْكَ فَإِلَى
أُمَّهِ الْهَآوِيَةِ لَعَمْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَمْرٌ طَلَحَهُ وَ الزُّبَيْرِ وَ عَائِشَةَ عَلَيْنَا بِمُخِيلٍ وَ لَقَدْ دَخَلَ الرَّجُلَانِ فِيمَا دَخَلَا فِيهِ وَ فَارَقَا عَلَى غَيْرِ
حَدِيثٍ أَحَدْتَتْ وَ لَا جُورٍ صَيَّغَتْ فَإِنْ زَعَمَا أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ بَدَمِ عُثْمَانَ فَلْيَقِيدَا مِنْ أَنْفُسِهِمَا فَإِنَّهُمَا أَوَّلُ مَنْ أَلَبَّ عَلَيْهِ وَ أَغْرَى النَّاسَ
بَدَمِهِ وَ أَشْهَدُ اللَّهَ لَيْسَ لَمْ يَدْخُلَا فِيمَا خَرَجَا مِنْهُ لِنَلْحِقَنَّهُمَا بِعُثْمَانَ فَإِنَّ سُيُوفَنَا فِي عَوَاتِقِنَا وَ قُلُوبَنَا فِي صُدُورِنَا وَ نَحْنُ الْيَوْمَ كَمَا كُنَّا
أَمْسِ ثُمَّ قَعَدَ

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ - [كَفَطْرِ]

كَقَطْرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادِهِ أَوْ نُقْصَانِهِ فَإِنَّ (١) رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَعْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ [تَطْهَرُ]

فَيُخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَيُعْرَى بِهَا لِلنَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزِهِ مِنْ قِدَاحِهِ تُوَجَّبُ لَهُ الْمَغْنَمُ وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ [بِهَا]

الْمَغْرَمُ وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِمَّا دَاعَى اللَّهُ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسْبُهُ وَ إِنَّ الْمَالَ وَ النَّيْنَ حَزْثُ الدُّنْيَا وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ حَزْثُ الْآخِرَةِ وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ [شَخْصِهِ]

وَ اخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْدِيرٍ وَ اعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لَا سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكُلْهُ اللَّهُ [إِلَى مَنْ]

لِمَنْ عَمِلَ لَهُ نَسِئًا اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَ مُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ وَ مُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ [عَشِيرَتِهِ]

عِثْرَتِهِ [عَشِيرَتِهِ]

وَ دِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلْمَهُمْ لِشِعْنِهِ وَ أَعْظَمُهُمْ

ص: ٣١٢

عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلِهِ إِذَا [إِنْ]

(١) نَزَلَتْ بِهِ وَ لِسَانِ الصَّدَقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ [يُورَثُهُ غَيْرُهُ]

يَرِثُهُ غَيْرُهُ .

وَ مِنْهَا أَلَا - لَا - يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسِدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ وَ مَنْ
يَقْبِضُ يَدَهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَ تُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَ مَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَيْهِ يَسِدَّ تَدْمٍ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ
[الْمَحَبَّةَ]

قال الرضى رحمه الله (٢) أقول الغفيرة هاهنا الزيادة و الكثرة من قولهم للجمع الكثير الجم الغفير و الجماء الغفير و يروى عفوه
من (٣) أهل أو مال و العفوه الخيار من الشيء يقال أكلت عفوه الطعام أى خياره.

و ما أحسن المعنى الذى أراد ع بقوله و من يقبض يده عن عشيرته... إلى تمام الكلام فإن الممسك خيره عن عشيرته إنما
يمسك نفع يد واحدته فإذا احتاج إلى نصرتهم و اضطر إلى مرافدتهم قعدوا عن نصره و تناقلوا عن صوته فمنع ترافد الأيدي
الكثيرة و تناهض الأقدام الجمه

ص: ٣١٣

١ - ١) ب: «إذا».

٢ - ٢) ساقطه من ا.

٣ - ٣) «فى».

الفالج الظافر الفائز فلج يفلج بالضم و فى المثل من يأت الحكم وحده يفلج و الياسر الذى يلعب بالقداح و اليسر مثله و الجمع أيسار و فى الكلام تقديم و تأخير تقديره كالياسر الفالج أى كاللاعب بالقداح المحظوظ منها و هو من باب تقديم الصفه على الموصوف كقوله تعالى وَ غَرَّابِيْبٌ سُوْدٌ (١) و حسن ذلك هاهنا أن اللفظتين صفتان و إن كانت إحداهما مرتبه على الأخرى .

و قوله ليست بتعذير أى ليست بذات تعذير أى تقصير فحذف المضاف كقوله تعالى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُوْدِ النَّارِ (٢) أى ذى النار

و قوله هم أعظم الناس حيظه كيبعه أى رعايه و كلاءه و يروى حيظه كغيبه و هى مصدر حاط أى تحننا و تعطفنا .

و الخصاصه الفقر يقول القضاء و القدر ينزلان من السماء إلى الأرض كقطر المطر أى مبعوث فى جميع أقطار الأرض إلى كل نفس بما قسم لها من زياده أو نقصان فى المال و العمر و الجاه و الولد و غير ذلك فإذا رأى أحدكم لأخيه زياده فى رزق أو عمر أو ولد و غير ذلك فلا يكون ذلك له فتنه تفضى به إلى الحسد فإن الإنسان المسلم إذا كان غير مواقع لدناءه و قبيح يستحى من ذكره بين الناس و يخشع إذا قرع به و يغرى لئام الناس بهتك ستره به كاللاعب بالقداح المحظوظ منها ينتظر أول فوزه و غلبه من قداحه تجلب له نفعاً و تدفع عنه ضراً كذلك من وصفنا حاله يصبر و ينتظر إحدى الحسنين إما أن يدعوه الله فيقبضه إليه و يستأثر به فالذى عند الله خير له و إما أن ينسأ فى أجله فيرزقه الله أهلاً و مالا فيصبح و قد اجتمع له ذلك مع حسبه و دينه و مروءته المحفوظه عليه .

ثم قال المال و البنون حرث الدنيا و هو من قوله سبحانه الْمَالُ وَ الْبُنُوْنَ

ص: ٣١٤

١-١) سورة فاطر ٢٧.

٢-٢) سورة البروج ٤،٥.

زَيْنَةُ الْحَيَاءِ الدُّبِّيَا (١) و من قوله تعالى مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢).

قال و قد يجمعهما الله لأقوام فإنه تعالى قد يرزق الرجل الصالح مالا و بنين فتجمع له الدنيا و الآخرة .

ثم قال فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه و ذلك لأنه تعالى قال فَاتَّقُوا (٣) و قال فَارْهَبُوا (٤) و قال فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَ أَحْشَوْا (٥) و غير ذلك من آيات التحذير.

ثم قال و لتكن التقوى منكم أقصى نهايات جهدكم لا ذات تقصيركم فإن العمل القاصر قاصر الثواب قاصر المنزله

فصل في ذم الحاسد و الحسد

و اعلم أن مصدر هذا الكلام النهي عن الحسد و هو من أقبح الأخلاق المذمومه

١٦٦

١٤- وَ رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى صَلاً- لَمْ تَعْبَادُوا نِعَمَ اللَّهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ مَنْ الَّذِي يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ قَالَ الَّذِينَ يَحْسِدُونَ النَّاسَ .

و كان ابن عمر يقول تعوذوا بالله من قدر وافق إرادته حسود.

ص: ٣١٥

١- (١) سورة الكهف ٤٦.

٢- (٢) سورة الشورى ٢٠.

٣- (٣) سورة البقرة ٤١: وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ إِيَّايَ فَاتَّقُوا .

٤- (٤) سورة البقرة ٤٠. وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُوا .

٥- (٥) سورة المائدة ٤٤.

قيل لأرسطو ما بال الحسود أشدّ غما من المكروب قال لأنه يأخذ نصيبه من غموم الدنيا و يضاف إلى ذلك غمه بسرور الناس.

١٦٧

وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص اسْتَعِينُوا عَلَيَّ قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِثْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ.

و قال منصور الفقيه (١) منافسه الفتى فيما يزول

١٦٨

وَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَرْوِيِّ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع لَلَّهِ دَرُّ الْحَسَدِ مَا أَعَدَّ لَهُ بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَفَتَلَهُ.

و من كلام عثمان بن عفان يكفيك من انتقامك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك.

و قال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشدّ تحاسدا من السوس في الوبر.

و قال أبو تمام و إذا أراد الله نشر فضيله

و تذاكر قوم من ظرفاء البصره الحسد فقال رجل منهم إن الناس ربما حسدوا على الصلب فأنكروا ذلك ثم جاءهم بعد ذلك
بأيام فقال إن الخليفة قد أمر بصلب

ص: ٣١٦

(١-١) هو منصور بن إسماعيل بن عيسى التميمي أحد فقهاء الشافعية. طبقات السبكي ٢.٣١٧.

الأحنف (١) بن قيس (٢) و مالك بن مسمع و حمدان الحجام فقالوا هذا الخبيث يصلب مع هذين الرئيسين فقال ألم أقل لكم إن الناس يحسدون على الصلب.

١٦٩

و رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ مَرْفُوعًا أَنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ.

١٧٠

و فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الْحَاسِدُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي مُتَسَخِّطٌ لِفِعْلِي غَيْرٌ رَاضٍ بِقِسْمَتِي.

و قال الأصمعي رأيت أعرابيا قد بلغ مائه و عشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت.

و قال بعضهم ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد.

قال الشاعر تراه كأنَّ الله يجدع أنفه و أذنيه إن مولاه تاب إلى وفر.

و قال آخر قل للحسود إذا تنفس ضغنه يا ظالما و كأنه مظلوم.

و من كلام الحكماء إياك و الحسد فإنه يبين فيك و لا يبين في المحسود.

و من كلامهم من دناءه الحاسد أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب.

و قيل لبعضهم لزمم البادية و تركت قومك و بلدك قال و هل بقي إلا حاسد نعمه أو شامت بمصيبه.

بيننا عبد الملك بن صالح يسير مع الرشيد في موكبه إذ هتف هاتف يا أمير المؤمنين طأطي من إشرافه و قصر من عنانه و اشدد من شكاله و كان عبد الملك متهما

ص: ٣١٧

١-١) ساقط من ب.

١-٢) ساقط من ب.

عند الرشيد بالطمع فى الخلافه فقال الرشيد ما يقول هذا فقال عبد الملك مقال حاسد و دسيس حاقدا يا أمير المؤمنين قال قد صدقت نقص القوم و فضلتهم و تخلفوا و سبقتهم حتى برز شأوك و قصر عنك غيرك ففى صدورهم جمرات التخلف و حزازات التبلد قال عبد الملك فأضرمها يا أمير المؤمنين عليهم بالمزيد.

و قال شاعر يا طالب العيش فى أمن و فى دعه

و من كلام عبد الله بن المعتز إذا زال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شىء.

و من كلامه الحاسد مغتاض على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه.

و من كلامه لا راحه لحاسد و لا حياه لحريص.

و من كلامه الميت يقل الحسد له و يكثر الكذب عليه و من كلامه ما ذل قوم حتى ضعفوا و ما ضعفوا حتى تفرقوا و ما تفرقوا حتى اختلفوا و ما اختلفوا حتى تباغضوا و ما تباغضوا حتى تحاسدوا و ما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض.

و قال الشاعر إن يحسدونى فإنى غير لائمهم

و من كلامهم ما خلا جسد عن حسد.

و حدّ الحسد هو أن تغتاض ممّا رزقه غيرك و تود أنّه زال عنه و صار إليك و الغبطه ألا تغتاض و لا تود زواله عنه و إنّما تود أن ترزق مثله و ليست الغبطه بمذمومه.

و قال الشاعر حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه

فصل في مدح الصبر و انتظار الفرج

و اعلم أنّه ع بعد أن نهى عن الحسد أمر بالصبر و انتظار الفرج من الله إمّا بموت مريح أو بظفر بالمطلوب.

و الصبر من المقامات الشريفة و قد وردت فيه آثار كثيرة

١٧١

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّ الصَّبْرَ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَ الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ.

و قالت عائشه لو كان الصبر رجلا لكان كريما.

١٧٢

وَ قَالَ عَلِيُّ ع

الصَّبْرُ إِمَّا صَبْرٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ أَوْ عَلَى الطَّاعَةِ أَوْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَ هَذَا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ .

١٧٣

وَ عَنْهُ ع

الْحَيَاءُ زِينَةٌ وَ التَّقْوَى كَرَمٌ وَ خَيْرُ الْمَرَائِبِ مَرْكَبُ الصَّبْرِ .

١٧٤

وَ عَنْهُ ع

الْقَنَاعَةُ سَيْفٌ لَا يَنْبُو وَ الصَّبْرُ مَطِيئَةٌ لَا تَكْبُو وَ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الشُّدَّةِ .

١٧٥

قَالَ الْحَسَنُ ع جَرَّبْنَا وَ جَرَّبَ الْمُجْرِبُونَ فَلَمْ نَرِ شَيْئًا أَنْفَعَ وَجَدَانًا وَلَا أَضَرَ فَقَدَانًا مِنَ الصَّبْرِ تَدَاوَى بِهِ الْأُمُورُ وَلَا يُدَاوَى هُوَ بِغَيْرِهِ.

ص: ٣١٩

و قال سعيد بن حميد الكاتب (١) لا تعبتن على النوائب

و من كلامهم الصبر مر لا يتجرعه إلا حر.

قال أعرابي كن حلو الصبر عند مراره النازله.

و قال كسرى ليزر جمهر ما علامه الظفر بالأمور المطلوبه المستصعبه قال ملازمه الطلب و المحافظه على الصبر و كتمان السر.

و قال الأحنف بن قيس لست حليما إنما أنا صبور فأفادنى الصبر صفتى بالحلم.

١٧٦

١- وَ سُئِلَ عَلِيُّ عَ أَيُّ شَيْءٍ أَقْرَبُ إِلَى الْكُفْرِ قَالَ ذُو فَاقِهِ لَا صَبْرَ لَهُ .

١٧٧

وَ مِنْ كَلَامِهِ ع

الصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحَدَثَانَ وَ الْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ .

و قال أعشى همدان إن نلت لم أفرح بشيء نلته

و الأمر يذكر بالأمر و هذا البيت هو الذى قاله له الحجاج يوم قتله ذكر ذلك أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى فى الأمالى قال لما أتى الحجاج بأعشى همدان أسيرا و قد كان خرج مع ابن الأشعث قال له يا ابن اللخناء أنت القائل لعدو الرحمن يعنى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

ص : ٣٢٠

١- ١) البيتان: الثالث و الرابع فى شرح المختار من شعر بشار ٣١٤، من غير نسبه.

ثم قال عبد الرحمن خر من زلق فتب و خسرو انكب و ما لقي ما أحب و رفع بها صوته و اهتز منكبا و در ودجاه (1) و احمرت عيناه و لم يبق في المجلس إلا من هابه فقال أيها الأمير و أنا القائل أبا الله إلا أن يتمم نوره

فالتفت الحجاج إلى من حضر فقال ما تقولون قالوا لقد أحسن أيها الأمير و محا بآخر قوله أوله فليسعه حلمك فقال لاها الله إنه لم يرد ما ظننتم و إنما أراد تحريض أصحابه ثم قال له ويلك أ لست القائل إن نلت لم أفرح بشيء نلته

أما و الله لتظلمن عليك غيابه لا تنكشف أبدا أ لست القائل في عبد الرحمن و إذا سألت المجد أين محله فالمجد بين محمد و سعيد

ص: ٣٢١

بين الأشج و بين قيس نازل

بخ بخ لوالده و للمولود (١).

و الله لا يبخبخ (٢) بعدها أبدا يا حرسى اضرب عنقه.

و ممّا جاء فى الصبر قيل للأحنف إنك شيخ ضعيف و إن الصيام يهدك فقال إنى أعده لشر يوم طويل و إن الصبر على طاعه الله أهون من الصبر على عذاب الله.

و من كلامه من لم يصبر على كلمه سمع كلمات ربّ غيظ قد تجرعته مخافه ما هو أشدّ منه.

يونس بن عبيد لو أمرنا بالجزع لصبرنا.

ابن السماك المصيبه واحده فإن جزع صاحبها منها صارت اثنتين يعنى فقد المصاب و فقد الثواب.

الحارث بن أسد المحاسبى لكل شىء جوهر و جوهر الإنسان العقل و جوهر العقل الصبر.

١٧٨

١٤- جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُنِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ الصَّبْرُ وَ السَّمَاحَةُ .

و قال العتابى اصبر إذا بدهتك نائبه

١٧٩

وَ مِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ ع

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الظَّفَرِ وَ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ رَسُولُ الفَرَجِ .

١٨٠

وَ مِنْ كَلَامِهِ ع

إِنِّي نَظَرْتُ الفَرَجَ بِالصَّبْرِ عِبَادَةً .

أكثم بن صيفى :الصبر على جرع الحمام أعذب من جنا الندم.

ص: ٣٢٢

١-١) ديوان الأعشى ٣٢٣.

٢-٢) بخبخ الرجل؛ إذا قال: بخب بخب، و في اللسان: «و الله لا بخبخت بعدها».

و من كلام بعض الزهاد و اصبر على عمل لا غناء بك عن ثوابه و اصبر عن عمل لا صبر على عقابك به.

و كتب ابن العميد أقرأ فى الصبر سورا و لا- أقرأ فى الجزع آيه و أحفظ فى التماسك و التجلد قصائد و لا أحفظ فى التهافت قافيه.

و قال الشاعر و يوم كيوم البعث ما فيه حاكم

أبو حيه النميرى

إنى رأيت و فى الأيام تجربه

١٨١

١- وَ وَصَفَ الْحَسَنُ الْبَصِيرِيُّ عَلِيًّا ع فَقَالَ كَمَا أَنْ لَا- يَجْهَلُ وَ إِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حُلْمٌ وَ لَا يَظْلَمُ وَ إِنْ ظُلِمَ غَفَرَ وَ لَا يَبْخُلُ وَ إِنْ بَخِلَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ صَبَرَ .

عبد العزيز بن زراره الكلابى

قد عشت فى الدهر أطوارا على طرق

و من كلام بعضهم: من تبصر تصبر الصبر يفسح الفرج و يفتح المرتجح المحنه إذا تلقيت بالرضا و الصبر كانت نعمه دائمه و النعمه إذا خلت من الشكر كانت محنه لازمه.

ص: ٣٢٣

قيل لأبي مسلم صاحب الدوله بم أصبت ما أصبت قال ارتديت بالصبر و اتزرت بالكتمان و حالفت الحزم و خالفت الهوى و لم
أجعل العدو صديقا و لا الصديق عدوا.

منصور النمرى فى الرشيد و ليس لأعباء الأمور إذا عرت

١٨٢

مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع

أَوْصِيَكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهِنَّ آبَاطَ الْإِبِلِ كَانَتْ لِدَلِكِ أَهْلًا لَا يَزُجُونَ أَحَدَكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ وَلَا يَشْتَبِحِينَ إِذَا
سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ وَلَا يَشْتَبِحِي إِذَا جَهَلَ أَمْرًا أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ
الْجَسَدِ فَكَمَا لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ لَهُ لَا خَيْرَ فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ .

١٨٣

وَعَنْهُ ع

لَا يَعْدَمُ الصَّبْرُ الظَّفَرَ وَ إِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ .

نهشل بن حرى

و يوم كأن المصطلين بحره

١٨٤

عَلِيٌّ ع

إِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بَعْرَائِمِ الصَّبْرِ وَ حُسْنِ الْيَقِينِ .

١٨٥

وَعَنْهُ ع

وَ إِنْ كُنْتَ جَارِعًا عَلَى مَا تَفَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ .

١٨٦

١- وَ فِي كِتَابِهِ ع الَّذِي كَتَبَهُ إِلَى عَقِيلِ أَخِيهِ وَ لَا تَحْسِبَنَّ ابْنَ أُمَّكَ وَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعًا مُتَخَشِّعًا وَ لَا مُقِرًّا لِلضَّيْمِ وَاهِنًا وَ لَا

سَلِسَ الزَّمَامَ لِلْقَائِدِ وَلَا وَطِئَ الظَّهْرَ لِلرَّاكِبِ وَ لَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمِ

ص: ٣٢٤

فصل فى الرياء والنهى عنه

واعلم أنه ع بعد أن أمرنا بالصبر نهى عن الرياء فى العمل و الرياء فى العمل منهى عنه بل العمل ذو الرياء ليس بعمل على الحقيقه لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى و أصحابنا المتكلمون يقولون ينبغى أن يعمل المكلف الواجب لأنه واجب و يجتنب القبيح لأنه قبيح و لا- يفعل الطاعة و يترك المعصيه رغبه فى الثواب و خوفا من العقاب فإن ذلك يخرج عمله من أن يكون طريقا إلى الثواب و شبهوه بالاعتذار فى الشىء فإن من يعتذر إليك من ذنب خوفا أن تعاقبه على ذلك الذنب لا ندما على القبيح الذى سبق منه لا يكون عذره مقبولا و لا ذنبه عندك مغفورا و هذا مقام جليل لا يصل إليه إلا الأفراد من ألوف الألوف.

و قد جاء فى الآثار من النهى عن الرياء و السمعه كثير

١٨٧

رُويَ عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ يُؤْتَى فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالرَّجُلِ قَدْ عَمِلَ أَعْمَالَ الْخَيْرِ كَالْجِبَالِ أَوْ قَالَ كَجِبَالِ تِهَامَةَ وَ لَهُ خَطِيئَةٌ وَاحِدَةٌ فَيُقَالُ إِنَّمَا عَمِلْتَهَا لِيُقَالَ عَنْكَ فَقَدْ قِيلَ وَ ذَاكَ ثَوَابُكَ وَ هَذِهِ خَطِيئَتُكَ أَذْخَلُوهُ بِهَا إِلَى جَهَنَّمَ .

١٨٨

وَ قَالَ ع لَيْسَتْ الصَّلَاةُ قِيَامَكَ وَ قُعُودَكَ إِنَّمَا الصَّلَاةُ إِخْلَاصُكَ وَ أَنْ تُرِيدَ بِهَا اللَّهَ وَحْدَهُ.

و قال حبيب الفارسي لو أن الله تعالى أقامنى يوم القيامة و قال هل تعد سجده سجدت ليس للشيطان فيها نصيب لم أقدر على ذلك.

ص: ٣٢٥

توصل عبد الله بن الزبير إلى امرأه عبد الله بن عمر و هي أخت المختار بن أبي عبيد الثقفي في أن تكلم بعلمها عبد الله بن عمر أن يبأيعه فكلّمته في ذلك و ذكرت صلّاته و قيامه و صيامه فقال لها أ ما رأيت البغلات الشهب التي كنا نراها تحت معاويه بالحجر إذا قدم مكّه قالت بلى قال فأياها يطلب ابن الزبير بصومه و صلّاته.

١٨٩

وَ فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ أَحْوَفَ مَا أَحَافُ عَلَى أُمَّتِي الرِّيَاءُ فِي الْعَمَلِ أَلَا وَ إِنَّ الرِّيَاءَ فِي الْعَمَلِ هُوَ الشُّرْكُ الْخَفِيُّ.

صلّى و صام لأمر كان يطلبه

حتى حواه فلا صلّى و لا صاماً

فصل في الاعتضاد بالعشيره و التكثر بالقبيله

ثمّ إنّه ع بعد نهيه عن الرياء و طلب السمعه أمر بالاعتضاد بالعشيره و التكثر بالقبيله فإن الإنسان لا يستغنى عنهم و إن كان ذا مال و قد قالت الشعراء في هذا المعنى كثيراً فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسه (١) إذا المرء لم يغضب له حين يغضب

ص: ٣٢٤

(١-١) في الحماسه ٢:٢١١: «قراد بن عباد»، و صححه التبريزي: «قراد بن العيار»، و قال: «أبوه العيار أحد شياطين العرب».

و من شعر الحماسه أيضا أفيقوا بني حزن و أهواؤنا معا

و من شعر الحماسه أيضا لعمر ك ما أنصفتني حين سمتني

و من شعر الحماسه أيضا و ما كنت أبغى العم يمشى على شفا

و من شعر الحماسه أيضا ألا هل أتى الأنصار أن ابن بحدل حميدا

ص: ٣٢٧

و من شعر الحماسه أيضا أخوك أخوك من بنأى و تدنو (١)

فصل فى حسن الثناء و طيب الأحذوئه

ثم إنّه ع ذكر أن لسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خيرا له من المال يورثه غيره و لسان الصدق هو أن يذكر الإنسان بالخير و يثنى عليه به قال سبحانه وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٢).

و قد ورد فى هذا المعنى من النثر و النظم الكثير الواسع فمن ذلك قول عمر لابنه هرم ما الذى أعطى أبوك زهيرا قالت أعطاه مالا يفنى و ثيابا تبلى قال لكن ما أعطاكم زهير لا يبلى الدهر و لا يفنيه الزمان.

و من شعر الحماسه أيضا إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد

و قال يزيد بن المهلب المال و الحياه أحبّ شىء إلى الإنسان و الثناء الحسن أحبّ إلى منهما و لو أنى أعطيت ما لم يعطه أحد لأحبيت أن يكون لى أذن أسمع بها ما يقال فى غدا و قد مت كريما.

و حكى أبو عثمان الجاحظ عن إبراهيم السندى قال قلت فى أيام ولايتى الكوفه

ص: ٣٢٨

(١-١) ديوان الحماسه-بشرح المرزوقى ٢:٥٤٢، و نسبها إلى ربيعه بن مقروم.

(٢-٢) الحماسه: «و زاد سلاحه».

لرجل من وجوهها كان لا يجف لبدته و لا يستريح قلمه و لا تسكن حركته فى طلب حوائج الناس و إدخال السرور على قلوبهم و الرفق على ضعفائهم و كان عفيف الطعمه خبرنى عما هون عليك النصب و قواك على التعب فقال قد و الله سمعت غناء الأطيّار بالأسحار على أغصان الأشجار و سمعت خفق الأوتار و تجاوب العود و المزمّار فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن على رجل محسن فقلت لله أبوك فلقد ملئت كرما.

و قال حاتم أماوى إن يصبح صداى بقفره

بعض المحدثين من اشترى بماله

و من أمثال الفرس كل ما يؤكل ينتن و كل ما يوهب يأرج.

و قال أبو الطيب ذكر الفتى عمره الثانى و حاجته ما قاته و فضول العيش أشغال (١)

فصل فى مواساه الأهل و صلّه الرحم

ثمّ إنّه ع بعد أن قرظ الثناء و الذكر الجميل و فضله على المال أمر بمواساه

ص: ٣٢٩

(١-١) ديوانه ١١٨.

الأهل و صلته الرحم و إن قل ما يواسى به فقال ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابه إلى آخر الفصل و قد قال الناس فى هذا المعنى فأكثروا فمن ذلك قول زهير و من يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه و يذمم (١).

و قال عثمان إن عمر كان يمنع أقرباءه ابتغاء وجه الله و أنا أعطيتهم ابتغاء وجه الله و لن تروا مثل عمر .

١٩٠

أَبُو هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا الرَّحِمُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ وَ الرَّحْمَنُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْعُظْمَى قَالَ اللَّهُ لَهَا مَنْ وَصِيْلَكَ وَصِيْلَتُهُ وَ مَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ.

١٩١

وَ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ صَلَّهُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ.

و قال طرفه يهجو إنسانا بأنه يصل الأبعد و يقطع الأقارب و أنت على الأدنى شمال عريه

و من شعر الحماسه لهم جل مالى إن تتابع لى غنى

ص: ٣٣٠

(١ - ١) ديوانه ٣٠.

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِذْهَانٍ وَ لَا إِيْهَانٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ فِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ وَ انصُوبُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ وَ قَوْمُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ فَعَلَيْتِي ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا .

الإدهان المصانعه و المنافقه قال سبحانه وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ (١) .

و الإيهان مصدر أوهنته أى أضعفته و يجوز وهنته بحذف الهمزة و نهجه أوضحه و جعله نهجا أى طريقا بينا و عصبه بكم ناطه بكم و جعله كالعصابه التى تشد بها الرأس و الفلج الفوز و الظفر .

و قوله و خابط الغى كأنه جعله و الغى متخابطين يخبط أحدهما فى الآخر و ذلك أشدّ مبالغه من أن تقول خبط فى الغى لأن من يخبط و يخبطه غيره يكون أشدّ اضطرابا ممن يخبط و لا يخبطه غيره و قوله و فروا إلى الله من الله أى اهربوا إلى رحمة الله من عذابه و قد نظر الفرزدق إلى هذا فقال إليك فررت منك و من زياد و لم أحسب دمي لكم حلالا (٢)

ص: ٣٣١

١-١ (١) سورة القلم ٩.

٢-٢ (٢) ديوانه ٦٠٨، فى مدح سعيد بن العاصى، و روايته: «و لم أجعل دمي».

إشارة

و قدم عليه عاملاه على اليمن و هما عبيد الله بن عباس و سعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أرطاه فقام ع على المنبر ضجرا
بتناقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له فى رأى فقال ما هى إلا الكوفة أقبضها و أبسطها إن لم [يكن]

تكونى إلا- أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله و تمثّل بقول الشاعر لعمر أيبك الخير يا عمرو إبنى على و ضر من ذا الإناء قليل.

(١)

ثم قال ع أنبت بُسيرا قد أطلع اليمَنَ و إنى و الله لماظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على ياطلهم و تفرقتكم عن
حقكم و بمعصيتكم إمامكم فى الحق و طاعتهم إمامهم فى الباطل و بأدائهم الأمانة إلى صاحبهم و خيانتكم و بصيلاجهم فى
بلادهم و فسادكم فلو ائتمنت أحدكم على قعب لحيثيت أن يذهب بعلاقتهم اللهم إنى قد مللتهم و ملونى و سيئمتهم و سيئمونى
فأبدلنى بهم خيرا منهم

ص: ٣٣٢

وَ أْبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِّنِّي اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمَيِّثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِّنْ بَيْنِي فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِّثْلُ أَرْمِيهِ الْحَمِيمِ (١) ثُمَّ نَزَلَ عَ مِنَ الْمُنْتَبِرِ.

[قال الرضى رحمه الله أقول الأرميه جمع رمى و هو السحاب و الحميم هاهنا وقت الصيف و إنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا و أسرع خفوقا لأنه لا ماء فيه و إنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلأته بالماء و ذلك لا يكون فى الأكثر إلا- زمان الشتاء و إنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعه إذا دعوا و الإغاثه إذا استغيثوا و الدليل على ذلك قوله هنالك لو دعوت أتاك منهم]

تواترات عليه الأخبار مثل ترادفت و تواصلت الناس من يطعن فى هذا و يقول التواتر لا يكون إلا مع فترات بين أوقات الإتيان و منه قوله سبحانه ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا (٢) ليس المراد أنهم مترادفون بل بين كل نبين فتره قالوا و أصل تترى من الواو و اشتقاقها من الوتر و هو الفرد و عدوا هذا الموضوع مما تغلط فيه الخاصه.

ص: ٣٣٣

١- ١) البيت فى اللسان (١٩:٥٤)، و نسه إلى أبى جندب الهذلى، و روايته: «رجال مثل أرميه الحميم».

٢- ٢) سوره «المؤمنون» ٤٤.

و معاوية هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي .و أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي و هي أم أخيه عتبة بن أبي سفيان فأما يزيد بن أبي سفيان و محمد بن أبي سفيان و عنبسه بن أبي سفيان و حنظله بن أبي سفيان و عمرو بن أبي سفيان فمن أمهات شتى.

و أبو سفيان هو الذي قاد قريشا في حروبها إلى النبي ص و هو رئيس بني عبد شمس بعد قتل عتبة بن ربيعة بيدر ذاك صاحب العير و هذا صاحب النفير و بهما يضرب المثل فيقال للخامل لا في العير و لا في النفير.

و روى الزبير بن بكار أن عبد الله بن يزيد بن معاوية جاء إلى أخيه خالد بن يزيد في أيام عبد الملك فقال لقد هممت اليوم يا أخي أن أفتك بالوليد بن عبد الملك قال بئسما هممت به في ابن أمير المؤمنين و ولي عهد المسلمين فما ذاك قال إن خيلي مرت به فعبث بها و أصغرني فقال خالد أنا أكفيك فدخل على عبد الملك و الوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين إن الوليد مرت به خيل ابن عمه عبد الله فعبث بها و أصغره و كان عبد الملك مطرقا فرفع رأسه و قال إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّهُ وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (١) فقال خالد وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا (٢) فقال عبد الملك أ في عبد الله تكلمني و الله لقد دخل أمس على فما أقام لسانه لحنا قال

ص: ٣٣٤

١-١ (١) سورة النمل ٣٤.

١٦-٢ (٢) سورة الإسراء ١٦.

خالد أفعلى الوليد تعول يا أمير المؤمنين قال عبد الملك إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان [لا]

(١) فقال خالد و إن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالدًا [لا]

(٢) فالتفت الوليد إلى خالد و قال له اسكت ويحك فو الله ما تعد فى العير و لا فى النفير فقال اسمع يا أمير المؤمنين ثم التفت إلى الوليد فقال له ويحك فمن صاحب العير و النفير غير جدى أبى سفيان صاحب العير و جدى عتبه صاحب النفير و لكن لو قلت غنيمات و حبيلات و الطائف و رحم الله عثمان لقلنا صدقت (٣).

و هذا من الكلام المستحسن و الألفاظ الفصيحة و الجوابات المسكتة و إنما كان أبو سفيان صاحب العير لأنه هو الذى قدم بالعير التى رام رسول الله ص و أصحابه أن يعترضوها و كانت قادمة من الشام إلى مكه تحمل العطر و البر فندبر بهم أبو سفيان فضرب وجوه العير إلى البحر فساحل (٤) بها حتى أنقذها منهم و كانت وقعه بدر العظمى لأجلها لأن قريشا أتاهم النذير بحالها و بخروج النبى ص بأصحابه من المدينة فى طلبها لينفروا و كان رئيس الجيش النافر لحمايتها عتبه بن ربيعه بن شمس جد معاوية لأمه.

و أمّا غنيمات و حبيلات إلى آخر الكلام فإن رسول الله ص لما طرد الحكم بن أبى العاص إلى الطائف لأموور نقمها عليه أقام بالطائف فى حبله ابتاعها و هى الكرمه و كان يرعى غنيمات اتخذها يشرب من لبنها فلما ولى أبو بكر شفع إليه عثمان فى أن يرده فلم يفعل فلما ولى عمر شفع إليه أيضا فلم يفعل فلما ولى هو الأمر رده و الحكم جد عبد الملك فعيرهم خالد بن يزيد به.

و بنو أمية صنفان الأعياص و العنابس فالأعياص العاص و أبو العاص

ص: ٣٣٥

١-١) من مجمع الأمثال.

١-٢) من مجمع الأمثال.

٣-٣) ساحل بها: أتى بها ساحل البحر.

-٤

و العيص و أبو العيص و العنابس حرب و أبو حرب و سفيان و أبو سفيان فبنو مروان و عثمان من الأعياص و معاويه و ابنه من العنابس و لكل واحد من الصنفين المذكورين و شيعتهم كلام طويل و اختلاف شديد فى تفضيل بعضهم على بعض.

و كانت هند تذكر فى مكّه بفجور و عهر.

و قال الزمخشري فى كتاب ربيع الأبرار كان معاويه يعزى إلى أربعة إلى مسافر بن أبى عمرو و إلى عماره بن الوليد بن المغيرة و إلى العباس بن عبد المطلب و إلى الصباح مغن كان لعماره بن الوليد قال و قد كان أبو سفيان دميما قصيرا و كان الصباح عسيفا (١) لأبى سفيان شابا وسيما فدعته هند إلى نفسها فغشيها.

و قالوا إن عتبه بن أبى سفيان من الصباح أيضا و قالوا إنها كرهت أن تدعه فى منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعتة هناك و فى هذا المعنى يقول حسان أيام المهاجاء بين المسلمين و المشركين فى حياه رسول الله ص قبل عام الفتح (٢) لمن الصبى بجانب البطحا

و الذين نزهوا هنداً عن هذا القذف روى غير هذا فروى أبو عبيده معمر بن المثنى أن هنداً كانت تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى و كان له بيت ضيافه يغشاه الناس فيدخلونه من غير إذن فخلا- ذلك البيت يوما فاضطجع فيه الفاكه و هند ثم قام الفاكه و ترك هنداً فى البيت لأمر عرض له ثم عاد إلى البيت فإذا رجل قد خرج من البيت فأقبل إلى هند فركلها برجله و قال من الذى كان عندك فقالت لم يكن عندى

ص: ٣٣٤

١-١) السيف: الأجير.

٢-٢) ديوانه ١٥٧.

أحد و إنما كنت نائمه فقال الحقى بأهلك فقامت من فورها إلى أهلها فتكلم الناس فى ذلك فقال لها عتبه أبوها يا بنيه إن الناس قد أكثروا فى أمرى فأخبرينى بقصتك على الصحه فإن كان لك ذنب دسست إلى الفاكه من يقتله فتنقطع عنك القاله فحلفت أنها لا- تعرف لنفسها جرما و إنه لكاذب عليها فقال عتبه للفاكه إنك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فهل لك أن تحاكمنى إلى بعض الكهنة فخرج الفاكه فى جماعه من بنى مخزوم و خرج عتبه فى جماعه من بنى عبد مناف و أخرج معه هنداً و نسوه معها فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيرت حال هند و تنكر أمرها و اختطف لونها فرأى ذلك أبوها فقال لها إنى أرى ما بك و ما ذاك إلا لمكروه عندك فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا قالت يا أبت إن الذى رأيت منى ليس لمكروه عندى و لكنى أعلم أنكم تأتون بشرا يخطئ و يصيب و لا آمن أن يسمنى ميسما يكون على عارا عند نساء مكه قال لها فإنى سأمتحنه قبل المسأله بأمر ثم صفر بفرس له فأدلى ثم أخذ حبه بر فأدخلها فى إحليله و شده بسير و تركه حتى إذا وردوا على الكاهن أكرمهم و نحر لهم فقال عتبه إنا قد جئناك لأمر و قد خبأت لك خبيثا أختبرك به فانظر ما هو فقال ثمره فى كمره فقال أبين من هذا قال حبه بر فى إحليل مهر قال صدقت انظر الآن فى أمر هؤلاء النسوه فجعل يدنو من واحده واحده منهن و يقول انهضى حتى صار إلى هند فضرب على كتفها و قال انهضى غير رقحاء و لا زانيه و لتلدن ملكا يقال له معاويه فوثب إليها الفاكه فأخذها بيده و قال قومى إلى بيتك فجدبت يدها من يده و قالت إليك عنى فوالله لا كان منك و لا كان إلا من غيرك فتزوجها أبو سفيان بن حرب .

الرقحاء البغى التى تكتسب بالفجور و الرقاعه التجاره.

و ولي معاويه اثنتين و أربعين سنه منها اثنتان و عشرون سنه ولى فيها إماره الشام منذ مات أخوه يزيد بن أبى سفيان بعد خمس سنين من خلافه عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين على ع فى سنه أربعين و منها عشرون سنه خليفه إلى أن مات فى سنه ستين .

و مر به إنسان و هو غلام يلعب مع الغلمان فقال إتنى أظن هذا الغلام سيسود قومه فقالت هند ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه.

و لم يزل معاويه ذا همه عاليه يطلب معالى الأمور و يرشح نفسه للرئاسه و كان أحد كتاب رسول الله ص و اختلف فى كتابته له كيف كانت فالذى عليه المحققون من أهل السيره أن الوحي كان يكتبه على ع و زيد بن ثابت و زيد بن أرقم و أن حنظله بن الربيع التيمي و معاويه بن أبى سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك و إلى رؤساء القبائل و يكتبان حوائجه بين يديه و يكتبان ما يجيبى من أموال الصدقات و ما يقسم فى أربابها.

و كان معاويه على أس (١) الدهر مبغضا لعلى ع شديد الانحراف عنه و كيف لا يبغضه و قد قتل أخاه حنظله يوم بدر و خاله الوليد بن عتبه و شرك عمه فى جده و هو عتبه أو فى عمه و هو شيبه على اختلاف الروايه و قتل من بنى عمه عبد شمس نفرا كثيرا من أعيانهم و أمثالهم ثم جاءت الطامه الكبرى واقعه عثمان فنسبها كلها إليه بشبهه إمساكه عنه و انضواء كثير من قتلته إليه ع فتأكدت البغضه و ثارت الأحقاد و تذكرت تلك الترات الأولى حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه.

و قد كان معاويه مع عظم قدر على ع فى النفوس و اعتراف العرب بشجاعته و أنه البطل الذى لا يقام له يتهدده و عثمان بعد حى بالحرب و المنابذه و يرأسه من الشام رسائل خشنه حتى قال له فى وجهه

١٩٢

١٤، ١- ما رواه أبو هلال العسكرى فى كتاب الأوائل قال

ص: ٣٣٨

١- ١) أس الدهر؛ بفتح الهمزه أو ضمها أو كسرهما: قدم الدهر و وجهه.

قَدِمَ مُعَاوِيَةَ الْمَدِينَةَ قَدَمَهُ أَيَّامَ عُثْمَانَ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَتِهِ فَجَلَسَ عُثْمَانُ يَوْمًا لِلنَّاسِ فَاعْتَدَرَ مِنْ أُمُورٍ نَقَمْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَبِلَ تَوْبَةَ الْكَافِرِ وَإِنِّي رَدَدْتُ الْحَكَمَ عَمِّي لِأَنَّهُ تَابَ فَقَبِلْتُ تَوْبَتَهُ وَ لَوْ كَانَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ مِنَ الرَّحِمِ مَا بَيْنِي وَ بَيْنَهُ لَأَوْبَاهُ فَأَمَّا مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ أَنِّي أُعْطِيتُ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ إِلَيَّ أَحْكُمُ فِي هَذَا الْمَالِ بِمَا أَرَاهُ صَاحِبًا لِلَّامَةِ وَ إِلَّا فَلِمَاذَا كُنْتُ خَلِيفَةً فَقَطَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ مُعَاوِيَةُ وَ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَ قَدْ كَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مَعْمُورًا فِي قَوْمِهِ تُقَطَّعُ الْأُمُورُ مِنْ دُونِهِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ فَسَبَقْتُمْ إِلَيْهِ وَ أَبْطَأَ عَنْهُ أَهْلُ الشَّرَفِ وَ الرَّئِيسَةِ فَسَدْتُمْ بِالسَّبْقِ لَا بَغْيِهِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُقَالُ الْيَوْمَ رَهْطُ فَلَانٍ وَ آلِ فَلَانٍ وَ لَمْ يَكُونُوا قَبْلَ شَيْئًا مَذْكُورًا وَ سَيَدُومُ لَكُمْ هَذَا الْأَمْرُ مَا اسْتَيْقَمْتُمْ فَإِنْ تَرَكْتُمْ شَيْخَنَا هَذَا يَمُوتُ عَلَيَّ فِرَاشِهِ وَ إِلَّا خَرَجَ مِنْكُمْ وَ لَا يَنْفَعُكُمْ سَبْقُكُمْ وَ هِجْرَتُكُمْ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ ع مَا أَنْتَ وَ هَذَا يَا ابْنَ اللَّحْنَاءِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَهَلًا يَا أَبَا الْحَسَنِ عَنْ ذِكْرِ أُمِّي فَمَا كَانَتْ بِأَخْسَ نِسَائِكُمْ وَ لَقَدْ صَافَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَ أُسْلِمَتْ وَ لَمْ يُصَافِحْ امْرَأَةً غَيْرَهَا أَمَا لَوْ قَالَهَا غَيْرُكَ فَنَهَضَ عَلِيُّ ع لِيُخْرِجَ مُغْضَبًا فَقَالَ عُثْمَانُ اجْلِسْ فَقَالَ لَهُ لَا اجْلِسْ فَقَالَ عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتَجْلِسَنَّ فَأَبَى وَ وُلِيَ فَأَخَذَ عُثْمَانُ طَرْفَ رِدَائِهِ فَتَرَكَ الرِّدَاءَ فِي يَدِهِ وَ خَرَجَ فَأَتْبَعَهُ عُثْمَانُ بَصِيرَةً فَقَالَ وَ اللَّهُ لَا تُصِلُ إِلَيْكَ وَ لَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ وُلْدِكَ.

قَالَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ كُنْتُ حَاضِرًا هَذَا الْمَجْلِسَ فَعَجِبْتُ فِي نَفْسِي مِنْ تَأَلَّى عُثْمَانَ فَذَكَرْتُهُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَا تَعْجَبْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ لَا يَنَالُهَا عَلِيُّ وَ لَا وُلْدُهُ.

قَالَ أُسَامَةُ فَإِنِّي فِي الْعَمْدِ لَفِي الْمَسْجِدِ وَ عَلِيُّ وَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ وَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ جُلُوسٌ إِذْ جَاءَ مُعَاوِيَةُ فَتَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ أَلَا يُوسِّعُوا لَهُ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

فَقَالَ أَتَدْرُونَ لِمَاذَا جِئْتُ قَالُوا لَا قَالَ إِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنْ لَمْ تَتْرُكُوا شَيْخَكُمْ يَمُوتُ عَلَيَّ فِرَاشِهِ لَا أُعْطِيكُمْ إِلَّا هَذَا السَّيْفَ ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ.

فَقَالَ عَلِيُّ ع لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ عِنْدَ هَذَا شَيْئًا فَقَالَ لَهُ طَلَحَةُ وَ أَيْ شَيْءٍ يَكُونُ عِنْدَهُ أَعْظَمُ مِمَّا قَالَ قَاتَلَهُ اللَّهُ لَقَدْ رَمَى الْغُرَضَ فَأَصَابَ وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ يَا أَبَا الْحَسَنِ كَلِمَةً هِيَ أَمْلَأُ لِيَصْدُرَكَ مِنْهَا

و معاوية مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله يرمى بالزندقه و قد ذكرنا في نقض السفينيه على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلاميه عنه من الإلحاد و التعرض لرسول الله ص و ما تظاهر به من الجبر و الإرجاء و لو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربه الإمام ما يكفى في فساد حاله لا سيما على قواعد أصحابنا و كونهم بالكبيره الواحده يقطعون على المصير إلى النار و الخلود فيها إن لم تكفرها التوبه

بسر بن أرطاه و نسبه

و أما بسر بن أرطاه فهو بسر بن أرطاه و قيل ابن أبي أرطاه بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه .

بعثه معاوية إلى اليمن في جيش كثيف و أمره أن يقتل كل من كان في طاعه على ع فقتل خلقا كثيرا و قتل فيمن قتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب و كانا غلامين صغيرين فقالت أمهما ترثيهما يا من أحس بنبي اللذين هما كالدرتين تشطى عنهما الصدق (١).

في أبيات مشهوره

ص : ٣٤٠

١ - (١) تشطى: تفرق شظايا. و الأبيات في الكامل ٨-١٥٨-بشرح المرصفي.

و كان عبيد الله عامل على ع على اليمن و هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أمه و أم إخوانه عبد الله و قثم و معبد و عبد الرحمن لبابه بنت الحارث بن حزن من بني عامر بن صعصعه و مات عبيد الله بالمدينه و كان جوادا و أعقب و من أولاده قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس و لاه أبو جعفر المنصور المدينه و كان جوادا ممدوحا و له يقول ابن المولى (١) أعفيت من كور و من رحله و يقال ما رثي قبور إخوه أكثر تباعدا من قبور بني العباس رحمه الله تعالى قبر عبد الله بالطائف و قبر عبيد الله بالمدينه و قبر قثم بسمرقند و قبر عبد الرحمن بالشام و قبر معبد بإفريقيه .

ثم نعود إلى شرح الخطبه الأعاصير جمع إعصار و هي الريح المستديره على نفسها قال الله تعالى فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ (٢) .

و الوضر بقيه الدسم فى الإناء و قد اطلع اليمن أى غشيها و غزاها و أغار عليها.

و قوله سيدالون منكم أى يغلبونكم و تكون لهم الدوله عليكم و ماث زيد الملح فى الماء أذابه.

و بنو فراس بن غنم بن ثعلبه بن مالك بن كنانه حى مشهور بالشجاعه منهم

ص: ٣٤١

١ - ١) كذا بهذه النسبه فى نسب قريش ٣٣، و هما من أبيات تنسب إلى داود بن سلم، فى الأغاني ١٦٩: ٩، ٢٠: ٦، و فى الكامل ٢: ٢٢٩ منسوبه إلى سليمان بن قته.

٢ - ٢) سورة البقره ٢٦٦.

علقمه بن فراس و هو جذل الطعان و منهم ربيعه بن مكدم بن حرثان بن جذيمه بن علقمه بن فراس الشجاع المشهور حامى
الظعن حيا و ميتا و لم يحم الحریم و هو ميت أحد غيره عرض له فرسان من بنى سليم و معه ظعائن من أهله يحميهم وحده
فطاعنهم فرماه نيشه بن حبيب بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه فى الأرض و اعتمد عليه و هو ثابت فى سرجه لم يزل و لم يمل و
أشار إلى الظعائن بالرواح فسرر حتى بلغن بيوت الحى و بنو سليم قيام إزاءه لا يقدمون عليه و يظنونه حيا حتى قال قائل منهم
إنى لا- أراه إلا- ميتا و لو كان حيا لتحرك إنه و الله لماثل راتب على هيئه واحده لا يرفع يده و لا يحرك رأسه فلم يقدم أحد
منهم على الدنو منه حتى رموا فرسه بسهم فشب من تحته فوقع و هو ميت و فاتهم الظعائن.

و قال الشاعر لا يبعدن ربيعه بن مكدم

و قوله ع ما هى إلا- الكوفه أى ما ملكتى إلا الكوفه أقبضها و أبسطها أى أتصرف فيها كما يتصرف الإنسان فى ثوبه يقبضه و
يبسطه كما يريد.

ثم قال على طريق صرف الخطاب فإن لم تكونى إلا- أنت خرج من الغيبه إلى خطاب الحاضر كقوله تعالى الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يقول إن لم يكن لى من الدنيا ملك إلا ملك الكوفه ذات
الفتن و الآراء المختلفه فأبعدها الله.

و شبه ما كان يحدث من أهلها من الاختلاف و الشقاق بالأعاصير لإثارتها التراب و إفسادها الأرض ثم ذكر عله إداله أهل الشام من أهل العراق و هى اجتماع كلمتهم و طاعتهم لصاحبهم و أداؤهم الأمانه و إصلاحهم بلادهم

أهل العراق و خطب الحجاج فيهم

و قال أبو عثمان الجاحظ العله فى عصيان أهل العراق على الأمراء و طاعه أهل الشام أن أهل العراق أهل نظر و ذوو فطن ثاقبه و مع الفطنه و النظر يكون التنقيب و البحث و مع التنقيب و البحث يكون الطعن و القدح و الترجيح بين الرجال و التمييز بين الرؤساء و إظهار عيوب الأمراء و أهل الشام ذوو بلاده و تقليد و جمود على رأى واحد لا يرون النظر و لا يسألون عن مغيب الأحوال.

و ما زال العراق موصوفا أهله بقله الطاعه و بالشقاق على أولى الرئاسه.

و من كلام الحجاج (١) يا أهل العراق يا أهل الشقاق و النفاق و مساوىء الأخلاق أما و الله لألحونكم لحو العصا و لأعصبنكم عصب السلم و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل إننى أسمع لكم تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب و لكنه تكبير التهيب ألا إنها عجاجه تحتها قصف (٢) يا بنى اللكيعة (٣) و عبيد العصا و أبناء الإمام إنما مثلى و مثلكم كما قال ابن براقه (٤) و كنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم (٥)

ص: ٣٤٣

١-١) البيان و التبيين ٢:١٣٧ مع اختلاف فى الروايه.

٢-٢) العجاجه:شده الغبار،و القصف:شده الريح.

٣-٣) اللكيعة:اللثيمه.

٤-٤) هو عمرو بن الحارث بن عمرو بن منبه بن شهر بن سهم الهمدانى؛و براقه أمه،ينسب إليها.

٥-٥) البيتان من قصيده طويله له ذكرها القالى فى الأمالى ٢:١٢٢،فى خبر له مع حريم المرادى حين أغاز عليه.

متى تجمع القلب الذكى و صارما

و أنفا حميا تجتنبك المظالم.

و الله لا تفرع عصا عصا إلا جعلتها كأس الذاهب.

و كانت هذه الخطبه عقيب سماعه تكبيرا منكرا فى شوارع الكوفه فأشفق من الفتنة.

و ممّا خطب به فى ذم أهل العراق بعد وقعه دير الجماجم (١).

يا أهل العراق يا أهل الشقاق و النفاق إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم و الدم و العصب و المسامع و الأطراف و الأعضاء و الشغاف ثم أفضى إلى الأمخاخ و الأصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض ففرخ فحشاكم نفاقا و شقاقا و ملاكم غدرا و خلافا اتخذتموه دليلا- تتبعونه و قائدا تطيعونه و مؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعمكم تجربته أو تعظكم واقعه أو يحجزكم إسلام أو يعصمكم ميثاق أ لستم أصحابى بالأهواز حيث رتم المكر و سعيتم بالغدر و ظننتم أن الله يخذل دينه و خلافته و أنا أرميكم بطرفى و أنتم تتسللون لو اذا و تنهزمون سراعا ثم يوم الزاويه (٢) و ما يوم الزاويه بها كان فشلكم و كسلكم و تخاذلكم و تنازعكم و براءه الله منكم و نكول وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى أعطانها لا- يسأل المرء عن أخيه و لا يلوى الأب على بنيه لما عضكم السلاح و قصمتكم (٣) الرماح ثم يوم دير الجماجم و ما يوم دير الجماجم

ص: ٣٤٤

١- ١) وقعه دير الجماجم، كانت بين الحجاج و ابن الأشعث قرب الكوفه سنه ٨٣، و هزم فيها ابن الأشعث. و الخطبه فى البيان و التبيين ٢: ١٣٨، و العقد ٤: ١١٥، و نهايه الأرب ٧: ٢٤٥ مع اختلاف فى الروايه.

٢- ٢) الزاويه: موضع قرب البصره كانت به وقعه بين الحجاج و ابن الأشعث قتل فيها خلق كثير، و ذلك سنه ٨٢. الطبرى (حوادث ٨٢).

٣- ٣) قصمتكم: كسرتكم و غلبتكم. و فى البيان: «و قصتكم»، و هما بمعنى.

بها كانت المعارك و الملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله (١).

يا أهل العراق يا أهل الشقاق و النفاق الكفريات بعد الفجرات و الغدرات بعد الخترات (٢) و النزوه بعد النزوات إن بعثكم إلى ثغوركم غللتكم (٣) و خنتم و إن أمنتكم أرجفتكم و إن خفتكم نافقتكم لا تذكرون حسنه و لا تشكرون نعمه.

هل استخفتكم ناكث أو استغواكم غاو أو استفزكم عاص أو استنصركم ظالم أو استعضدكم خالغ إلا اتبعتموه و آويتموه و نصرتموه و زكيتموه.

يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر كاذب (٤) إلا كنتم أشياعه و أتباعه و حماته و أنصاره.

يا أهل العراق ألم تزجركم المواعظ ألم تنبهكم الوقائع ألم تردعكم الحوادث.

ثم التفت إلى أهل الشام و هم حول المنبر فقال يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرامح (٥) عن فراخه ينفي عنها القذر (٦) و يباعد عنها الحجر و يكنها من المطر و يحميها من الضباب و يحرسها من الذئاب.

يا أهل الشام أنتم الجنه و الرداء و أنتم العده و الحذاء.

ثم نزل.

ص: ٣٤٥

١-١) أخذه من رجز عمّار بن ياسر يوم صفّين؛ وفيه: ضربا يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله و مقيله: موضعه. و انظر وقعه صفّين ٣٦٦-٣٨٧.

٢-٢) الخترات: جمع ختره، و هي الغدر و الخديعه.

٣-٣) الغل هنا: الخيانه.

٤-٤) العقد: «زفر زافر».

٥-٥) الظليم: ذكر النعام، و الرامح: المدافع.

٦-٦) البيان و العقد: «المدر».

و من خطبه له فى هذا المعنى و قد أراد الحجّ (١) يا أهل الكوفه إنى أريد الحجّ و قد استخلفت عليكم ابنى محمّدا و أوصيته بخلاف وصيه رسول الله ص فى الأنصار فإنه أمر أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم و إنى قد أوصيته ألا يقبل من محسنكم و لا يتجاوز عن مسيئكم ألا و إنكم ستقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابه ألا و إنى معجل لكم الجواب لا أحسن الله لكم الخلافه.

و من خطبه له فى هذا المعنى يا أهل الكوفه إن الفتنه تلمح بالنجوى (٢) و تنتج بالشكوى و تحصّد بالسيف أما و الله إن أبغضتمونى لا تضرونى و إن أحببتمونى لا تنفعونى و ما أنا بالمستوحش لعداوتكم و لا المستريح إلى مودتكم زعمتم أنى ساحر و قد قال الله تعالى وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ (٣) و قد أفلحت و زعمتم أنى أعلم الاسم الأكبر فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون.

ثمّ التفت إلى أهل الشام فقال لأزواجكم أطيب من المسك و لأبناؤكم أنس بالقلب من الولد و ما أنتم إلا كما قال أخو ذبيان إذا حاولت فى أسد فجورا

ص: ٣٤٦

١-١ (١) عيون الأخبار ٢:٢٤٥.

٢-٢ (٢) النجوى:المساره.

٣-٣ (٣) سوره طه ٦٩.

ثم قال بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله سبحانه ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون (١).

و خطب مره بعد موت أخيه و ابنه قال بلغنى أنكم تقولون يموت الحجاج و مات الحجاج فمه و ما كان ما ذا و الله ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت و ما رضى الله البقاء إلا لأهون المخلوقين عليه إبليس قال أنظرني إلى يوم تبعثون قال إنك من المنظرين (٢) ثم قال يا أهل العراق أتيتكم و أنا ذو لمة و افره أرفل فيها فما زال بى شقاقكم و عصيانكم حتى حص (٣) شعرى ثم كشف رأسه و هو أصلع و قال من يك ذا لمة يكشفها

فأما قوله ع اللهم أبدلنى بهم خيرا منهم و أبدلهم بى شرا منى و لا خير فيهم و لا شر فيه ع فإن أفعل ها هنا بمنزلة فى قوله تعالى أ فمن يلقى فى النار خيرا أم من يأتى آمنا يوم القيامة (٤) و بمنزلة فى قوله قل أ ذلك خيرا أم جنة الخلد (٥).

ص: ٣٤٧

١-١ (١) سورة الصافات ١٧١-١٧٣.

٢-٢ (٢) سورة الأعراف ١٤، ١٥.

٣-٣ (٣) الحص: ذهاب الشعر.

٤-٤ (٤) الزعر: ذهاب أصول الشعر.

٥-٥ (٥) سورة فصلت ٤٠.

و يحتمل أن يكون الذى تمناه ع من إبداله بهم خيرا منهم قوما صالحين ينصرونه و يوفقون لطاعته.

و يحتمل أن يريد بذلك ما بعد الموت من مرافقه النبى ص . و قال القطب الراوندى بنو فراس بن غنم هم الروم و ليس بجيد و الصحيح ما ذكرناه.

و البيت المتمثل به أخيرا لأبى جندب الهدلى و أول الأبيات ألا يا أم زنباع أقيمى صدور العيس نحو بنى تميم .

و هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين ع بعد فراغه من صفين و انقضاء أمر الحكمين و الخوارج و هى من أواخر خطبه ع.

تم الجزء الأول من (١) شرح نهج البلاغه بحمد الله و منه و الحمد لله وحده العزيز و صلى الله على محمد و آله الطيبين الطاهرين

ص: ٣٤٨

(١ - ١) من تجزئه المؤلف؛ و هذه خاتمه نسخه ب، ج، و فى آخر نسخه ا: «هذا آخر الجزء الأول، و يتلوه الجزء الثانى إن شاء الله».

- ١- من خطبه لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يذكر فيها ابتداء خلق السماوات و الأرض و خلق آدم ٥٧
- ٢- من خطبه له بعد انصرافه من صفين ١٣١
- ٣- من خطبه له و هي المعروفه بالشَّقشقيه ١٥١
- ٤- من خطبه له يذكر كمال دينه و يقينه و اهتداء الناس به ٢٠٧
- ٥- من كلام له لما قبض رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم ٢١٣
- ٦- من كلام له لما أشير عليه بالألّا يتبع طلحه و الزبير و لا يرضى لهما القتال ٢٢٣
- ٧- من خطبه له في ذمّ قوم باتباع الشيطان و ركوبهم متن الزلل ٢٢٨
- ٨- من كلام له يعنى به الزبير في حال اقتضت ذلك ٢٣٠
- ٩- من كلام له في صفه قوم أَرعدوا و أبرقوا و فشلهم في ذلك ٢٣٧
- ١٠- من خطبه له يوعد قوما ٢٣٩
- ١١- من كلام له يخاطب به ابنه محمّد ابن الحنفية لَمّا أعطاه الرايه يوم الجمل ٢٤١
- ١٢- من كلام له لما أظفره الله بأصحاب الجمل ٢٤٦
- ١٣- من كلام له في ذمّ أهل البصره ٢٥١
- ١٤- من كلام له في ذمّ أهل البصره أيضا ٢٦٧
- ١٥- من كلام له فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان ٢٦٩
- ١٦- من خطبه له لَمّا بويع بالمدينه ٢٧٢

١٧- من كلام له في صفه من يتصدى للحكم بين الأئمة و ليس لذلك بأهل ٢٨٣

١٨- من كلام له في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ٢٨٨

١٩- من كلام له قاله للأشعث و هو على منبر الكوفة ٢٩١

٢٠- من خطبه له في تهويل ما بعد الموت و تعظيمه، و فيها حث على الاعتبار ٢٩٨

٢١- من خطبه له في تذكير المسلمين بالساعة و باليوم الآخر ٣٠١

٢٢- من خطبه له فيمن اتهمه بدم عثمان ٣٠٣

٢٣- من خطبه له في المال و قسمه الأرزاق بين الناس ٣١٢

٢٤- من خطبه له فيمن خالف الحقّ و خابط الغيّ ٣٣١

٢٥- من خطبه له و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء معاويه على البلاد ٣٣٢

ص: ٣٥٠

القول فيما يذهب إليه المعتزله فى الإمامه و التفضيل و البغاه و الخوارج ٧

القول فى نسب أمير المؤمنين على بن أبى طالب و ذكر لمع يسيره من فضائله ١١

القول فى نسب الرضى و ذكر طرف من خصائصه و مناقبه ٣١

القول فى شرح خطبه نهج البلاغه ٤٢

القول فى الملائكه و أقسامهم ٩١

اختلاف الأقوال فى ابتداء خلق البشر ١٠٣

تصويب الزنادقه إبليس لامتناعه عن السجود لآدم ١٠٤

اختلاف الأقوال فى خلق الجنه و النار ١٠٨

القول فى آدم و الملائكه أيهما أفضل ١٠٩

القول فى أديان العرب فى الجاهليه ١١٧

فصل فى فضل البيت و الكعبه ١٢٤

فصل فى الكلام على السجع ١٢٤

باب لزوم ما لا يلزم و إيراد أمثله منه ١٣٣

ما ورد فى الوصايه من الشعر ١٤٣

نسب أبى بكر و نبذه من أخبار أبيه ١٥٥

مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم و إمره أسامه بن زيد على الجيش ١٥٩

عهد أبى بكر بالخلافه إلى عمر بن الخطاب ١٦٣

طرف من أخبار عمر بن الخطاب ١٧٣

قصه الشورى ١٨٥

نتف من أخبار عثمان بن عفان ١٩٨

ص: ٣٥١

١-*) و هي الموضوعات التي وردت في أثناء الشرح.

ذكر طائفه من الاستعارات ٢١٤

اختلاف الرأى فى الخلافه بعد وفاه رسول الله ٢١٨

طلحه و الزبير و نسبهما ٢٢٥

خروج طارق بن شهاب لاستقبال على بن أبى طالب ٢٢٦

أمر طلحه و الزبير مع على بن أبى طالب بعد بيعتهما له ٢٣٠

مقتل حمزه بن عبد المطب ٢٤٣

محمد ابن الحنفية و نسبه و بعض أخباره ٢٤٣

من أخبار يوم الجمل ٢٤٧

من أخبار يوم الجمل أيضا ٢٥٣

من كلام للحجاج و زياد نسجا فيه على منوال كلام على ٢٧٨

الأشعث بن قيس و نسبه و بعض أخباره ٢٩٢

خطبه على بالمدينه فى أول إمارته ٣٠٧

خطبته عند مسيره للبصره ٣٠٨

خطبته بذى قار ٣٠٩

فصل فى ذم الحاسد و الحسد ٣١٥

فصل فى مدح الصبر و انتظار الفرج ٣١٩

فصل فى الرياء و النهى عنه ٣٢٥

فصل فى الاعتضاد بالعشيره و التكثير بالقبيله ٣٢٦

فصل فى حسن الثناء و طيب الأحوذته ٣٢٨

فصل فى مواساه الأهل و صله الرحم ٣٢٩

نسب معاويه بن أبي سفيان و ذكر بعض أخباره ٣٣٤

عبيد الله بن العباس و بعض أخباره ٣٤١

أهل العراق و خطب الحجاج فيهم ٣٤٣

ص: ٣٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩